

مكتبة وكتابات نظر

Weghat Nazar - Volume 6 - Issue 70 - November 2004

مجلة شهرية، العدد السبعون، السنة السادسة، نوفمبر ٢٠٠٤، الثمن عشرة جنيهات

في المواطنة والدولة .. رؤية جديدة

طارق البشري

الهلال التركي في الفضاء الأوربي

تشاغلاركيدر و جراهام فولر

كتب تتحدى السائد

اميمة أبو بكر

الأرستقراطية الإسلامية

محمد عبيد الرحمن يونس



Per.
306.089
927

دلوقتى لأول مرة فى مصر
اختار المدة اللي تناسبك
مع خط البريمو من موبينيل



معاك طول السنة

أو

معاك لمدة ٦ شهور

من غير فواتير شهرية
اشحن براحتك بـ easyGO
والدقيقة بـ ٣٠ قرش بس!

موبينيل

* بعد انتهاء مدة التعاقد يمكنك تجديد خطك
أو التحويل لى نظام آخر (إشتراك شهرى أو الو)

شبكة المحمول الأولى فى مصر



كتب باب العدد :

- أمية أبو بكر.. أستاذة الأدب الإنجليزي المقارن بجامعة القاهرة.
• أمينة شفيق.. صحفية.
• أيمن الصبيح.. محاسب.
• تشاغلار كيدير.. أستاذ علم الاجتماع بجامعة بنهاوتون في نيويورك.
• جان شابر.. أستاذ علم الاجتماع بجامعة سوش - لندن.
• جراهام فولر.. باحث وناشط سابق لرئيس المجلس الوطني التابع لوكالة المخابرات الأمريكية.
• حسن مكي.. عميد مركز البحوث الأفريقية بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم.
• ديس جونسون ديفيز.. كاتب ومترجم مهتم بالأدب العربي.
• رجب سعد السيد.. كبير الإخصائين الطبيين بالمعهد القومي لعلوم البحار والمصايد (مصر).
• طارق البشري.. كاتب ومؤرخ.
• علاء الدين وحيد.. كاتب.
• محمد عبد الرحمن بولس.. محاضر في جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين.
• محمد المهدي.. مستشار دار الآثار الإسلامية بالقاهرة.

رسوم العدد للضائفي :

محمد حجي - سعد الدين شحاتة - أحمد البهاد



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء منها، بغیر إذن كتابي مسبق من الناشر.



المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٢ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت : ٢٩٢٠٤٩ / ٢٩٢٠٤٩ / ٢٩٢٠٤٩ فاكس ٢٩٢٠٤٩ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@alkotob.com
الموقع على الإنترنت : www.weghainazar.com

الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشهر عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد بريد عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا : ٨٠ دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي.
إدارة الاشتراكات : شارع سيويه المصري، ص. ب. : ٢٤ هليوبوليس - مدينة نصر هائل، ٤٠٢٢٢٩٩، فاكس ٤٠١٥٨٤١٤
e-mail : weglat@alkotob.com

شمن النسخة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية. السعودية ١٥ ريالاً. الكويت ١٠٠ دينار - الإمارات ١٥ درهماً - مملكة البحرين ١٠٠ دينار - قطر ١٥ ريالاً. سلطنة عمان ١٠٠ ريال - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ديناران ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب ٢٠ درهماً - تونس ٤ دينارين - الكويت ٢٠٠ دينار - فلسطين ٣ دولارات.
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom: £3 - USA \$5.

محتويات العدد :

- طارق البشري ٤
• منهج النظر في تشكيل الجماعة السياسية، في المواطنة.. والانتماء.. والدولة...
• تشاغلار كيدير ١٤
• من قيود العسكر إلى قيود بروكسل.. صعود تركيا الجديدة،
• جراهام فولر ٢٠
• تركيا، النموذج،
• حسن مكي ٢٤
• مصر.. والسودان.. والقرن الأفريقي.. إسرائيل على الخط،
• أمية أبو بكر ٢٨
• فهم جديد للصحة الإسلامية: كتب لتحدي السائد،
The New Mamluks: Egyptian Society and Modern Feudalism
تأليف: أميرة الأزهر سنبل
Face to Face With Political Islam، تأليف: فرانسوا بورجا
• محمد عبد الرحمن بولس ٣٤
• قصص وديباج وصحاف من ذهب... الأرستقراطية الإسلامية،
• علاء الدين وحيد ٤٤
• الفاطميون: الحكم.. القهر والإلهاء،
الفاطمية دولة التفاريج والتبايرج، تأليف: جمال بنوي
• محمد المهدي ٤٨
• في غابة الفكر.. الأسد الأمريكي والفيل الأوروبي،
• جان شابر ٥٤
• دولة فضائية.. الثقافة عابرة الحدود والنظام العالمي الجديد،
• أمينة شفيق ٥٩
• الإعلام الوطني.. وسط أعاصير القضاء العالي،
• ديس جونسون ديفيز ٦٤
• كنت صديقاً ليحيى حقى،
مقدمة كتاب: The Lamp of Umm Hashim and other Stories
تأليف: يحيى حقى
• رجب سعد السيد ٦٨
• مستهلكون وجوعى.. معة العالم في خطر،
State of the World 2004 - Special Focus: The Consumer Society
إصدارات جديدة ٧٧
• صفحات من كتاب: المآزق العربي.. غياب الفعل الجماعي وعنف الأقلية،
تأليف: صالح السنوسى
• رسائل ٨٠
• أيمن الصبيح ٨٢
• قراءة.. قصة..

فى المـواطنـة

منهج النظر فى تشكيل الجماعة السياسية

[١]

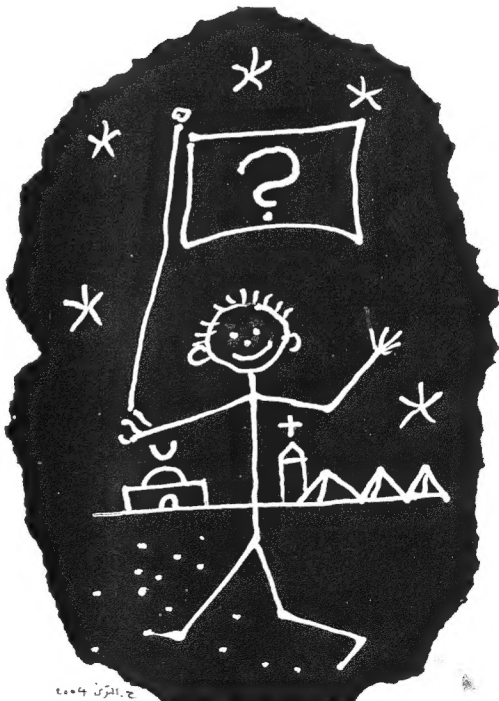
طارق البشـرى

■ أقصد بالجماعة السياسية، هذه المجموعة من البشر التى تتحدد وفقاً لتصنيف معين يقوم على وصف فعال يصنف عليهم ويميزهم عن غيرهم من المجموعات، وذلك متى كانت الأوضاع التاريخية قد رُفحت الجماعة المصنفة. وفقاً لهذا الوصف. بأن تقوم بوظيفة محددة لحماية مصالحها المشترك بعيد المدى.

ثمة وصف يلحق بالجماعة وغيرها، وثمة وظيفة تؤديها الجماعة الموصوفة بهذا الوصف.

والوصف يتعين أن يكون لصيقاً وفعالاً. والإلصاق يعنى ألا يكون الوصف طارئاً أو عابراً أو يسهل كسبه ويسهل تركه. لأن الوصف الذى تقوم به جماعة تتعين أن يكون أكثر شيكاً من الناحية النفسية. والجماعة تشكل تاريخياً، وتتقوم وتبقى عبر مراحل تاريخية ممتدة، ففى لا تتطور بموجب الطارئ سريع الكسب أو الفقد، مثل المهارات وأوضاع التنقل، وهى تلتزم من الأوصاف ما لا يتغير مثل علاقات النسب مثلاً، أو ما يكون قابلاً للتغيير ولكن بصعوبة وببطء وعبر ما يحسب بالزمن التاريخى وليس بأزمان الحياة اليومية، أى بما لا تصلح الحياة الفردية لأن تستوعبه كاملاً بالآثار، بله أن تستوعب عبداً منه، وذلك مثل اللغة باعتبارها وصفاً جماعياً أو الدين باعتباره كذلك.

كما يجب أن يكون الوصف فعالاً، أقصد بذلك أثره فى تغذية التفاعل الذى يربط بين المتضمنين به ليمكن لديهم الشعور بالانتماء، لأن الجماعة عندما تنشأ إنما تكون ذات تميز عن أفرادها. وإذا كان أحاد الأفراد هم من تتشكل منهم، فإنها تكون هى من يقيم الوصف المهيمن عليهم، ولا منافاة بين إسهام الأحاد فى المشاركة وبين انتمائهم وعضويتهم من بعد ما تشاركوا فيه؛ فإن من ينتمى لدين معين باختياره إنما يخضع من بعد هذا الدين، ومن ينضم إلى نقابة أو لحزب مثلاً يمثل من بعد لقرارات ما انضم إليه بإرادته، فاهيك عن أن يكون الانتماء إلى الجماعة لم يتم بموجب توجه إرادى طوعى لواحد من بدائل اختيارية متساوية، وإنما يكون جرى بموجب وصف لصيق لا يملك تعديله أو الخروج منه بالطواعية السهلة المبررة. لذلك فإن أوصافاً بشرية مثل طول القامة أو وزن الجسم أو مستوى التعليم لم تصلح أبداً أن تكون وصفاً فعالاً بالمعنى المقصود هنا. والأمثلة ذات التكرار فى التاريخ



ج. الشرقى ٢٠٠٤

والانتماء والدولة

مع ما يجري على النخوة العربية شرقاً وجنوباً، ومع الدعاوات الـ «شرق أوسطية» الملحة والملاحقة، يرتجح علينا العريى. إن لم يكن بفعل قذائف تنهمر علينا هنا وهناك، فتحت وطأة أسئلة ثقيلة وصعبة.

ببؤثر الحديث، يعلو حيناً ويخفت أحياناً أخرى، عن إعادة رسم خرائط المنطقة، إن لم يكن حدوداً سياسية على الأرض، فحدوداً للقوة والمكانة والنفوذ. فضلاً عن محاولات لتدوين الانتماءات والمرجعيات، أو على الأقل تهميشها. ويغض النظر عن مدى واقعية هذا الحديث، أو قدر المبالغة فيه، تبقى العوامل الديموجرافية وطبيعة تكون الجماعات السياسية رفقاً أساسياً في المعادلة. وكيس العراق والسودان، بل وحتى سوريا ولبنان، لا مجرد أمثلة. كاتبنا ومؤرخنا طارق البشرى، المشغول دوماً بقضية المواطنة، ينظر في التاريخ والجغرافيا ليقدم لنا منهجاً للنظر في تشكيل الجماعة السياسية وحركتها.

المحور



لم يحتل الغرب الأرض ويستعمر الشعوب فقط، ولكنه انتهك الجماعات السياسية في توحيدها وتكاملها، وقسم الأقطار والأقاليم لا على وفق هذه الجماعات، هذا الفعل الاستعماري كافحته حركات التحرير، ولكن لم تلغ منهجته



في التقسيمات الحاصلة منه

كله، وأن تاريخهم هو ما يقاس به تاريخ شعوب العالم جميعاً. ولكن الأوروبيين أنفسهم، والغربيين بعامه، لم ينقش هذا التصور من بعد، فإلى الوحدة التي أسسها الماركسية في وحدة عقيدية وقامت في داخل الفكر الأوروبي وحركته السياسية، وكانت تنقض التكوين القومي، كما أن الحركة الصهيونية نشأت هي الأخرى في الرحم الأوروبي وهي تقيم وحدة انتماء أساسها الدين اليهودي. ثم العولمة الآن ترد من أقصى الفكر الغربي، من الولايات المتحدة الأمريكية.

وإن وحدات الانتماء هي «مكتبات»، تتواجد وتترزح وتتبدل الترتيب والتأثير وفقاً لعوامل تاريخية أخرى، تمكن من ظهور بعضها وخفوت الأخرى، من سيادة بعضها وحكمتها على غيرها. حيث سادت الفيلة كانت هي الانتماء الحاكم، وكان اختلاف المعتقد يشكل

للأوصاف الفعالة ذات الأثر في تكون الجماعات، إنما تتصلق بالعقيدة من الأبنان إلى الماركسية، وباللغة مثل القوميات، وبالنسب مثل القبائل والعشائر، وبالإقليم الجغرافي. والعنصر الفعال، هنا، هو ما يمكن للصبرورة التاريخية أن تشكل من تفصلاتته مناصباً لتسيام الجماعة السياسية، وما تشكل تفاعلاته قوة تملك لأفراد هذه الجماعة ووحداتها الفرعية المتعددة. والفاعلية هنا يتحول بها العنصر المكون للجماعة إلى معيار معرف للجماعة يجمع أفرادها ووحداتها ويميزهم عن عداهم، لأن الفاعلية أو التفاعل بموجب كونها صبرورة تاريخية، تتشأن إدراكاً ذهنياً بالتوجه والمشاركة العام داخل الجماعة المعنية، كما تتشأن شعوراً وجدائياً بالانتماء لهذه الجماعة وقابلية للتأندراج بين وحدتها.

وقد سبقت الإشارة، إلى أن الأوصاف التي بنيت منها التصنيفات الأساسية المتكررة في التاريخ البشري للجماعات السياسية، كانت في الغالب الأعم هي ما يلي:

١. التصنيف القبلي القائم على وحدة الانتماء الأسري وعلاقة النسب.

٢. التصنيف العنصري القائم على وحدة الانتماء العنصري والرؤية الثقافية للكون والمجتمع.

٣. التصنيف القومي القائم على وحدة الانتماء القومي.

ويمكن القول بأن أيّاً من هذه العناصر المذكورة هو مثل المادة الخام، لا تؤنّي أثرها إلا بتفاعل يقوم بين وحدات من تضيهم، وهو تفاعل لا يتأني إلى بتوافر ظرفي المكان والزمان، أي الجغرافيا والتاريخ، فإن أمة قبيلة أو افرادها هي بيئة جغرافية معينة، ولا صبرورة تاريخية بما يتشأن ذاكرة مشتركة واشتركا في أحداث وأحداث وتكوين ثقافي واحد. وأقصد بالثقافة التكوين العقلي والوجداني معاً، أي التكوين الثقافي المشترك الذي يتيح للأفراد الفردي أن تندمج في «أنا» جماعية يقوم بها التضمير نحن. إن الشعور بالانتماء إنما يكون لتكوين كلى خارج عن الذات، ولكنها تكون قابلة للتأندراج إليه والاندراج فيه بموجب إدراكها لتحقيقها فيه.

وإذا كانت أوصاف الانتماء قائمة في الصورة السائدة، وأماهلها في التاريخ البشري المبكرة، فالانتماء إلى التاريخ وأجداله هو ما يصنع الوظائف التي تقوم بها هذه الأوصاف. واداً هناك أوصاف قائمة فيهم شعائر بالانتماء

انتماء محكوماً وتابعاً. ونحن نعرف كيف أن قريشاً وبني هاشم كانوا يحمون رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، رغم اختلافهم مع عدوته ورغم حريمهم، سواء وحيث سادت الوحدة الدينية، سواء الوحدة الإسلامية حتى المولى العثمانية، أو الوحدة المسيحية الأوروبية في القرون الوسطى، كانت التكوينات القبلية أو القبلية تشكل وحدات انتماء محكومة بالوحدة الدينية الشاملة هذه. وعلى العكس عندما سادت التكوينات القومية صارت الوحدة المؤسسة على العقيدة مما يشكل وحدات انتماء فرعية محكومة بالجماعة القومية. هكذا.

وفي الأدب السياسي الإسلامي كان تآز الجماعة مع بعضها البعض يسمى العصبة أو الوحدة الدينية الشاملة هذه. وفي هذا الشعور الداعي إلى نصرة الجماعة. وكان تحسينه أو تقييحه يتوقف على ما إذا كان يقوم بنصرة الجماعة ضد اعدائها فيكون حسناً مدمواً إليه، أو يقوم بنصرة جماعة فرعية ضد الانتماء العام فيكون قبيحاً منهيماً عنه. ومن هنا فإنه عندما تتراتب وحدات الانتماء بين عام وخاص وبين حاكم وتابع، بفعل ما يقوم في مرحلة تاريخية ما من ترتيب يسمون الجماعة الأشمل، فإنه يقوم لدى الجماعة العامة الحاكمة واجب أن تحمي الجماعات الفرعية المندرجة تحتها. أن تحميها من تهديدات الخارج وأن تحفظ لها نصيبها في الوجود الذاتي إزاء الجماعات الفرعية الأخرى. وفي إن لم تفعل، إن لم تقم بواجب ما نسميه الآن بالتحقيق التوازن بين الجماعات الفرعية، فإنها تنكسر وتفتك على المدى الزمنى المناسب لذلك.

ولذلك هنا عبارة رافيق العظم عندما قال، «للاجتماعات نظمات وروابط هي العصبيات، تكاد تكون بطبيعية بين البشر، أهمها الروابط العامة التي تجمع قوم أو القوام على كلمة واحدة، وهي رابطة الصبرورة أو الوطن أو الدين». وكل مجتمع منس في كيانه من المجتمع الأخر، ما لم يكن ذا رابطة تجله متكافئة معه في القوة، ترافعيها النسبية في القوة بية الرابطة، فكلمة التخذ المجتمع رابطة أوسع حتمت على الآخر أن يتخذ ما يقابلها... أو لا يصح أن نقال أية رابطة أو صبرورة رابطة أو عصبيات على منها، عشيرة كانت أو عشيرة أو دينية. وكان يقول ذلك ليزكي الجامعة الإسلامية بدمشق وفي ظروف الهجمة الأوروبية العامة على الديار الإسلامية. وهذا الذي ركاه.

وقتها - لم يحدث، ولذلك

تراء فيه الوحدات القبلية أو اللغوية أو الدينية، هو الذي تشكلت به الحدود الأولية، كل إقليم أو قطر أو سقّ في بلد ما أطلق كل من البلاد الإفريقية أو بلاد ما أطلق عليه «الشرق الأدنى»، و«الشرق الأوسط»، و«الشرق الأقصى». باعتبارها مناطق دولة توصل لا بوصف ذاتي يتعلق بأى منها، ولكنها توصف بمدى قربها أو بعدها عن المكان الأوروبي، وذلك بما يفيد خبرتها من أية أوصاف ذاتية تتعلق بجماعات التي تحيا في أي من هذه المناطق.



وقد جاءت هذه الحدود السياسية في القاطنين للأقطار، بموجب موازين القوى بين الدول المستمرة، لذلك تم إقرار الجوانب السياسية الاجتماعية بين البشر، ولم تراعِ الوحدات القبلية متلا الشرا والافريقية، ولا راعت الكوئيات القبلية والسياسية، فصارَت وحدت التسمية، الجمعية هي كل من التسميات، لتوربين التمدد داخل حدود تقسيم بلد في عدم الامتثال؛ بل جاءه أجراء هي داخل كل قسم جملة متساوية وتساوه من قومه خارج حدود هذا التقسيم. وهذا يظهر واضحا في يظهر هي بلدان افريقيا من حيث التداخل والامتداد والتناهي، ومن حيث تقسيم الجحاش والمناشير، وجميع المناشير والتناشير، والنسبة للبلاد العربية، لا يظهر هي التي يصار إليها سوريا بالافريقية والافريقية، على بعض إنبان متلا وأعضا، وما الذي يجمع بين العراقيين بعضهم من بعض، لا يظهر هي من الخليج العربي شرقا وغربا إليها، وما الذي يفصل الجزيرة السعودية عن أجزاء من شرق الجزيرة العربية من حيث الجحاش القبلية والعنصرية فضلا عن قودع الدليل والدين والتاريخ، ولا يعرف جميعا لا اعتبار باد قليقيا سياسيا منفصلا عن اليمن. والنسبة لبكستان وأفغانستان لا يعرف سياسيا بعضا، ولكن لا يسميهم عن باكستان وضم إليها باكستان الشرقية التي لحرفها بمملكة البنغال التي انفصلت من بعد وكوتو دولة أفغانستان.

والاستعمارية على خلاص إقليمي
ويعتبر مؤازرين القوى بين الدول
الاستعمارية بعضها وبعض، لأن الدول
كان أمر القسام وتوزيع، وهو أمر اعتقدت
له المؤتمرات الأوروبية عندما استمدت
الحاجة إلى التوزيع القطاري والأقاليم،
كما حدث في مؤتمر برلين ١٨٨٤، ١٨٨٥
التي قسمت فيه الأقاليم أفريقية بين
الدول الاستعمارية الأوروبية، كما حدث
أيضاً في اتفاق ستافس كيركس ١٩١٦
والتي عقد شرق آسيا الحرب العالمية
الأولى بين بريطانيا وفرنسا لاقتصاد بلاد
الشرق والغراق بعد الهزيمة المتوقعة
للدولة العثمانية.

من ذلك ما يظهر أن التكوينات
المبائية التي ظهرت، من أواخر القرن
التاسع عشر وأوائل العشرين لم تكن
تتطابق مع تكوينات الجغيمات المبائية
حسب أي من معايير التوزيع التي
تجسد هذه الجغيمات وتبديرها عن
غيرها، سواء كانت نسبية قبلية أو قومية
أو دينية تعقيدية، كما عكست أكثر ما
عكست مؤازرين القوى بين الدول
الاستعمارية، أو بالنسبة لكل نماء إزاء
الأخرى، أو بالنسبة لسابق وجودها في
الإقليم المعنى، أو بالنسبة للأهمية
الاستراتيجية والجغرافية للإقليم أو قطر
المزمن بالنسبة لدول استعمارية معينة
إزاء الدول الاستعمارية الأخرى.

وهذا التقسيم الذي رويعت فيه
العلاقات الدولية للتسعين، وبما لم

وما لا تزال تتلحاحه صفعاً ما، وهذا ما عبر عنه المؤرخون والكتّاب الأوروبيون باسم «الطامة الشرقية» في القرن التاسع عشر. ما عبرت عنه السياسة البريطانية وقتها باسم «الرجل العملاق المريض» الذي يحرصون على استبقائه مرضعاً لكي يستثمروا الفرض في الاقتطاع من جوده إرثاً.

في ١٨٢٠ احتلت فرنسا الجزائر، وفي ١٨٣٠ احتل الإنجليز مدن السيطرة على باب المندب جنوب البحر الأحمر تأمينا طريقهم إلى الهند، وفي ١٨٤٢ احتل الإنجليز مصر للسيطرة عليها للسيطرة على شمال البحر الأحمر، وفي ١٨٨١ سيطرت فرنسا على تونس، وفي ١٩١٢ سيطرت الفرنسيون على المغرب وسيطروا على طرابلس في ليبيا. وفي ١٩١٤ احتل الإنجليز أرض الأناضول للسلطنة العثمانية.

في ١٨٩٩ شن العراق على ليبيا، في ١٩١١ احتل على السودان في منابع النيل، وفي ١٩١٤ اقتطع الصومال بين الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين فضلاً عن الأحباش، واقتطعت أفريقيا جنوب الصحراء بين الإنجليز والبرتغاليين والبلجيكي والفرنسيين والألمان.

لقد من ذلك أن أوضح أن عمليات الاقتطاع الاستعماري لم تدع التكوينات الجامعة التي تقوم به وتتخذ سياسة وحدانية إنما شعبي، ولا كان هدفها أن تصون أمر من ذلك، إنما كانت الاقتطاع حسب قدرته المالية للدولة.



إسباغ وصف "دولة" على إقليم معين
إنما جرى - لا بسبب يتعلق بالإجماعة السياسية
ذات الوجود المتجانس التي تعبر عنها هذه الدولة
وتشخصها جماعة ومصالح - إنما صارت الدولة تنشأ
أولاً لا حتماً خارجي، ويترسم حدودها الجغرافية
وفقاً لهذه الاحتياجات



انكسرت الجماعات الإسلامية المفككة
أمام الطغيان الأوروبي في بداية القرن
العشرين.

[५]

إن ظاهرة الاستعمار التي عانت منها بلادنا كانت أقصى أثرها ما يبدو من الكثير من الدراسات التي عالجتها وأخصاها السياسية والاجتماعية واقتصاديا. وما شكنا في الحياة. ولذا ذلك لأنها عادة ما تعالج هذه الظاهرة في نتائجها وفي مقارنتها مع سياق ذلك مسألة خارجية متميزة عن سياق الخطوط والتغييرات التي يعيش كيان الجماعة السياسية، ونظم إدارتها، ووظائفها الفعلية لكل من إرثها، وحملات التغيير التي تنفذها، وإن ما يمس ذلك في الحياة الواقعية، وإن ما يمس ذلك في الموضوع الذي نتعرض له في هذه الورقة. أما يتعلق بالجماعة الوطنية أو الجماعة السياسية بعامه، وينظم إرثها، ونحن عندما نشطر في الشرائح المعاصر لبلادنا الإسلامية، وأعرية، نلاحظ أن كل نهاية القرن الحاضر عشر للجماعة السياسية الحاكمة في إدراك المواطنين، في الجماعة الإسلامية التي قامت على أسس حفظ الجماعة السياسية برباط الدين الإسلامي، وكانت الدولة المختصة لها في إدراك المواطنين في الدولة العثمانية، وفي الشاطئ الحضاري. القليل في أوروبا، وأوروبا العربية خاصة، كانت الجماعات السياسية الخاصة التي تلوثت على أسس الجماعات القومية التي تقو برباط لشعب، وقامت على أساسها الدول المستقلة.

وإن ما حدث لدينا في الشرق لم
يجر على المنوال الأوروبي الغربي، من
حيث بقيت التناثر الإقطاعي متمكناً،
ولم يتطور الجماع الفئوية في حركات
مخيلة ونشوء لدول القومية، وذلك من
سبب اختلاف التشكك وإعادة التصنيف
والجمع الذاتي، إنما جرى لدينا على
أساس إضعاف الدولة العثمانية القائمة
على أساس الدين، أو بعبرة أقل استغلال
ضعفها الذاتي والتفاني بإبهاؤها على
الحلحالة من الوهن ومن فقدان القدرة
على النهوض، ومن السعي لإفشال
حركات الإصلاح التي بدأت حيناً مبشرة
بالنهوض، بل لإقحام لإتساع أخلاء هذه
الدولة شلواً شلواً، حسبما تسنح الظروف
في أي القوى السياسية الأوروبية
الطامعة في استعمار هذه البلاد. وإن
الظروف تسنح لذلك وفق موازين القوى
في الدول الأوروبية المتنافسة، ووفق
ظهور الصراخ التاريخي لاستعمار تلك

تداخل بشري كثيف ومن تزامم وتفاعل
موجد في القصور والخيرات التاريخية
والتكوين النفسى المتجانس، وكل ذلك
صحيح جداً، ولكنه رغم صوابه ينطوى
على نقص خطير يتعلق بنظام الانتماء
البشري، ذلك أن الحدود الجغرافية لمصر
تنحصر عن أن تستوعب أوضاع أمنها
القومي، ومصدر الحياة لمصر شعبها هو
مصدر شبه وحيد، وهو نهر النيل، وهو
نهر واحد، وهو يأتى بمياه من مصادر
تبتعد عن مصر بمسافات تتراوح بين
ألفى كيلو متر وثلاثة آلاف كيلو متر من
حدود مصر الجنوبية، فمصر باعتبارها
كائناً جدياً (بشرًا وحيوانًا ونباتًا) توجد
أمامها خارجه جسمه، أرايت إلى النخلة،
تريد أن تقصّل تاجها وجزءها العلوى عن
جذعها وجذرها، ومن جهة أخرى، فمصر،
أغلب ما جاءها من إغزو العسكرى أو
التهديد بالغزو إنما جاءها من حدودها
الشمالية الشرقية، وتسأ في مجال سرد
تفاصيل التاريخ في هذا المجال، ولكن
واقع الخبرة التاريخية يظهر أن مصر
ومنطقة الشام والحجاز منطقة أمن
واحدة، ولا ظن أن النظرية العسكرية
الحالية في بدايات القرن الحادى
والعشرين قد عدلت من هذا النظر وما
خلصت إليه خبرة التاريخ، وكتابات
العسكريين في هذا الشأن، وحتى اليوم،
سافرة الدلالة، واضحة المعنى على أن
أبداً من العسكرى لمصر يور في منطقة
تسمى من باب التندب جنوب البحر الأحمر
شرقاً وغرباً إلى شمال سوريا شمالاً
بشرق.

وهذا يبين أن هذا الكائن الحى الذى
اسمه مصر، توجد أمامه خارجه جسمه
في الجنوب، ويصوب الرصاص إلى رأسه
من خارج حدوده المتاخمة شمالاً بشرق.
ومن هنا، فإن الجامعة المصرية، وإن
كانت متجانسة صاماً من الناحية
البشرية والثقافية والتاريخية، إلا أن
القسم الغالب من أمنها يقف خارج
حدودها، فهي غير متكاملة، وإن هذا
الحد الذى حدث بها مصر ليست إلا
نتاج عمل استعماري غريب أقرته وقلعته
معاهدة لندن في ١٨٤٠، ورغم هذا الحد
في لندن، ولم تجتمع الدول الأوروبية
الكبرى على أمر كما اجتمعت على هذا
الأمر وقتها.

[٣]

عندما ظهرت حركات التحرير
الوطنية في بلادنا، كان من الطبيعي أن
تظهر في كل قطر وفي حدوده، وذلك
لاختلاف الظروف السياسية
والاجتماعية التى جدت، ولاختلاف

أساليب حكم كل إقليم والتنوع الكبير
للواسط المستخدمة في الاحتلال،
وأنماط الحكومات، وطرائق التعامل.
وكان لكل دولة استعمارية أساليب
تعامل تختلف عن أساليب تعامل الدولة
الاستعمارية الأخرى، كما كان لطريقة
التي وقع بها الاحتلال أثر في تحديد
للاحتلال، كما أن طريقة مقاومة الشعب
المحتل أثرت في تحديد وجود التعامل
الاستعماري معه، فضلاً عن أن الهدف
من الاحتلال، شدة معديته أو حيوانية
أو طريقاً عالياً، كان له أثره في التحديد،
وكذلك، تأثر أساليب حكمه بالمرحلة
التاريخية التى جرت فيها والقيمة
الاحتلال والحكم عن قفير أوضاع القارة
الأوروبية وبلدانها على مدى القرون من
الساس عشر إلى القرن العشرين،
واختلافات تطويع أدوات الحرب ووسائل
الاتصال وتغير الثقافة الاستعمارية،
ذاتها بحكم النمو والانتشار وتغير موازين
القوى بين القوى الاستعمارية من جهة،
وبين كل منها والبلد المحتل من جهة
الأخرى.

يضاف إلى ذلك أن حركات التحرير
ومقاومة السيطرة الأجنبية، لم يكن كل
منها فقط على تنوع وتباين بين الحركات
التحريرية الأخرى، بل قام أحياناً بين
بعضها البعض أنواع ودرجات من الصراع،
ونتج هذا الصراع أو التباين بسبب طبيعة
الصراع وأنواعه أحياناً، أو بسبب سياسة

التحالفات أحياناً أخرى، وبالنسبة
لصيغة الصراع، وهل يكون سلمياً حيث
تتبع الظروف له ذللاً، أو عنيفاً حيث
تضطهر الظروف إلى العنف، فإن ذلك
يولد درجات من عدم التفهم بين حركات
التحرير المتجاوزة أو تلك التى يضمها
سباق واحد، يمثل ما ظهر التباين بين
حركة التحرير العنيف في الصين مثلاً
وبين حركة المقاومة السلمية في الهند،
فإن ذلك يجعل قوى التحرير الوطنى
متعارضة من حيث الطبيعة السياسية
والانتقاء الشيعى من طبقات وفئات
معينة، ومن حيث الثقافة السياسية



أما الاختلافات الناتجة عن سياسات
التحالفات بين حركات التحرير
والحركات الثورية، فيسهل ملاحظة أن
أية حركة تحرير أو مقاومة إنما تتطلع
دائماً إلى عدو يأتها من خلفاء لها في
الخارج تقوى به ضعفها، وتستعين به -
فيما تستعين - على مواجهة جبروت
الاحتلال والاستعمار. وإن التنافس
الضديد الذى عرفته الدول الاستعمارية
بعضها ضد بعض، أساليب حركات التحرير
التي تستند كل منها إلى الدولة
الاستعمارية المخافسة، وكل يلجأ إلى
خضم عدوه، يستمد منه الدعم، فتصارع



حركات التحرير الوطنى إن كانت
استطاعت أن تزيح الاحتلال الأجنبي
الاستعماري عن أراضيها في داخل أقطارها
إلا أنها احتفظت بالحدود الإقليمية
والقطرية التى سبق أن وضعتها
الفترة الاستعمارية



الحركات الوطنية في حركة معاكسة
لتصارع الدول الاستعمارية.

وجدنا الحزب الوطنى المصرى في
بداية القرن العشرين يستعين بغربنا
ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر، ووجدنا
الحركات الديمقراطية العربية في الشام
يستعين بعضها بالإنجليز في مصر ضد
حركة التشريك التى ظهرت وحكمت
الدولة العثمانية بواسطة حزب الاتحاد
والترقى، وذلك قبل الحرب العالمية
الأولى، ووجدنا حركة التحرير في عدن
تستعين بإمام اليمن ضد الاحتلال
الإنجليزى، في حين أن ثوار اليمن ضد
إمامهم، كانوا يركنون إلى الإنجليز في
عدن، ثم وجدنا في النصف الثانى من
القرن العشرين، أن حركة التحرير
العربية تستعين بالجليف الروسى ضد
القطبان الروسى الأمريكى الصهيونى،
بينما كل من إيران وتركيا يشعرون
الاطماع الروسية التاريخية في بلادهم
المتاخمة لروسيا، ويكرنون إلى الدعم
الأمريكى الغربى لهم، وهذا التطلع
يشجع حكومات إيران وتركيا وقتها على
التحالف مع الغرب والشاء القواعد
المصرية في بلادهم لصالح الأمريكى
الغربى العام.

بذلك اصطبغت حركات التحرير
بالتابع القطرى الإقليمى الذى يلتمز
بالحدود السياسية المصروفة عليها بفعل
الاحتلال الاستعماري والتقسيم الذى
أجراه، لأن أساليب العمل عندما تتحدد
بطريقة معينة وتشهد بإمكانات
المناخية لها، وتتحدد في غايات تتوافق
مع هذه المكائت، فهي أيضاً تنعكس على
التشكل الثقافى والرؤية الذاتية،
وتتحدد بها مناهيز للأحداث، فتكون
الحدود القطرية المرسومة على الأرض
وفي الخرائط، هي ذاتها تقوم بها حدود
فكرية ومنظور لدروية يتحدد بها، وفقاً
للأهداف المحددة وللأساليب المتاحة.
ويختار الرجال العاملون في هذا الإطار
ضمن التكوين الاجتماعى والطبقى
والثقافى، ثم تتراكم خبراتهم العملية
في هذا الإطار أيضاً، فتتشكل الحركة
بوصفها حركة إقليمية قطرية، أيًا كانت
الدعوى النظرية التى يتشدق بها
البيض.

اضرب لذلك مثلاً من الحركة
الوطنية المصرية المقاومة للاحتلال
الإنجليزى في النصف الأول من القرن
العشرين، كانت حركة تهدف لإجلاء
الإنجليز عن مصر واسترداد وحدة مصر
السودان، وكان يفصل مصر عن
السودان حد رسم عند خط العرض رقم
٢٢ شمال خط الاستواء. ورغم أن
الوطنيين المصريين وضعوا
مطلب وحدة مصر مع



السودان وضعاً مثيراً لخطاب جلاء الإنجليز عن مصر فإن المكثات السياسية لحركة التحرير المصرية قُصرت عن أن تتخطى خط العرض المرسوم، وكانت تشكل تشكلاً مصرانياً بحثاً ليس للسودانيين فيه نصيب، وكانت تشكل بمرعاة إمكانات المواجهة مع المستعمر في نطاق الظروف المصرية، ومن حساب لما تستلزمه أهداف الوحدة مع السودان من أنواع مواجهات مختلفة. وتحدد الفعل المصري المكافح في إطار الحرية المحدودة بطروق مصر فقط، لذلك لم يكتب لهذا المطلب المصري الجاد أي نصيب من التحقّق، ولا وسعت الخبرة المصرية ظروف السودان وشعبه. وأضرب لذلك مثلاً آخر، يتعلّق بتجربة حزب البعث العربي في بلاد الشرق العربي، وهو حزب واحد، ولكن تكويناً قومياً بقيادة واحدة، ظهرت في سوريا وأرض الشام، ثم صار ذا فروع في بلاد عربية عديدة، ومعلّية الأساسي، بعث العربية الحديثة، والوحدة العربية، وكان أقوى انتشار له في سوريا والعراق، وتولى فريق البعث في كل من البلدين الحكم في بلاد مستقلة عن الآخر في عملية سياسية انتهت بطروق كل بلد مستقلة عن الآخر، وفي أوقات منفصلة. وما لبث الفريسيان أن تدايروا وصارت بينهما من الجفوة السياسية الحزبية والكوميّة، ما يكون من خصام القراء المتأففين المتضادين، واستخدمت آلة الدولة في كل من البلدين ضد مويدي الفريز الأخر من مواطنيهما.

وفصلاً عن ذلك، فإن حكومات هذه الأقطار كانت شأت في الإطار الإقليمي الذي تحد على وفق التقسيمات التي رسمتها موازين القوى الاستعمارية حسبما سلفت الإشارة، وحيثما كانت هذه الأقطار منسلخة من جماعات أخرى ومن دول قديمة سابقة، لم يكن لديها جهاز حكومة قديم مستقل مدرب على ممارسة الحكم وإدارة شؤون الجماعة المحكومة. ومثل هذه الأقطار ساهم بالاحتلال الأجنبي في تشكيل أجهزتها الحاكمة وفي تشكيل إدارتها، وبعضها تشكل من أقليات دينية أو عرقية أو قبلية ليسهل إحقاقها بسياسة الاحتلال، وبعضها تشكل من فئات لم تكن من النخب التي شاركت سابقاً في الإدارة، حتى يسهل ارتباطهم بسياسة الاحتلال من حيث المصلحة، ومن حيث الخبرات المكتسبة التي لا تزامنها خبرات تقليدية قديمة، إلى غير ذلك من الاعتبارات التي تجعل فئة الحكم والإدارة الجديدة أكثر موالاة لسلطة الاحتلال القائم، منها إلى الجماعات أو الجماعات السياسية التي يضمها القطر المحتل أو الإقليم، ويستثنى من ذلك أقطار مثل

مصر التي لم تتعدد فيها الجماعات السياسية المتخارجة على الاختلافات الدينية أو العرقية أو القبلية أو العنصرية، وإن كانت هذه الأقطار لم تكن تحكم جماعة مكمّلة، جميعاً سبقت الإشارة عن مصر.

والحاصل أنه عندما انتصرت حركات التحرير في النطاق الإقليمي القطري، كل حسب ظروف نصره وأزمان نصره، سيطرت على حكومات بلادنا في النطاق الإقليمي القطري أيضاً، ولم تتجاوزها بطبيعة الحال، وإن حركات التحرير الوطني التي سيطرت على دولها وأجهزتها الحكم في أقطارها، وإن عدلت وحورت من أجهزتها الحكم السابقة بما يتناسب مع السياسة الوطنية الجديدة، وهي وإن غيّرت في تشكيلات كبار العاملين في هذه الأجهزة وأحلت محلهم من انصرها ودوّ نظرتها وسياساتها المستقلة المتحررة، إلا أن نطاق الحكم ظل قطرياً وإقليمياً، واصطبغت حكومات التحرر الوطني بالصبغة القطرية الإقليمية، ولم تستطع أن تتجاوزها لا من حيث السياسات ولا من حيث الخبرة وتراكمها، وعكست في ذلك أوضاع التقسيمات القديمة التي ألت إليها من عهد الاستعمار.

والأخطر من ذلك، أن حكومات التحرر الوطني استمر معها قيام الفصوة بين جماعة سياسية وجماعات سياسية شعبية متعددة وغير مكمّلة، فهي

متعددة داخل الكيان القطري الإقليمي الواحد الذي تحدد بالسياسات الاستعمارية وموازين التناقص بين الدول الكبرى، ولم تكتمل على حدود الجماعة السياسية وفقاً لأي من التقسيمات الفاعلة في هذا الشأن، أي لم تكتمل تكامل الفرنسيين في فرنسا ولا تكامل الإنجليز في بلادهم، إنما قامت وفقاً للحدود الإقليمية والقطرية التي سبق أن وضعتها الفترة الاستعمارية التي قامت بعدها حركات التحرر الوطني وانتصرت عليها في القطر المحرر سابق الاحتلال.



وهذه مفارقة مثيرة، فإن الفعل الاستعماري الذي قامت به الوحدات القطرية الإقليمية، والذي لم يحتل الأرض ويستعمر الشعوب فقط، ولكنه انتهك الجماعات السياسية في توحيدها وتكاملها، وقسم الأقطار والأقاليم لا على وفق هذه الجماعات، هذا الفعل الاستعماري بوجهيه كافحه حركات التحرير فيما يتعلق بالاحتلال والاستعمار، ولكن لم تلغ مشيئته على التقسيمات الحاصلة منه، وما أدت إليه من تزيق وتعثر للجماعات السياسية المعنية. وأكثر من ذلك فإن حكومات التحرر الوطني أبقت هذه التقسيمات



الجماعة المصرية - وإن كانت متجانسة تماماً من الناحية البشرية والثقافية والتاريخية - إلا أن القسم الغالب من أمتها يقف خارج حدودها، فهي غير مكمّلة، وأن هذه الحدود التي حدت بها مصر ليست إلا نتاج مجمل استعماري غريب



واعتمدتها وأرجأت النظر فيها، إما دعماً لها من بعض هذه الحركات وحكوماتها، وإما تقادياً لصرعات تشاً ولا يُعرف لها مأل بالنسبة لحكومات التحرر الوطني حديثة التشكيل.

ولعل أهم مثال على ذلك ما حصل بالنسبة للدول الأفريقية حديثة الاستقلال في الستينيات من القرن العشرين وما بعدها. فقد قامت منظمة الوحدة الأفريقية في ١٩٦٣، ووقع ميثاقها في ٢٥ مايو ١٩٦٣ في أديس أبابا من اثنتين وثلاثين دولة مستقلة، زادت بعد ذلك بما انضم إليها تبعاً من الدول التي استقلت، وكان ذلك غير موضوع الحدود لهذه الدول مما سبب لاستعمار التحرر من القارة أن فرضه. واختلف الأعضاء فيما إذا كان ينظر في إعادة رسمها وفق الجماعات السياسية الشعبية أم لا، ولكن الاتجاه الغالب رجح بوضوح الإبقاء على الحدود كما هي. وهذا الاتجاه ذاته لم يشأ أن يطرح صراحةً مبدأ المحافظة على حدود بوصفه حكماً في الميثاق، لا لعدم الاقتناع به ولكن خشية ألا تحظى السلطة على البلدان بالإجماع المطلوب، وأن يكشف الخلاف ويتطرق في هذا الشأن، وأنهم من المحافظة على الحدود الاستعمارية السابقة. صارت مبدأ لدى حكومات الاستقلال الوطنية، وإن استمسكت دول التحرر الوطني بميراث الحدود الإقليمية الذي ألت إليها من الاستعمار.

ونحن في عالمنا العربي نعرف أيضاً ما حدث من تسلك بحدود اتفاقية سايكس بيكو في بلاد الشرق العربي، فقد ظلت بعد الاستقلال في الأربعينيات من القرن العشرين على ما كانت عليه أيام الاحتلال الفرنسي الإنجليزي لهذه البلاد، إلا ما حدث في فلسطين مما كان له شأن أول، وقد ظهرت بعد ذلك مشروعات توحيد باسم «الهلال الخصيب» تضم بر الشام كله والعراق، ومثل سوريا الكبرى، تضم بر الشام كله، ولم يقض شيء من ذلك إلى شيء في الواقع.

ومصر، بترت عن جاراتها في الشمال الشرقي، أي في بر الشام، منذ اتفاقية الإنذار العثماني، مع بقائها الشكلى في حدودها، مع بترت عن حدودها الجنوبية مع السودان بعد الاحتلال الإنجليزي لها في ١٨٨٢ وإبناهم الوجود المصري في السودان، ثم إعادة فتح السودان لصالح الإنجليز وإبرام اتفاقية ١٨٩٩ حول هذا الأمر، وظهرت دعوة وحدة وادي النيل بين مصر والسودان، وهي دعوة صئ، لدعوة الجلاء البريطاني عن مصر، ولكن تحقق الجلاء عن مصر في ١٩٥٦ في ذات الوقت وفي ذات السنة التي

تحقق فيها الانفصال بين مصر والسودان، بجلاء الإنجليز عن السودان بموجب اتفاقية ١٩٥٣ ونشوء حكومة السودان المستقلة في ذات السنة.

$$[\epsilon]$$

إلى الاستعمار ليس عدواناً فقط وليس ظاهرة سياسية عسكرية تأتي من تهيب مغررة، وكهنة مثل أي مؤثر سياسي جماعي تاريخي ذي فاعلية، بل آثاراً وغيرهم من أوضاع، وأن وجوده من شأنه أن يغير من هيكل الأوضاع التي كانت قائمة قبل وفوده، ويغير عناصر تلك الوجود، ويهيئ أيضاً عناصر تغيرت كانت قائمة قبله، وكانت هي ما تسبب في تحقيق الاحتلال، ولكن نشأت في ظله عناصر قوية جديدة من أنواع مستحددة لم تكن قائمة، كما تنشأ في ظلها عناصر ضعف وهوان واضطرار جديدة من أنواع مستحددة أيضاً لم تكن قائمة بهذه الصورة أو الكيفية من قبل، أرايت إلى الشخص يعرض لعل فيه، ما يورثه المرض عللاً جديدة لم تكن فيه، فإذا أبلى من مرضه الأول لزعم علاج جديد لعته الطارئة.

وأظهر مثال على ذلك، ما سبقت الإشارة إليه، من أن الاستعمار بإمكاناته الذاتية وموازن علاقته مع الدول الاستعمارية الأخرى، قد أنتج تقسيمات وحدوداً للأرض المتعلقة به لكن قائمة بهذه الصورة من قبل، وهذه المؤسسات والتقسيمات نشأت في ظلها مؤسسات حكومت في نشاطها بهذه المناطق، سواء كانت تحديت جهود الاحتلال المؤدية له، أو حركات التحرر والمقاومة لهذا الاحتلال، نشأ ذلك مصحوباً هذا خصائص المناطق المشروية فصاروا هذا الخصائص الإقليمية نظرية محدودة بهذا النطاق.

أرايت إلى الحادثة تنضبط في وهاء أو
تنشأ منضبطة في هاء، فإذا انك الوعاء
منها وسقطت بقيت هي في تشكيلها
الداخلى تتخذ حجم الوعاء انك
وقد، وتنامى وظاهرها في الهاء الطاق،
لأنها بقاءاتها وإمكاناتها صارت
محكومة بهذا القدر، كما أن علاقاتها
الداخلية ودرجاتها الذاتية بين أجزائها
صارت مترابطة على هذا الوضع، وحيث
إن امتدت أطرافها وتباعدت أصولها،
فإنها تتفكك وتتسحق. ومن هنا تقوم هذه
الذاتية - من حيث تدري أو لا تدري -
بالحفاظة على هذا الوضع الراهن.

هكذا كان الشأن بالنسبة لحركات التحرر الوطني التي أجلت المحتل الأجنبي وأنهت فترة الاستعمار الغربي التقليدية السابقة، وهكذا كان الشأن بالنسبة لحكومات التحرر الوطني التي

ورثت عهود الاستعمار العنيفة، وحلت محلها في حكومة مجتمعاتها، صارت محدودة القد والوظيفة والفترة والنظرة في الإطار الإقليمي الذي مارست حركتها السياسية فيه من قبل الإطاحة بالسلطان، وصارت محدودة في كل ذلك من آفة الحكم التي ورثتها وشغلها من بعد جلاء المستعمر وحلولها محلّه.

ونحن نعرف أن التشكل العضوي لأي تنظيم سياسي حركي، من حيث صفات الأعضاء والمنظمين فيه، من حيث علاقات تبادل المعلومات والخبرات، وإساليب اتخاذ القرارات، والالتزام به وتنفيذه؛ هذا التشكل العضوي والوظيفي في التنظيم السياسي الحركي يصير هو ذاته التشكل الذي تبنى به الدولة التي سيطر عليها ونشأتها من بعد، وتشكلت به طرائق توزيع القرارات وإخاذاها وتنفيذها، وهو ذاته الذي تتحد به أوصاف الأعضاء والمنظمين، ومثل ذلك مثلا: فإن الوحدة الوطنية للمسلمين والأقليات قامت في مصر بموجب التشكل المختلط من ذوي النياتين من المصريين، سواء في التشكيلات الحزبية التي ظهرت في مصر طالب بالاستقلال واستكماله وإجلاء الإجماع في التشكل الذي بني به الجناز الدولة من بعد، لذلك لم تلم مشكلة حقيقية في صررتصل بهذا الشأن. أما ما بالنسبة للسودان، فقد أمر مختلف، إذ لم يبن أي من حركات

السياسة الخارجية في عصر بنوكيوتو
اشترك في معصيرين وسادسين واثنان كان
ذلك مما تشكلت به اجتهاد إدارة الدولة
في عصر صلا في الدول؛ والذ كان يكسب
الفرحة كان تتم به من الدول وسادسين.
الجهاز الكومسوي في كل من عصر
الدولة جواراً عوقلاً تحقيقاً ما في
إليه الجانبان من وحدة بينهما؛ إبقاها
من صالحها من التفرقت يقضيها؛ في مدى
النصف الأول من القرن العشرين.
ومثالاً فإن خبر من القصر في مصر
كما وضعا على أساس تكون عضوي
هندوسي في الأساس؛ ما لبث أن ظهر
جواراً خبره أو خبره الحصة الإسلامية؛
ورغم أن كان منها كان عاصراً للوجود
الاستعماري الإنجليزي في مصر؛ ولاهنا
أشد استمالة. العهد من الحكم

البريطاني، فإن هذا التركيب العضوي لتنظيم الحركة في صورتها الانفصالية لكل من الهندس والمسلمين هو حكم وتشكل الجماعة السياسية من بعد، وحمل في طياته القدر التاريخي المرسوم لانفصال مسلمي الهند عن هندوها، ونشوء جماعتين سياسيتين مستقلتين في ريع الهند الكبير وصرار لتكوين حركتين وتظيمين هو جنين التكوين لجماعتين سياسيتين، بعد صراع كون حكوميتين لكل من الهند وإسكستان اتفاقا صليدا دون تحقيق الوحدة بينهما من بعد. وكان الاحتلال البريطاني هو من أغرى خلا من الفرياديين بنشوء المستقل عن

الأخر، فقد صار هذا الشؤن نفسه عائقاً صلباً على بعد خروج الإنجليز من الهند، إلى الأمر إلى ما نعرف باسم «الاحتلال الإنجليزي» في باكستان، ومن وقوف باكستان في برائى الهيمنة الغربية، ومن تمسك الغرب بالإنجليزية مع الأمريكيين من الأفاد من عدا كل من الجاصتين الهنديتين الأخير، فاهلند الضميمة أقصى إلى الاحتلال الإنجليزي، والاحتلال الإنجليزي إلى التقسيم، وزال الاحتلال وقضى التقسيم، وقام الهنديون بمصق الخلافات بين أهاليه المولدين.



وفضلاً عن ذلك جميعه، فإنه إذا كانت الدولة النظرية في من معوقات الوحدة بين من يشتركون في جماعة سياسية محلية، وبين من يحتاجون إلى الاندراج في هذه الجماعة الأشمل ليستقروا على ما يوافقهم من مخاطر مشتركة فإن ما قد أيضاً - من القدرة على توحيد الجماعة الشائرة في جماعة أشمل، يتبع بوازون القوى بين حركات التحرر وبين القوى الاستعمارية وبخاصة والقوى الكبرى اعمامة. نلاحظ هنا على مدى القرن العشرين تحضي الاستقلال السياسي للأعمن من بلاد ما الشرق والقرارة التي كانت من تقسمها بين القوى الغربية الكبرى في منفتحته بين القوة النضال، ومع ذلك ورغم تحضي الاستقلال السياسي للغالب الأعظم منها، فلا كان للحلف والفرقة، حيث وندجت من بعض هذه القوى، بعضها الآخر.

وتتجاذب زعماء دماوى ولحم وادى الحلة
وعلم الحنايع الحقيقى للوجهة
الى تيارا جرد مؤثرة الى السيلين،
وتحقق الانضمام السياسى بين منتصف
الحسينيات، زعم وسوريا حقتنا
وحدة سياسية في 1968 وانشاءوا دولة
واحدة، وسط زخم سياسى دعوى لاهل
تركيبهم العرصة والتحقق لثالة
الوحدة، ويومع الحقيقى الحقيقى
بالخلق الحقن من وجود دولة إسرائيل
فهذهها الحلة الاقليمين المصري
والسورى فيما تهدد من اقطار العرب
والاسلمين وشوقهم، وقويوه سيطرة
الوطنيين الوجديين على الحكم الى
الاقليمين، الى شعب شعوى عام يشمل
العرب جميعا ويحتضنهم اهلهم

ومع ذلك، لم تستمر الوحدة أكثر من ثلاث سنوات ونصف (من فبراير ١٩٥٨ حتى سبتمبر ١٩٦١)، وكانت سياسات



الحدود الجغرافية لمصر تنحسر

عن أن تستوعب أوضاع أمنها القومي، ومصدر
الحياة لتصر وشعبها هو النيل، وهو يأتي بالمياه من مصادر
تبتعد عن مصر بمسافات تتراوح بين ألفي كيلو متر
وثلاثة آلاف كيلو متر. فمصر باعتبارها كائناً

حیاً توجید أمعاؤه خارج جسمه



الدول الفارسية منها أسهم في حدوث الانقسام، فضلاً عن التكوين المؤسسي الحكومي الذي سبقته الإشارة إليه. ومحاولات توحيد مصر وليبيا والسودان في أواخر التوحيد وأوائل السبعينيات لم تسفر عن شيء متحقق، سواء في عهد الرئيس جمال عبد الناصر أو في عهد خلفه الرئيس أنور السادات، وكانت الإزادة الوطنية تنكسر من دون ما تطمح إليه من توحيد، أو كانت المشيئة الاستعمارية تتفعل في الإزادة، الوطنية، لأي من الأقمار بما يفشل معنى التوحيد.

وبالنسبة لغير العرب حدث ذات الأمر، فإن باكستان انشقت دولتين بالانفصال بسنجالايوش عنها في السبعينيات، ويوغوسلافيا تناثرت دولاتها شاعاً في شبه جزيرة البلقان، ومع انهيار الاتحاد السوفيتي، سقطت منه الجمهوريات الإسلامية لوسط آسيا والواقفة في جنوبه، سقطت مكونة خمس جمهوريات، وهي إن كانت لم تجمعهما من قبل جامعة سياسية ووحدة انتماء أشمل مع روسيا القيصرية أو روسيا الشيوعية، إلا أنها كان حرياً بها ومع انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية السبعينيات أن تتجمع بهاجم الإسلام أو جامع قوميتهما الشرقية أو غيرها، ولكن لم يحدث شيء من ذلك، وما كان لروسيا ولا أمريكا ولا للغرب بهاجم - على تعارض مصالحه - أن يسبح بشيء من ذلك، يقوم في بطن آسيا في جنوب روسيا وغرب الصين وشمال الهند وباكستان وشرق إيران وتركيا، كما سقط من روسيا أيضاً جمهوريات البلطيق في شمال أوروبا عند روسيا الغربية، وتناثرت في بضعة جمهوريات منها أوكرانيا وروسيا البيضاء وغيرها من ساحل البلطيق غرباً إلى ساحل البحر الأسود جنوباً.

لا أخل أن وحدة جرت إلا ما كان من وحدة اليمن الشمالي مع جنوب اليمن المكون أساساً من عدن وحضرموت عند شاطئ بحر العرب والجزر الأحمر، وكانت هذه حالة هزيمة جرت في غفلة من الزمان الاستعماري، إن صح هذا التعبير التاريخي، ولعل من عناصر ما يحيط بهذا الحدث السياسي، أن زعماء الحدث كان يواكب به سقوط الثمانية الدولية وبدء انهيار الاتحاد السوفيتي دون أن يظهر بوضوح ما تستلزم عليه الأحوال، وأن المنطقة ذاتها لم تكن ذات أولوية سياسية تجعلها في بؤرة الفعل الدولي لملل الكبري، وأن الحكم اليساري السابق لعن كان انهياره يغير بديل داخلي معقول.

ولهم المقصود من ذلك كله، بيان أن حركات التحرر الوطني إن كانت استطاعت أن تزيح الاحتلال الأجنبي الاستعماري عن أراضيها في داخل

أقطارها، وإن كانت استطاعت أن تسترد قدراً مهماً من إرادتها الوطنية لتتوحي بها صالح شعوبها في هذه الفترة لما بعد الاستقلال، فإنها لم تستطع أن تحقق إرادتها الوطنية ولا أن تستجيب لموجبات توحيد الجماعات السياسية بما يصح لها الموقع الأمثل والأفضل في الإلغار الدولي، وإن كان ذلك بسبب عاملين أساسيين، أولهما: أن الإزادة الذاتية المؤسسات الوطنية الخطري صارت معوقاً للتوحيد، والثاني: أن موازين القوى الدولية لم تكن تكن من تحقيق هذه الأفكار التي تنشئ كيانات دولية ذات باس وقوة ومنعة.

[٥]

المواطنة - في طئي - هي واحد من وجود الانتماء للجماعة السياسية، لأن المواطنة هي صفة للفرد الذي ينتمى لجماعة سياسية معينة، قامت على أساسها الدولة، وللمبدأ النظري أن الدولة تعتبر المؤسسات ذات السلطان التي تدير الشؤون العامة للجماعة السياسية، وليس بموجب حاكميتها للجماعة وإدارتها لتشؤونها العامة، تكون ذات سلطة وأولية عليها، بقدر يفيق ويتسع، ويستند ويضبط، حسب التنوع الهائل الحاصل في هذا الشأن، ولكنه بموجب هذه الحاكمية يظهر إزاءه في المقابل وصف

المواطنة، بحسيانه وصفاً سياسياً يتحدد به الطرف الآخر للعلاقة مع الدولة، والمواطنة بذلك هي الصفة التي تتعلق بالفرد بما توافر فيه من وصف سياسي قامت الدولة على أساسه، والفاق، في طئي - بين، المواطنة، وبين، الجنسية، هو فارق بين الوصف السياسي وبين المصطلح القانوني، الوصف السياسي هو وصف والحق يستخرج من أوضاع الحياة المعيشية، ويتعين بالاستقراء مثل ظواهر الطبيعة والظواهر الاجتماعية، وهو بذلك يعتريه التدرج بين الظهور والخفوت، وبين التحدد والتداخل، وبين الانضباط والثرثرة، وبين التيسر والمرونة، بينما المصطلح القانوني يتحدد به مراكز لتسحق تكون ثابتة كما تكون بالنة وحاسمة، وتقطع بين الأمر وغيره، والقانون لا يحيط بالظاهرة إلا يحمي أفرادها، ولكنه يكتفي بما يتوافر، غالباً، فقط، لأن الضبط لديه أوتى، ولأن الظهور أجدي من حيث ما يتعيا من كفالة الحقوق وتعبئتها وتعيين الواجبات والتزام بها، ولذا كان الوصف السياسي يصدر عن أصحاب رأي في مجتمعهم، فإن المصطلح القانوني يصدر عن ذوي ولاية بمسلطتهم، ومن ثم يمكن التقرير وإن كان يتضمن قدرًا من التحكم.

فالمواطنة والجنسية، امران يشيران إلى ظاهرة واحدة تتعلق بالوصف الذي

يلحق الفرد بموجب انتمائه لجماعة سياسية قامت على أساسها الدولة. ولكن الأول يتناول رجال السياسة والاجتماع بأرائهم ودعائهم، والآخر يملكه رجال الحكم بقراراتهم وسلطانهم وتحديدهم لحد الواجب وحد الحق.



والمواطنة - باعتبارها وصفاً - يكفي فيه التقبل العام والتراضي العام حصياً يتبع بين الناس وتقبله الحياة الاجتماعية، وقد كان ذلك كافياً في المجتمعات القديمة، وقبل ظهور الدولة الحديثة في القرنين الماضيين، أما الجنسية فهي بما يتعين أن يتوافر لها من ضبط والتحدد، إنما ظهرت مع ظهور الدولة الحديثة من حيث ما انكف لأداة هذه الدولة من كامل الهيمنة على المجتمع، ومن حيث شيوته الحيوية الإلزامية بالضبط الذي بينته من ولايتها من حيث ما صار لهذه الدولة من ولايات محددة لإصدار القرارات والقوانين وما كلفتها أساليب الإدارة الحديثة من الإثبات الكتابي وحفظ المكاتب وغير ذلك من ضبط السجلات والأشياء.

والمواطنة تكشف عن انتماء سياسي للجماعة، وعن علاقة بالقوم التي تحكم وتدير في هذه الدولة، وبما يفهم مشتركاً ذلك ما بقي الأصل النظري سائداً ومطبقاً في الواقع العملي: أي ما بقيت الدولة تصدر وتؤسس على جماعة سياسية محددة ومتبلورة. ولكن الخلط يظهر عندما ملحظ ما لاحتثنا من أثر الاستمرار على الجماعات السياسية وعلى نشأة الدول فيها بالنسبة لشعوب آسيا وأفريقيا، وما حدث من تقسيم وتفتتت من براع الضوابط والميزات التي تميز كل جماعة سياسية عن غيرها، من حيث الوصف والتعيين السائد لدى شعوبها والذي يرتضونه مبرراً لهم عن غيرهم وكافلاً لمصالحهم المشتركة.

ولقد كان من شأن هذا التقسيم والتفتتت أن يفضي إلى وضع من أوضاع الاستحالة بالنسبة لعلاقة الجماعة السياسية مع الدولة، من حيث يمكن إمكان تحرير وصف المواطنة الذي يتصل بعلاقة الدولة برعاياها، ولكن الحادث أن الدولة الحديثة كانت قد نشأت وظهرت بما تتحلى به من مكثات التشريع والإقرار بالحقوق والواجبات لرعاياها، وظهرت قواعد الجنسية وأحكامها، وقد سبقته الإشارة إلى أن من الفروق بين مفهوم «المواطنة» ومفهوم «الجنسية»، أن مفهوم المواطنة تقرره



التكوينات السياسية التي ظهرت،
من أواخر القرن التاسع عشر
وأوائل العشرين لم تكن تتطابق مع تكوينات
الجماعات السياسية حسب أي من معايير
التصنيف التي تجمع هذه الجماعات
وتميزها عن غيرها



نشطت بها خدمة مجموعة الدول الكبرى المستعمرة، وسلب كل ذلك وسهل موجب أن الإقليم كونه أولاً، ثم نشأت الدولة، ثم قامت الدولة بتعويض شعبها، وتحديد وصف المواطنة والذي يسبغ على من ترقى جوارتهم لتحقيق الوظائف والدولة من خلالها. -الخارج- صارت الدولة، في هذا النطاق وبهذه الوظائف المنوطة بها، ليست فقط عائناً في وجه تحقيق وحدة من يخصصون لها من فصائل شعبها ومن الجماعات السياسية التي تستند خارج الحدود الإقليمية لهذه الدولة، ولكنها أيضاً دولة تنتمي إلى نظام الدول الكبرى المهيمنة في العالم، وتخدم مصالح هذه الدول الكبرى، بصرف النظر عن وجهه الصالح للجماعات السياسية الخاصة لها، وصارت منافسة للسلطة الأجنبية للجماعات الخاضعة لها، بدلاً من أن تقوم بالواجب الأول الذي يقتضي أن تقوم به الدولة: وهو حماية شعبها من المخاطر الخارجية.

وقد لا تكون مصر على هذه الصورة الأخيرة بالنسبة لعلاقة الدولة مع الجماعة، بسبب ما تشهدها من أحاسن، وما لذلك من أثر مهم في تشكل دولتها، ولكن لا نستطيع أن نصل إلى مصر غير مكتملة لأن ما يتهدد أمنها القومي يوجد خارج الحدود، وبذلك الدولة المرسومة، ولذلك أثر كبير في أنها ما بقيت متمسكة داخل هذه الحدود، فهي بالضرورة ستكون خاضعة للقوة الأجنبية.

[٦]

إن هذا الذي حدث أوجد شرخاً مؤسسياً في بناء العلاقة بين الجماعة السياسية وبين الدولة، وذلك في الغالب في البلاد السابق استعمارها، أو البلاد التي نجح الاستعمار في خط حدها، بما لظن القوى أن هذا الحادث لم يشرخ تلك العلاقة فقط، بل صدعا في الكثير من الحالات، فصارت الدولة تشكيباً مؤسسياً خارجياً عن الجماعة مفروضاً عليها، وصار الخاضعون لها أشدائاً من جماعات تتدحرج بين الضناير وعدم التجانس وتورع الأجزاء، وأوضاع الأمثلة على ذلك الكثير من البلاد الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى.

وكما سبقت الإشارة، فإن الأصل أن تتبلور وتنشأ الدولة السياسية، وأن تقوم الدولة على هذا الأساس وفي هذا النطاق، ويتحقق وصف المواطنة لذويها. وأن ذلك يتشكل النتيجة الأساسية التي يقوم عليها أي كيان سياسي أو

على عدد من أقر لهم بالمواطنة بموجب قوانين الجنسية. وعرفنا أيضاً دولة هي الحقيقة قواعد عسكرية وجدت تتدافع عن المصالح الاستراتيجية للدول الكبرى في إقليم معين، وجرت حركة تهجير شعب إليها: ليقيموا بوظائف الخدمة والإدارة والتعزيز للوظائف العسكرية المنوطة بهذه الدول. وعرفنا دولة تقوم بوظائف الأسواق التجارية فقط في المنطقة التي وجدت بها، وتعتمد في ذلك على حركة بيع السلع التي ترد إليها من الخارج، وحركة شراء لذات السلع التي تصدر منها للخارج، والمالغ والمشتري كلاهما أجنبي، والتجار أكثرهم جانباً، أو هم وكلاء لأجانب. وعرفنا دولة هي مجرد نقطة مرور تقوم في ضوايق البحار أو وسط المحيطات لتقدم الخدمات الملاحية لمن يمرور عليها هي طرق التجارة الدولية. وصار إسباغ وصف دولة، على إقليم معين إنما يجري، لا بسبب يتعلق بالجماعة السياسية ذات الوجود المتجانس التي تعبر منها هذه الدولة وتتضمنها جماعة ومصالح - إنما صارت الدولة تشأ أولاً لا احتياج خارجي، وترسم حدودها الجغرافية وفقاً لهذه الاحتياجات، ثم تكتسب حماية المجتمع الدولي ومنظفاته. لا لرعاية شعبها وجماعاتها ولا لذو من شعبها وتحقيفاً لمصالحه. ولكن لرعاية الوظائف التي

دولته، صارت الدولة هي من عين شعبها. أرايت إلى جمعية من الجمعيات أو شركة مساهمة من الشركات أو نقابة من النقابات؟ الأصل فيها أن جمعيته العامة هي من يشكل مجلس إدارتها، أرايت صورة هذه التكوينات، أن صار مجلس الإدارة هو الأصل وهو من يعين جمعيته العمومية؟



ترتب على ذلك ما نراه في عالم اليوم من كيانات عجيبة، اتخذت وصف الدول، وأقر لها النظام الدولي الذي تسيطر عليه الدول الكبرى منذ القرن التاسع عشر، أقر لها بالوجود الشرعي بوصفها دولة، وهي في الحقيقة دول بغير جماعات سياسية ذات تميز وتكامل متبلور. فمرفنا دولة هي في الحقيقة مصاحات أرض لإنشاج أو استخراج مواد معينة من باطنها: فهي تقوم بوظائف تقتضيها الأوضاع العالمية، متطلبات واحتياجات: بصرف النظر عن المتطلبات والاحتياجات التي يقتضيها شعب هذه الدولة، وهي تقوم بهذه الوظائف في إطار القدرات والممكنات العالمية. بصرف النظر عن قصور القدرات والممكنات التي يطيقها شعب هذه الدولة. ومن ثم، لنعلم أن عدد الأجانب في بعض من هذه الدول يزيد

الجماعة بالنسبة لأفرادها أو لجماعاتها المندرجة في تشكيلها العام، وذلك بالتقبل والتفارب العام وفقاً لما يسود لديها من أعراف، أو ما يتداوله مفكروها وساستها من آراء يستخرجونها بالاستقراء والملاحظة لأوضاع الواقع والجماعات، وبينما الجنسية تتحدد بمرکز قانوني يحدد حقوقاً وواجبات، وتقرره الدولة بما تملك من سلطات التشريع والإنفاذ لقراراتها.

صار الوضع من الناحية الواقعية بالنسبة للجماعات والشعوب والبلاد التي خضعت للاستعمار صار الوضع يتحدد، كما سبقت الإشارة، لا بموجب ما تشكبه منه التصنيفات البشرية من جماعات سياسية، ولكن بموجب علاقات القوى بين الدول الاستعمارية في تحديد الحدود الجغرافية لمناطق نفوذها، أو بموجب علاقات القوى بين حركات التحرر الوطني في هذه الأقاليم والقوى الاستعمارية، وذلك بصرف النظر عن التميزات العرقية واللغوية والدينية والمذهبية والإقليمية، والتي تعبر جماعات من جماعة، وصار الإقليم يتحدد أولاً بموجب توازنات القوى الخارجية، والمؤثرة فيه، ثم تتحدد على أساس الدولة، ثم تظهر المواطنة بموجب ما تشكبه الدولة من أحكام وقواعد الجنسية التي يتحدد بها رعاياها. وهذا بالضبط هو عكس الوضع الطبيعي الذي ينبغي أن يحدث.

ولن نبحث أنه طبقاً للفكر السائد في هذه القوانين الدولي العام، أن الدولة هي جماعة من الناس تقيم في إقليم معين وتقوم عليها حكومة، والتعريف يحدد المسألة، بما يكشف أن الجماعة السياسية هي الأساس، وهذا تكوين ثقافي - بطبيعية الحال - يعتمد على الإدراك لعلاقة الانتماء التي تربط ناساً بعضهم ببعض، ما تفصيل الذي ورد فيما سبق بصدده هذا الموضوع، وأن الإقليم هو ما يتحدد به وجود الجماعة ذات الصبغة التاريخية، وأن الدولة هي نتاج هذا الوضع: لأنها مؤسسة إدارة الجماعة والدور عنها مما هو مشترك وعام لديها. أما الصورة التي صبغت بها دول ما بعد الخضوع للاستعمار، فقد تعينت. أولاً - بموجب حدود جغرافية، ثم قامت الدولة على أساس هذه الحدود وما بها من شعب أو جماعات بصرف النظر عن مدى التجانس والتوحد بينهم، وبصرف النظر عن مدى انتماء بعضهم لباقي جماعاتهم خارج الحدود الإقليمية الخاضعة عليهم. ثم إن هذه الدولة هي من أصدر قانون الجنسية الذي تحدد به من هم مواطنوها. أي أنه بدلاً من أن يكون الشعب هو من عين

لا أخال أن وحدة جرت
إلا ما كان من وحدة اليمن الشمالي
مع جنوب اليمن المكون أساساً من عدن
وحضرموت عند شاطئ بحر العرب والبحر
الأحمر. وكانت هذه حالة فريدة جرت
في غفلة من الزمان الاستعماري،



مؤسسة تنظيمية تظهر هي نطاقها. لذلك من الطبيعي أنه كلما اختلفت البنية الأساسية أو اضطربت عناصر تكوينها، كلما اختلف واضطرب كل بناء يقوم عليها.

إن الجماعة السياسية تضم جماعات عديدة، وإن ما يميزها تضم أنها الجماعة التي صارت مرشحة لأن تقوم بوظيفة تاريخية تتعلق بحفظ وحماية المشترك العام، الذي يجمع عناصر هذه الجماعة، تصونها من مخاطر الخارج وتضمن لعضائها أفراداً وجماعات إمكان العيش المشترك وتحقيق المستوى المعقول للعيش المشترك للجماعة بمناصرها الممتدة فيها من النواحي المادية والثقافية، وبما يضمنه ولا يكفله تاريخياً إلا هذا التجمع، ومن ثم تعتبر الأوصاف الفارقة بين عناصر هذه الجماعة السياسية الأساسية أوصافاً ثابتة، تقوم بها جماعات انتماء فرعية محكومة بهذا الانتماء العام والذي يقوم به وصف الجماعة السياسية، ويتميز به حاكماً لغويته بقدراً ما يكون حامياً وحافظاً لهذا الغير.

والجماعة السياسية بهذا الاعتبار، لا بد أن تكون هي الجماعة الحاكمة، لأنها هي ما يتطور في مرحلة تاريخية معينة أصول الصالح المشترك بعيد المدى لي يتدرج فيها من أفراد وجماعات ووحدات اجتماعية، فهي حاكمة بمعنى أنها تترس الصالح التاريخي المشترك لمكوناتها، وهي حاكمة بمعنى أنها توجد الصياغات السياسية والاجتماعية المناسبة لتحقيق توارث الوجود وتوارث الصالح السائدة وتوارث الهويات الثقافية لما اندرج فيها من جماعات ثقافية وعرقية ولغوية وإقليمية وعرقية، بحيث يتكون اندراج هذه الجماعات الفرعية في الجماعة السياسية الأساسية محققاً لها للترانس المناسب من الوجود الدائري والتشافي والمادي، وكافلاً لهذا الوجود بما لا يكفله ولا يضمنه خيار تاريخي آخر، وبما يكفل لها جميعاً من الأمن تجاه مخاطر الخارج، ما لا يكفله خيار تاريخي آخر كذلك.

وبموجب كون الجماعة السياسية هي الجماعة الحاكمة وفقاً للوظائف السابقة، تقوم الدولة على وفق هذه الجماعة السياسية الأساسية، بما تتيجها مؤسسة الدولة من مكثبات وصلاحيات لممارسة واجبات الحماية من مخاطر الخارج، وحفظ قوى التماسك الداخلي، وتمثيل الدولة وجهازها هي الشخص

للجماعة السياسية، والمعبر عنها، والحقق لإرادتها عندما تنهيا لإرادة، ولعالميتها وولاية نافذاً عندما تقتدر المصلحة.

والدولة، بوصفها المعبر والمخصص الفاعل للإرادة الجماعية، يتعين أن تبنى على وفق ما اتصفت به الجماعة السياسية من وصف مضمّن لها، وجامع لوحدها، ومانع من التباس غيرها بها، كوصف الإسلام إن كان هو ما جمعها، أو وصف العصرية إن كانت صارت كذلك، أو وصف الموروثية أو غيرها، ما بقيت كذلك، أو حتى الوصف القبلي أو العشائري حيث يكون هو ما تميزت به جماعة سياسية ما في زمان أو مكان ما.

وإذا قامت الدولة لا بموجب الوصف العام الذي يجمع الجماعة السياسية ويميزها، ولكن بموجب وصف يتعلق بأى من الجماعات الفرعية المنخرجة من الجماعة السياسية، واقتصر على من يصومهم انتماء فرعي فحسب، ولو هي مستوياتها العليا الخاصة بالتأخذ القرارات ورسم السياسات، فإن ذلك من شأنه أن يكون مهدداً للصيغة العامة التي تقوم عليها الجماعة السياسية، ولقوة التماسك الواجب وجودها لوجود الجماعة العامة، ذلك لأن أي جماعة أو مؤسسة أو كيان تنظيمي، إنما تقوم له ذاتية خاصة به، وتستوعب هذه الذاتية

مع الوقت فاعلية الكيان التنظيمي، وأن مما تنبئ عليه هذه الذاتية ما يصم القائلين على هذا الكيان التنظيمي من أوصاف مشتركة تعزج بينهم وتفرقهم عن غيرهم.



وتحين نعرف من تجارب الدول أن مؤلفات أو قبائل أو أهل إقليم اجتمع منهم ما صاغ المراكز الرئيسية في تكوين لدول بعينها، فاصطبغت الدولة بهذا الوصف الإقليمي أو العائلي، والوصف الإقليمي مفروض على الجماعة كلها بموجب هذا الوصف الخاص، ولا حظاً لذلك في باكستان مثلاً، عندما قامت الدولة الموحدة من باكستان الشرقية (البنغال) والغربية، وسيطر عليها أهل الفرب وحدهم، وانتهى الأمر إلى انفصال بنجلاديش عنها، ولا حظته أيضاً في مشاكل شمال السودان مع جنوبه، ولا حظته مثلاً في سيطرة أهل تكريت خاصة على العراق، ولا حظته فيما ترتب على سيطرة السنة العرب على العراق جميعه مما جرى فصوله إلى الآن.

لذلك، فإنه يتعين في صياغة مؤسسات الدولة أن تكون من حيث التكوين العضوي لها، ومن حيث



على مدى القرن العشرين تحقق

الاستقلال السياسي للغالب الأعم من

بلاد العالم وأقطاره ومع ذلك، فلا نكاد نلاحظ

الخيرية الكبرى، التي يجب وتوجبحت لبعض

هذه الأقطار وبعضها الآخر



الشاغلين لمناصبها الرئيسية ودوى الإرادة والتشوق إليها، القاصيين على معانيه حركتها، يتعين أن يكونوا ممن يضمهم الوصف المميز للجماعة السياسية التي قامت الدولة على أساسها، وألا يقوم مانع من فشل انتماءاتهم بتعلق بمن توافر عليهم الوصف العام المذكور، ولا أن يقوم بالتأويل أو بالعرف العلني المطلق ما يمنع ذوي الانتماءات فرعية ما من تولي مناصب الدولة وشغلها، مادامت انتماءاتهم الفرعية مندرجة في شمول الانتماء العام الذي تبلورت به الجماعة السياسية وأثبتت به الدولة.

ومن هذا، يظهر أن الدولة لا تكامل وظيفاتها ولا تنهيا للقيام بها على النحو التاريخي المألوف إلا إذا كانت تعكس في تكوينها العضوي والذاتي ما تبلورت الجماعة السياسية على أساسه، ولذلك فإن ما حدث من اضطراب في تشكل الجماعات السياسية بسبب الحدود الاصطناعية التي فرضتها أوضاع الاستعمار على بلاد آسيا وأفريقيا، وبناء الدول لا على وفق تشكل متكامل للجماعات السياسية، هذا الذي حدث جعل الدول المذكورة، في أغلب صورها، لا تعكس في تكوينها العضوي إلا أقساماً محدودة من القاعدة الشعبية التي تحكمها، والتي تكون من أجزاء وأضلاع من جماعات شتى مسبوقة وموزعة عبر حدود دولية مفروضة، ومن هنا لا نلاحظ نظام حكم مستمراً منضبطاً في تداوله، وفي تغييراته، وفي اتصاله بسمهوره، بصرف النظر عن مدى ما يبنى عليه من ديمقراطية أو استبداد، أي أنه حتى الحكم المستبد قديماً كانت له منظومة يقوم عليها وأعراف تحكم تداولته، أما الظاهرة المشار إليها فهي تتخطى ذلك وتتجاوز إلى أنواع من الاضطراب ناتجة عن هذا الصراع الخالقم بين الجماعة والدولة، لأن الدولة لا تعكس تكوينها الجماعة.

والحاصل، في ظلّ - أن اتصال الدولة بالجماعة السياسية من حيث إن الجماعة تكون متبلورة ومتكاملة، ومن حيث إن الدولة يتعين أن يكون تركيبتها العضوي متجانساً ومتناسباً مع الوصف الذي تصنفت به الجماعة السياسية وتبلورت، هذا الاتصال هو شرط مسبق أو هو ما يمثل البنية الأساسية التي يقوم عليها نظام سياسي فعال، وجماعة قادرة على القيام بوظائفها التاريخية الفعالة، ودولة قادرة على تشخيص هذه الجماعة والتعبير عنها.

وتحين نصنفه من نظرى في المنظمة

كتاب الزاوية



عباس محمود العقاد

عبقريّة محمد

عباس محمود العقاد أحد أهم رموز النهضة الأدبية والفكرية في مصر والعالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين.

ولد العقاد في أسوان عام ١٨٨٩ ودخل المدرسة الابتدائية لكنه لم يتجاوز هذه المرحلة لمجز أسرته عن إرساله للقاهرة لكي يواصل تعليمه، لكن هذا الانقطاع لم يقف حاجزاً بينه وبين المعرفة الحديثة، فقد علم نفسه وثابر وأتقن الإنجليزية بشكل مكثه من الاطلاع على المعرفة في مصادرها الأصلية ليكون أحد أبرز الكتاب الموسوعيين العرب.

وقد خاض العقاد غمار السياسة والصحافة إلا أن أهم إنجازاته تتمثل في رؤيته النقدية للكتابة الشعرية وظهر ذلك من خلال جماعة الديوان مع إبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري، كما أن قدرته الشعرية لا تقل عن النقدية وله دواوين عديدة رائعة القيمة.

أشهر أعماله هي سلسلة البعريات الإسلامية مثل عبقرية محمد وعبقرية الصديق وعبقرية عمر وعبقرية علي.

وللعقاد ٨٢ كتاباً في شتى صنوف المعرفة منها «رجعة إلى أبي العلاء»، و«الفصول»، و«ساعات بين الكتب»، و«ابن الرومي» و«عن الله»، وغيرها. وقد توفي عام ١٩٦٤.

الحكم في التجارب المختلفة، يتعين علينا أن ننظر أولاً في أوضاع البنية الأساسية للجماعة السياسية، والتي تقوم عليها هياكل البناء الحاكم، وإذا كنا في هذا العصر الحديث المعيش نصدرون مسلمة فكرية تتعلق بأفضلية النظام الديمقراطي على نظم الاستبداد السياسي، وأن هذه الأفضلية إنما تقوم على مستوى الفاعلية السياسية في حفظ أمن الجماعة السياسية وكفالة تماسك قواها، كما تقوم على مستوى الرشد في النظر إلى الواقع وفهم أوضاعه وتقرير السياسات الخارجية والداخلية المناسبة، وكما تقوم على المستوى الأخلاقي في ضمان الحد الأدنى المرجو من تحقيق المساواة والثبات عن الظلم والجور، أو بالأقل ضمان السعي لهذا الأمر.

إذا كنا على هذه الدرجة من الإدراك، فإننا عندما ننظر في تجاربنا في هذا الشأن ومدى ما حقق بها من تطور أو تعميل أو فشل، فإننا يتعين أن نوجه بعض جهودنا البحثية إلى النظر في أصل تبلور الجماعة السياسية في الإطار المضروب عليه مما سبق شرحه أو الإشارة إليه، كما يتعين النظر إلى التركيب العضوي للدولة، ومدى ما يجر هذا التركيب من كمال العلاقة بين هذه الجماعة السياسية المتبلورة وبين الدولة المتشخصة لها والمعبرة عنها إرادة وفعل.



ومن هنا، تظهر جليلة الصلة العضوية بين قيام الجماعة السياسية المتبلورة، وصلة ذلك بقيام الدولة المتشخصة لها والمعبرة عنها، وعلاقة ذلك بتشخيصها بالجماعة السياسية الديمقراطية في الأصول العامة لنوع من أنواع إدارة شؤون الجماعات، ويمكن أن تشكل وفقاً لها تطبيقات عديدة تقوم بهما مختلف ومتنوعة، سواء في إدارة شؤون مصالح إقليمية كالإدارات المحلية، أو وحدات الانتماء الفرعية كالجماعات والنقابات، أو ذوات المصالح العالمية كالشركات أو غير ذلك، فثني عن البيان أن الدولة، وهي المؤسسة القائمة على أساس الجماعة السياسية وهي ما يهيمن على إدارة المجتمع برمته، هي أوضح وأهم مثال في هذا الشأن.

والديمقراطية - من ناحية البناء التنظيمي للمؤسسات - تقوم على مبدأ الثبات أو التعهيل النهائي الذي يصدر من الجماعات في عمومها إلى من يتولون شؤونهم، وعلى مبدأ توزيع السلطة على العديد من الهيئات التي تتداول أموراً كي لا تستبد بالآخر والثاني والفاعل هيئة وحيدة، وكما يقوم

فمثلاً، لقد سبقنا الإشارة إلى صلة الجماعة السياسية بالمواطنة وبالدولة، والديمقراطية لتتعلق بالجانبي التنظيمي الذي تبني به الدولة بوصفها مؤسسة، وتشكلت به هيئاتها. وأساس الديمقراطية هي الأصول العامة لنوع من أنواع إدارة شؤون الجماعات، ويمكن أن تشكل وفقاً لها تطبيقات عديدة تقوم بهما مختلف ومتنوعة، سواء في إدارة شؤون مصالح إقليمية كالإدارات المحلية، أو وحدات الانتماء الفرعية كالجماعات والنقابات، أو ذوات المصالح العالمية كالشركات أو غير ذلك، فثني عن البيان أن الدولة، وهي المؤسسة القائمة على أساس الجماعة السياسية وهي ما يهيمن على إدارة المجتمع برمته، هي أوضح وأهم مثال في هذا الشأن.

من قيود العسكر إلى قيود بروكسل صمود تركيا الجديدة



تشاغلار كيدر

الدولة جهازاً قضائياً موازياً يتمتع بسلطة نظر الحرائم المعادية للدولة والفصل فيها، وكان مجلس الأمن القومي مزوداً بسلطة دائمة وهيئة عاملين، وكان القصد به تجميع المعلومات الاستخبارية ووضع سياسة تنفيذها الجهاز البروقراطي في الصلة، وذلك في الغالب بالتحويل على الوزراء المعنيين بالطريقة السياسية^(١) وشيئاً فشيئاً وسع المجلس من سلطاته كي تغطي كل قضية يمكن الحكم بأنها مهمة في الحرب الشاملة ضد النزعة الانفصالية والحركة الإسلامية، وبدءاً من انتصار توجروت أوزال في انتخابات ١٩٨٣، شغلت الحكومات المدنية التي تولت مقاليد السلطة بذلك نفسها بالسياسة الاقتصادية وإدارة الدين في القلم الأول، وأثناء ذلك كانت محاكم أمن الدولة بمثابة أدوات صريحة للدولة المتغلغلة، حيث يبدأ من حقوق الإنسان حتى أي شبهة تهمس الدولة على أنه دعابة انصالية، مجرد أداء أغنية بالغة الكريمية.

إعادة البناء الاقتصادي

في ظل نظام مجلس الأمن القومي العسكري، أمكن البدء في تحسين جذري للاقتصاد ببطء أقل قدر ممكن من المقايضة، كما جرى تشكيله القطاع الصناعي القلم على إحلال الواردات على خلفية من توزيع الدخل الذي يزداد سوءاً، ومع الخصخصة والغاء القيود والعمالة المرنّة، تناقصت بسمرة المزايا التي كان يتمتع بها العمال في الصناعات المملوكة للدولة في قطاعات التصنيع الحمى، وأصبحت المعلومات في الباطن وانتشار الشروعات الصغيرة والعم بالقطعة هي الممارسات القياسية، خاصة مع اتعاض قطاع الخدمات وزيادة ظروف العمل غير الرسمية والمتنوعة^(٢) في الوقت نفسه أطلق

إلى أرياح كبيرة واجور مرتفعة، ويرغم وجود معدل نمو محض، لم يستطع الاقتصاد توليد مكاسب بالنقد الأجنبي الذي كان لازماً لشراء الواردات الأساسية كالنمط والتكنولوجيا الجديدة. كان رد فعل المؤسسة السياسية التركية في السبعينات هو تأييد اللغة التنموية القومية، واقتراض اللواتر من الخارج، والاستمرار في حماية الصناعة ودعم الزراعة، وتقديم الدعم للمستهلكين. وقد حاولت التحكم في السوق عن طريق الأوامر الاستبدادية، وتحديد أسعار صرف النقد الأجنبي عند مستويات مصطنعة، بينما وقفت لا حول لها ولا قوة أمام تزايد الحجر وانتشار السوق السوداء. وعززت الأزمة الاقتصادية والاضطراب الاجتماعي الذي أثارته الصراع السياسي المستمر للفعل بين اليمين المتشدد واليسار النوي. وهكذا كان انقلاب ١٩٨٠ حلاً للمأزق الاقتصادي وكذلك للأزمة السياسية، وقد أتى بنظام حاكم استثنائي نجح في طفه تحالف مصالح الدولة والاستبداد في تعطيل كل محاولات لشق طريقه في ضباب الأيديولوجيا القومية.

كان الميراث الإيجابي ثلاث سنوات من الوصاية العسكرية الصريحة (١٩٨٠-١٩٨٣) هو دستور ١٩٨٣. فقد جرى في ظل هذا القانون الأساسي توسيع نفوذ مجلس الأمن القومي بحيث بات يشكل ما بعد حكومة موارية، بينما أصبحت محاكم أمن

الجوء إلى القمع الذي تشارسه الدولة، وكانت مهمة الدولة قد نشأت من خلال مناء الدولة القومية من رماد الهزيمة العثمانية، وجرى الحفاظ عليها عن طريق الأجهزة المعادية الخاصة بالمدراس والشركات العسكرية، كما جرى تأييدها من خلال القيود المروضة على التعامل في النقد الأجنبي والانتماء خلال ثلاثة عقود من الفزعة التنموية أعقبت الحرب العالمية الثانية، وهيمنت ترسانة الدولة من السياسات والمبادئ على المرجوات الصمغة وجعلت من أكبر رجال الأعمال تحالفاً على استعداد لتقديم الخدمات المطلوبة منه في إطار إستراتيجية للتنمية القومية تقوم على التمييز المركزي وتنوع نموذج إحلال الواردات.

وكما حدث في أمريكا اللاتينية، توقفت التنمية لعدم قدرة الاقتصاد المخلف انخفاً شديداً على مواصلة الإنجاز. ونشأت الأزمة بسبب حدوث مشاكل في توفير النقد الأجنبي، فقد ضمن التخصيص إنتاج معظم السلع الاستهلاكية، بما في ذلك السلع المعمرة محلياً، وأنتج الاقتصاد التركي كميات كافية من السلع الأساسية مثل الصلب والبتروكيمياويات إلا أن أيا من هذين القطاعين لم يكتسب المنافسة في السوق العالمية. كما أنه اشغل كاهل مشروعات الدولة بالعمالة الزائدة، بينما تراجعت الأوضاع الاحتكارية في القطاع الخاص

شهد صيف ٢٠٠٤ إحساساً جديداً بالتنازل في تركيا، فقد نوال ما حققته الحكومة المستقرة من نجاح في الإصلاحات الديمقراطية التشريعية والدبلوماسية الدولية كما أعلن الاتحاد الأوروبي أن تركيا أوفت بشروط الإصلاح السياسي، ولم تعد بحاجة إلى المراقبة. وقد أعطت الموضوعية الأوروبية الشهر الماضي توصية ببدء المفاوضات مع تركيا من أجل عضوية الاتحاد الأوروبي ومن المتوقع أن يحدد الزعماء الأوروبيون خلال أسابيع موعداً رسمياً لبدء هذه المفاوضات. وربما يبدأ راس المال الأجنبي في التوقف. وتعد كذلك أن معدل التضخم انخفض، بينما يتحسب الاقتصاد في الوقت الراهن بشكل واضح مسجلاً معدل نمو يتعدى ١٠ بالمائة في الربع الثاني، إلا أنه منذ ثلاث سنوات لتفريسي أدي عدم الاستقرار السياسي في تركيا، الذي بدأ يشعار على بين رئيس الدولة ورئيس الوزراء، إلى حدوث أزمة مالية، حيث هيبت قيمة العملة بمقدار ٥٠ بالمائة، وكان هناك كساد شديد وارتفاع كبير في معدل البطالة، ويعد عام ٢٠٠٢، أشهر الحكومية الانتحالية (وهي الحكومة التركية، لسابعة خلال عشر سنوات) مما أدى إلى حدوث حالة من الفوضى، وقد كشف النضاب عن النتائج السياسية والاقتصادية لتلك الكوارث المماثلة في سياق حرب العراق والاحتلال الذي تترعاه الولايات المتحدة، وضغوط الاتحاد الأوروبي من أجل إصلاح نظام الدولة الذي يتسم بقدرة كبير من الاستبداد، والنضاب السائح لحزب التنمية والعدالة.

كانت أزمة ٢٠٠٤ نفسها بمثابة انبهار محاولة دامت عقدين من الزمان من قبل النخبة التقليدية في تركيا لتعريض سيطرتها الأيديولوجية المتداعية عن طريق

بترتيب مع

New left review

ترجمة: أحمد محمود



خالية بالفعل من أية سياسات حكومية للرعاية الاجتماعية لتسهيل الفقراء، في الوقت الذي شنت فيه الأعمال الخيرية المنظمة، كما أنشأت مراكز تقديم الطعام للفقراء وكذلك مراكز صرصر، وكانت تقدم مساعدات عينية للمعتمدين، وتنظم حملات المساعدات الاجتماعية خلال شهر رمضان، حيث تضغط على رجال الأعمال المحليين كي يتبرعوا بالصلح والمباني والمال. وشهد ذلك الالتزام أعدادا كبيرة من الناشطين في الحزب (وخاصة الشابات) الذين يقيمون الشبكات ويرتبطون بالناس. وكان طيب اردوغان نفسه عمدة استنبول يتمتع بشعبية كبيرة منذ عام ٢٠٠٤ حتى سجنه في عام ١٩٩٨، وبذلك كانت الأحزاب الإسلامية القنعة الرئيسية لتفسيره من الانسحاب الاقتصادي. ومع أن الالتزام الأصلي لزعامة حزب العدالة والتنمية هو بالاعتقاد السليم الذي يتسم بالنزعة الليبرالية الجديدة، ومع أنهم يبرزون كذلك معطاح البرجوازية الأنشائية وسعها على احتكار الرأسمال الرابع لرجال الأعمال، فقد حصلوا على الجائزة الأكبر من الأصوات من الفقراء. ويعد هذا التأييد من جري إصلاحي إلى التقاد النعوم السياسي وفصاح أكثر منه إلى الردع الصريح بإعادة الهيكلة الاقتصادية أو السياسية الاجتماعية الشاملة على الحقوق.

المسائل الكردية

إضافة إلى الحركة الإسلامية، كانت المسألة التي تشغل الأحزاب التركية باستمرار منذ ١٩٨٠ هي المسألة الكردية. فقد كأي تصريح بالزعامة الكردية أو أية نزعة انفصالية أخرى ممنوعة منذ بآلتا بالبيع منذ تأسيس الجمهورية، وكان استخدام اللغة الكردية في الحادي العام أو التعليم أمرا بشدة ممنوعا على الحين. وكان لابد أن يفتى القمع الثقافي الواسع القشرين بالتخلف الاقتصادي القوي، واستمر العمل بقانون الطوائف الكردية في ١٩٨٢، حيث أقيمت انتخابات بالجملة، إلى جانب التصديق والترحيل الإيجابي للزوريين. وفي عام ١٩٨٤ عاد عبد الله أوجلان من منفاه في سوريا ليقود حزب العمال الكردستاني في سوريا عصابات ضد قوى الأمن. وفي المقابل ازداد قمع الدولة، حيث أنضمت الحرب أرواح ٢٠ ألف شخص قبل عام ١٩٩٩. في أعقاب أحداثها في ١٩٩٩، خلال التسعينيات استخدمت الحرب ضد القوى الكردية لتبرير التحول التبريري نحو الدولة الأممية، حيث كانت

ضد برجوازية استبدادية التي تدعمها الدولة، وبالنسبة لمسألة الدين لم يتمتعوا بخاتم موافقة الجيش.^(١) كانت الفصائل الأولى من الأحزاب الإسلامية تتراوح بين تحدى النظام والتكيف معه، وقد هشتل في ربط ذلك الدفاع الشيوعي ببرنامج يمكن أن يكون مقبولا من حزب يمين الوسط، الطريق الفصيلية قد حل محل حزب الرفاه الذي حل محل ضغط مجلس الأمن القومي في عام ١٩٩٨ في أعقاب التلافة الذي لم يدم طويلا مع حزب يمين الوسط، الطريق القوي، برئاسة تاسو تشيلير، ثم غلق حزب الضريبة في عام ٢٠٠١. وشهد الانشقاق الذي حدث في ٢٠٠١ في الصفوف الإسلامية بعد حظر حزب الضريبة إنشاء حزب العدالة والتنمية بقيادة عبد الله جول وطيب اردوغان، بينما أنشأ الحرس القديم الحزب داريكان حزب السعادة. ووجد حزب العدالة والتنمية الخفاف الانتخابي الذي يستهدف من جري إصلاحيات برسالة إلى النخبة مفادها أن تغيير النظام ليس على أجندتها. وفي الانتخابات نوفمبر ٢٠٠٢ حصل حزبنا الإسلامي على ٣٧ بالمائة من عدد الأصوات، بينما حصل حزب العدالة والتنمية على ٢٤ بالمائة. وجعل حد الضربة بالمائة التي فرضه دستور مجلس الأمن القومي الأخرى ما عدا حزب واحد، غير مؤهلة للفوز مما جعل حزب العدالة والتنمية يفوز ستيين بالمائة من عدد المقاعد.

يعتمد القبول الشعبي لحزب العدالة والتنمية على كونه بمثابة بيت كانوا حتى ذلك الوقت مقصين، بينما تبني وعده المادية في أغلبها من سجل الحكم المحلي لتشكلها للسياسة الساندية التي نجحت في بناء سمعة إيجابية انشيدية في إدارات حزب العدالة أن تكون عارفة في الفساد. فقد بدأت تلك السياسات لمساعدة الاجتماعية في بيئة كانت

الدولة في مواجهة القوى الناشئة التي تسعى لتحقيق استقلالها الاقتصادي والثقافي والسياسي، وتشكل ظهور الأحزاب الإسلامية مآرا للتحفة الحاكمة التقليدية، وكانت العنصرية حسب تعريفها بأنها السيطرة الصارمة للدولة على المين، أهم الأول للنخبة التركية منذ بداية الجمهورية، وكان لا بد من تبني أصنام السلوك الغربية، بتصورها للتحرر من حل محل النزاعات الطائفية والإقليمية المحلية، وكان الإسلام تعبيرا شديدا للوضوح عن المحلي. بل إن التفسير الأصلي للشرعية الإسلامية يتعارض مع كل من الولاء الذي تطالب به الدولة مواطنيها، ومع النظام القانوني الذي كرم الذي كان الغرب، الأمالي (معية إلى الفرد أتاتورك) يريد فرضه. بل إنه هيمما بعد تنافسا من خطاب الجمهوريين الحزب، فقد كانوا برجاماتيين بالفعل في تعاملاتهم حتى مع العصور الأخرى نظريا في الانتماء الديني، ذلك أن علمانياتهم تخفي شغافا ضمنيًا تجاه الإسلام والإسلاميين، واعتبارًا من الأرمنييات عتدت الأحزاب السياسية مسافات من رصماء الطوائف، حتى منحتهم امتيازات بشأن المدارس الدينية مقابل أصوات أتباعهم. وبعد انقلاب ١٩٨٠ وافقت الطعمة العسكرية الحاكمة بلا قيد ولا شرط على السياسة الأمريكية التي تشجع النزعة الإسلامية لتكون منطقة عازلة في وجه الحركة الاشتراكية^(٢) وبعد قضاء الإجراءات التقشفية لصندوق النقد الدولي على نظام التعليم لزيادة الالتحاق بالمدارس الدينية، التي تدعمها الحكومة، بشكل أسرع من الالتحاق بالمدارس الثانوية العامة خلال التسعينيات، وأصبح الدين مادة إجبارية في مناهج التعليم. وخلال تلك السنوات تنافس زعماء الأحزاب على إقامة علاقات طيبة مع الفصائل الإسلامية المعتدلة والهادئة، حيث كسب أوزال تأييدها في عام ١٩٨٣.

في نصيب الإسلاميين من الأصوات بأعداد مند متصفت المناشيتات، ويقول مراقبو الإسلام السياسي أن البرنامج الأصولي، الذي يصرّف بأنه مشروع لاستبدال الدولة الإسلامية والشرعية الإسلامية بالدولة الحديثة والقانون الغربي، لا يحظى إلا بتأييد ٧ بالمائة فقط من عدد السكان. والأعداد الأكبر بكثير التي صوتت لفصائل الأحزاب الإسلامية لم تقبل ذلك رغبة منها في إحداث تغيير شامل متأول للعلمانية، بل لأنها توليد الانفتاح وتوسع القاعدة التي يعرف بها النظام. وكان الإسلام بمثابة صيحة لحشد القوى بالنسبة من اضطروا للبقاء خارج أسوار المدينة الخيالية حين بدأ التحضر واسع النطاق، وبالنسبة لاصغار المستثمرين

تحرير السوق الطافات الاستثمارية على كل مستوى، حيث سُمح فجأة لتجار بممارسة أمور كانوا يعاقبون عليها بالسجن قبل بضع سنوات. وكانت البنى الصناعية الحديثة التمهيدية تتماثل واحتار الفظة التي يمارس عدد قليل من الشركات الخاصة التشفعية التي استطاعت من خلالها ببرجوازية إحلال الواردات من استنبول. بما لها من قدرة على الوصول إلى أصص السياسات في الأقرة، من إحكام قبضتها الحديدية على الاقتصاد. ومع التحرر الاقتصادي نشأ نوع جديد من المستثمرين كان عليهم المناصفة في الأسواق المحلية، وأصبحت تصرفاتهم تقوم على إشارات التشفعية وليس القرارات البيروقراطية، ومن ثم كان اعتمادهم على السياسة أقل مباشرة. وبما أن الصادرات التركية كانت تتجذب نحو الصناعات كثيفة العمالة، فقد بدأت بعض مدن الأنصوال الصغيرة، التي لها ثرات من الحرف وبها قوى عاملة لا تحصمها أية نقابات، في الظهور باعتبارها مراكز صناعية إقليمية. وكان معظم إنتاج تلك المدن، التي تسمى النعور الأنصوالية، يقوم على شبكات تحركها المشتري، في حين كان رجال الأعمال يتعاملون مباشرة مع سلاسل البيع بالتجزئة ومشتري الكميات في أوروبا.

وعكسا شهدت التسعينيات ظهور قطاعات جديدة، وأصواف جديدة، وأشكال جديدة من تنظيم العمل، وخصائصات جديدة. ورتد الصادرات في ٣ مليارات دولار في ١٩٨٠ في ١٣ مليار في ١٩٩٠، وإلى ٥٠ مليار دولار في ٢٠٠٣. وكان الفضل في الاتساع يعود بالكامل إلى شركات التصنيع، وخاصة شركات النسيج. ومن وجهة نظر الترفرة، كان رجال الأعمال الجدد يعملون خارج شبكات النفوذ والامتيازات التقليدية، ولم يشاركوا في الأسواق العربي والسياسية المتشددة الخاص بطرلهم الأكثر رسوخًا في استنبول، وكان من الأرجح أن يؤيدوا الحزب الإسلامي، وأن يرتبطوا بالتحاد رجال الأعمال الإسلاميين MÜSAD التي أصبح قفلا اجتماعيا وسياسيا مؤازرا لاتحاد صناعي استنبول TUSİAD.

الحركة الإسلامية

أدى الانفتاح على السوق الدولية وإعادة هيكلة الاقتصاد إلى نزوح المواو التي كانت تحصد الرضا الشعبي. وبعد أن فقدت قوة الدولة الشورية التي شتمت بها خلال الحقبة التشفعية، انضمت تلك الحقبة اعتمادًا كبيرًا على أشكال القمع المختلفة للحفاظ على توازن



شكّل ظهور الأحزاب الإسلامية مازقاً للطبقة الحاكمة التقليدية. وكانت العلمانية، حسب تعريفها بأنها السيطرة الصارمة للدولة على الدين، أهم الأول للنخبة التركية منذ بداية الجمهورية. وكان لا بد من تبني أنماط السلوك الغربية، بتصورها للنخبة، كي تحل محل النزعات الطائفية والإقليمية المحلية.



رجب طيب اردوغان

الغلبة للشعب الذي اختاره الجيش للرد على التمرد. وهو الاتصال العسكري أولاً، ثم الحريات الثقافية بعد ذلك. وسُمحت الحرب بهزيمة الدولة الدستورية Reichsstat كهيئة أزهقت تحتها حقبة جديدة من الحكم القمعي والاستبدادي. وانكسرت مرة أخرى النظرات المؤقتة التي ظهرت في عهد أوزال، مثل التوسعات التي شهدتها المجال الاجتماعي وبلغت حد الاعتراف بأساليب حياة تحرير السوق التي كان محرمه حتى ذلك الوقت. وقد شهِد ذلك العقد للزعة الاستبدادية التي يسيطر عليها الجيش مقرونة بعدد المحاسبة.

الحظ الجيش الحرب مبروراً لوصايته، إلا أن الحرب أضرت موقفه كذلك. فقد اشتهرت «القوات الخاصة» بالوحشية في تعاملها مع المدنيين، وغادر الكثير من السكان منطقة الحرب. وتحدث المجنون عن تجرّسهم الجرس من الصفات الإنسانية وهم تحت السلاح.

ما كانت إستراتيجية الجيش الخاصة بهزيمة قوات حرب العصابات قبل التمكن من القضاء على المظاهرات والاحتجاجات الثقافية والسياسية لتتحقق نجاحها باهظ الثمن لو لم تتمتع البرنزام الانفصالي بغير أكبر من الدعم. وكان الاتصال هو الجسر في حالة الأكراد الذين نزحوا من الجنوب الشرقي والشرق إلى غرب تركيا. وكان الأكراد عناصر بارزة في السياسة منذ زمن بعيد، بل كان لهم تمثيل في البرلمان يقيّم ما يتناسب مع عددهم. إلا أن ضمن الاستيعاب كان هو كبت الهوية العرقية. وهكذا بينما كانت سياسة الهوية والاعتراف السياسي تلقى قبولاً أكبر بكثير بين النخبة العلمانية خارج المنطقة، لم تكن الأزمة الانفصالية تحظى بذلك القدر من القبول.

ولمست هناك أرقام مؤقّت بها بشأن التركية العرقية لتسكن في تركيا، حيث يتحاشى التعداد ممثل الأنواع العرقية أو اللغوية الأصلية. وأفضل التقديرات إلى أن نسبة السكان الأكراد تتراوح بين ١٠ و٢٠ مائة من إجمالي عدد السكان. إلا أن التزاوج يجعل المصير مستحيلاً. ومن المحتمل أن ثلث الأكراد كانوا يعيشون في المناطق الريفية من البلاد في عام ١٩٩١. وفي عام ٢٠٠٠، وبعد عشر سنوات من الحرب، زادت النسبة إلى ٥٠ مائة. وتعد استتبّول إلى حد بعيد أكبر المدن الكردية، حيث يوجد بها أكثر من مليون نسمة من الأكراد. وقد يكون من الصعب العثور على الكثير من مؤيدي الانفصالية الذين يولّون هدف كردستان المحصورة في مكان معين من الأرض بين هؤلاء القديسين في غرب تركيا. والذين هاجروا مؤخرًا إلى استتبّول والمدن الكبرى

الكردية. وحتى تلك المكاسب الرمزية كان الفضل فيها يعود إلى جماعات حقوق الإنسان والمصححين، وليس إلى الساسة. وعلى خلفية الحرب، طلبت الأحزاب السياسية صامتة في الغالب، فيما يعد من الناحية الضمنية قبولاً لاستراتيجية الجيش، دون التساؤل عن آثار الفرض الصارم لهوية القومية على السكان. كانت إحدى وظائف الحد العشرة مائة هي ضمان عدم تمثيل الحركة الكردية في البرلمان. وبعد أن أصبح البرلمان مسألة ثانوية لا صلة لها بالموضوع إلى حد كبير، تحول الجدل السياسي الحقيقي بشأن قضايا الديمقراطية والتمثيل العرقي وأثار الشبح الاقتصادي إلى منسببات عديدة خارج فاعات البرلمان، مثل جماعات حقوق الإنسان، والحركة النسائية، والبرامج المناهضة للحرب، والمنظمات غير الحكومية.

أزمة الديون

من الناحية الاقتصادية كذلك، كانت التسعينيات هي عهد تركيا الضالّح فقيرنا كان متوسط النمو ٣ مائة خلال الثمانينيات، انكسرت الاقتصاد بخلاف ٦ مائة في عامي الأزمة، ١٩٩١ و١٩٩٢، وبمقدار ٩ مائة في عام ٢٠٠١، كانت انخفاض الاستثمار بينما تفتت حالات الإفلاس والبطالة. وكان متوسط معدل التضخم ٨ مائة. وبدأ من المستويات التي يسهل التحكم فيها في أوائل التسعينيات، بعد مذبذبة الدولة مستوى مفرغاً مقداره ١٥٠ مائة من إجمالي الناتج المحلي بحلول عام ٢٠٠١. ومع التراجع الذي يزداد الغم للأخر، كان حال تركيا من انصراف مطلوبين بالكامل للخدمة المدنية، ذلك أنه لكي تعمل الحكومة بعد إدارة الدين، كان لا بد لها من اللجوء إلى القروض جديدة، وبما أن لراض الحكومة أي تلك العوائد، فقد عانى الاستثمار في القطاع الحقيقي. واشترت البنوك السندات التي أصدرتها الحكومة وصرعت أسعار فائدة مفرغة على الودائع. وكان الجزء الأكبر من الدين في حوزة مجموعة صغيرة على قمة تركز الدولة كانت تلك الودائع ذات الفائدة العالية في البنوك. وفي عام ٢٠٠٢ بلغت نسبة لمطوبات ٢٠ مائة من إجمالي الناتج القومي، تسعة أعشارها للدين الداخلي. ومنذ ذلك متى وصمت الرضيعة الاقتصادية الأناضولية ريزا لوكسمبرج حيث كانت الدولة الضمائية تستخدم كمقولة لحباية الصرابك كي يستولى الممولون الأوروبيون على المسانص. أما

أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قراره الأول بشأن المسألة الكردية في أعقاب حرب الخليج، وذلك بإقامة منطقة حظر الطيران التي ترافقها الولايات المتحدة في شمال العراق؛ وذلك وضعت مسألة حقوق الإنسان الكردية بشكل رسمي على الأجندة الدولية. وفي العام نفسه اقترح أوزال تعديل حظر اللجوء بحيث يسمح بتعديل غير الرسمي. وفي عام ١٩٩٢ أعلن أوجلان وقف إطلاق النار وخلق في المطالبة بكردستان مستقلة، مطالباً بدلاً من ذلك بالحرية الثقافية والحرية السياسية. وسالت وفاة أوزال المفاجئة دون إجراء المزيد من المفاوضات، وسارع من خلفه إلى تعزيز وجود الجيش في الجنوب الشرقي وأُنهيت الحرب أخيراً في عام ١٩٩٩، وألقي القبض على أوجلان في كينيا بمساعدة من الأمريكيين والإسرائيليين، وأعيد إلى تركيا لتحاكمه إحدى محاكم من الدولة ويصعد ضد حكم بالإعدام. وفي أغسطس طلب أوجلان من جيش العمال الكردستاني إلقاء سلاحه.

منذ وفاة أوجلان لم يأت أي اقتراح من المسألة الكردية بوجوب التوصل إلى حل غير عسكري. واعتبرت لجيش الأمن القومي على أي محاولة لفتح موضوع الحقوق الثقافية، وفي بات مقبولة كينا قسماً الحديث عما سمي تخفيفاً، الواقع

في غرب الأناضول كانوا فلاحين فقراء طردوا من قراهم، ولجئت لديهم رغبة كبيرة في العودة. كان هناك بعد إضافي صعب على النخبة التركية، الحضور منها أو الريفية، وهو مناصرة الحركة الوطنية. حينما كان العصيان المسلح الكردي السابق في العشرينيات والثلاثينيات قد نشأ بين طبقة أصحاب الأملاك ورجال الدين، فقد تأسست الحركة الحديثة بين طبقة الفلاحين الفقراء. وبدأ حزب العمال الكردستاني كحركة مناهضة للإقطاع استهدفت أصحاب الأملاك في جنوب شرقي تركيا الذين كانوا الحلفاء الطبيعيين للدولة الجمهورية في المحافظة على السيطرة الاجتماعية. وفي أماكن أخرى تحالف بناء الدولة التركية مع الملاحين المستقلين، بل وأيدوا المزارعين الفقراء في احتلال الأرض، إلا أنهم استحووا على تغيير الميزان الاجتماعي في الجنوب الشرقي. وحين بدأت حركة الفلاحين في السبعينيات، أرسلت القرة رجال الدرك لحماية أصحاب الأملاك من العصيان المسلح. ويصغر هذا «اشتراكية» حزب العمال الكردستاني، وقآعه مع حركات مثل «المطرق المضى»، ولكنه يفسر كذلك عدم كفاية ما تحتوي به أيديولوجيا حزب العمال الكردستاني وتكتيكات حرب العصابات الخاصة به وفالده أوجلان بين النخبة الكردية.

من قيود العسكر إلى قيود بروكسل

الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي

رغم أن الحد الأساسي للمشهد السياسي المحلي خلال السنوات القليلة الماضية هو ترشيح تركيا لعصوية الاتحاد الأوروبي، ويقال إن هذا هو لشعور القوي الوحيد الذي يتمتع بتأييد شعبي. ولم يكن ذلك هو الحال دائماً. ففي عام ١٩٨٧، حين تقدم أول مرة يطلب العضوية، كانت القوى السياسية الإسلامية والقومية شديدة، وما تبقى من اليمين لم يكن قد تخلص بالكامل بعد من افتئاته نظرية العالم الثالث، ورغم تخفيف سيطرة الدولة على الاقتصاد، كانت البرجوازية التركية المدللة ما تزال

معدة عن تحديد مسار مستقل لها، وذلك خوفاً من ضياع الأرباح الوفيرة التي تحققها من الاقتصاد المحمي ودعم الدولة. وفي التسعينيات بدأ ذلك يتغير. فقد أخذ صبر الطبقة الوسطى الحصرية الناشئة يتهدد بالنسيئة للناسبة الرسمية للدولة القوية التي روج لها وأصحو مشروع التحديث. وبدأت عناصر داخل الطبقة المتخفة في التشكيك في الشجاعة المخفية للزعمة التنصيرية الخاصة بالدولة. وبينما كان الجدل السياسي فيما مضى يهدأ بناءً على سلسلة متصلة من الازمات واليهيم، يركز برنامج المعارضة في الوقت الراهن بشكل متزايد على الحقوق المدنية. والتعرض لعصوية الاتحاد الأوروبي ورقة مهمة لتسريح في هذه المرحلة الحاسمة. وإدراكاً من جماعات المعارضة أنه ليست لديها الموارد ولا القدرة على تعبئة القوى الاجتماعية لهزيمة الدولة، فقد باتت ترى عملية الترسيع على أنها الطريقة الوحيدة لكسب التأييد لقرار أكبر من الديمقراطية، وحكم القانون، والتعصبة الموسعة، بالنسبة إلى حق تصويروها في معيار كونهما. ومع نهاية العقد، كانت الأجندة المعتدلة في الحركات الإسلامية والكردية قد انصمت إلى صفوف ناشطي المجتمع المدني المؤثرين الإسلاميين المطالبين بالوفاء السريع بالشروط التي حددتها بروكسل.

الواقع أن الاتحاد الأوروبي كان قد اكتسب وجهاً كبيراً في تركيا بحلول أواخر التسعينيات، وكان أعصاب البرلمان الأوروبي يزورون مناطق الصراع بانتظام، ويتفقدون أحوال السجون، ويقدمون دعماً صريحاً



وفي ديسمبر من عام ١٩٩٩، أي بعد عامين من رفض لوكسمبورج، وافق رؤساء دول الاتحاد الأوروبي على قبول حصول تركيا على وضع الدولة المرشحة لعصوية الاتحاد. وأشار المراقبون إلى عدد من العوامل، ففي ألمانيا، كان شرودر قد حل محل كول الأكثر تشدداً، وكان سجن أوجلان واستسلام حزب العمال الكردستاني قد نزع فتيل القضية الكردية. وكانت حكومة بلير قد بدأت حملة قوية تدعو إلى توسيع عصوية الاتحاد الأوروبي تريباقاً للتكامل. وكان هناك تقارب جديد في العلاقات مع اليونان، وهو ما كان في جزء منه نتيجة لدبلوماسية التزلات، في عام ١٩٩٩، قد لجج اتحاد مناصعات استبول في حشد التأييد في بروكسل، وقد ظهر كذلك إلى التأييد الأمريكي.

وخاصة جيفر كلينتون في قمة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا OSCE باستبول في نوفمبر من عام ١٩٩٩. على أنه مفيد في ضمان نتيجة إيجابية في إسطنبول، وإن كانت تدخل الولايات المتحدة المستمرة لمصلحة دعم تركيا يتعامل باستياء من بروكسل، وخاصة منذ تولي جورج دبليو بوش رئاسة الولايات المتحدة. وبالطبع والتبثت تركيا أنها مصدر قوة ملخص في فترة ما بعد الحرب الباردة، وقبل إن دخول الاتحاد الأوروبي سوف يساعد على استقرار تركيا داخلياً، دون أن يكلف ذلك الولايات المتحدة والتحاليف الغربي، شيئاً.

رغم ذلك فاجأ قرار الاتحاد الأوروبي من تركيا وضع الدولة المرشحة لعصوية بعض أفراد نخبة الدولة في الفترة، فبعد أن اعتدوا على التناجيل الدائم، هاهم يجيبون أن الإصلاحات المطلوبة من نظام فجأة تقتضي تعديلات كبيرة في هيكله. القوى الخاصة بين أيديهم في عالمه الأيديولوجية. إذ كان لابد أن يتم نموذج الأمانة باعتبارها جماعة ذات مصالح مشتركة مكانه لحكم القانون، كما أن تطبيق الحريات المدنية والسياسية سوف يحزن القوى المعارضة. وكان لابد كذلك من الاعتراف بالحقوقي الشافعية للأقلية الكردية وإعادة تعريف العمالية بحيث تسمح بحرية إنشاء المنظمات المدنية والتعبير عن آراء المدنية، وربما كان الأمر الأكثر إثارة للجدل هو تخلي الجيش عن وصايته على الدولة وبناء على ذلك كان هناك أول مرة تعيين عسكري من معارضة المشروع الأوروبي، وخاصة من الجيش وشركاءه من داخل صفوف البروقراطية والقضاء. وبينما كان الاتحاد الأوروبي في البداية مشروع دولة بالنسبة للنخبة التركية، هاهو قد أصبح برنامجاً لارتداد كبح جماع استبداد نخبة انقر، إلا أن واقع حزب الدولة في مصيبة

المستفيدين في الوقت الراهن فهم مجموعة صغيرة من أصحاب السندات الحليين.

كان لابد أن يخلق نقل الحكومة المنظم لعائدات الضرائب إلى طبقة أصحاب السندات حالة من الاستياء بين العناصر النشطة والعاملة، في الاقتصاد الحقيقي. فهذه العناصر لم تمان قطعت من تورييع الدخل الذي يرداد سوءاً، بل إنها حرمت كذلك من نشأت القطاع العام بسبب الاستنزاف المالي، وأحدث اقتصاد الدين كذلك تشوهاً آخر على هيئة الريحية غير العادية للشهات المالي، الذي يتكون في مصطحه من تعاملات بين السندات الحكومية، وقد تقتصر البنوك من الأسواق الخارجية لشراء دين الدولة، في مقصداً على الصرق بين سمر المصالدة وانخفاض قيمة البيرة التركية. واحتفظ أصحاب المدهرات والمستثمرون بأموال سائلة من المعاملات المحلية والأجنبية لشراء والتبيع بناء على توقعاتهم، وشجع عدم الاستقرار اللائح على المزيد من المضاربة. وفي هذا التناقل المحموم على جزء من الخنقم، جمع القطاع المالي لعائدات مرتفعة مقابل الوساطة، كما شجع على التطفل السياسي والمضبوطة. وكانت هناك كذلك زيادة في الاستثمار المتناقل بين القطاع المالي والإعلام الأثري، إذ زاد أصحاب وسائل الإعلام نفوذهم ببراهلم البنوك، وهم رجال البنوك المصطفة بشراء وسائل إعلام. وبمقتضى أحداث الفساد ساسة متحالفين مع رجال البنوك الذين ينهبون خزائن الدولة في تلك الأثناء، وجدت الحكومات المتعاقبة أن الأموال تبتز منها. وبينما كانت العولة ذات النخبة الليبرالية الجديدة تشن غارات أعنف، كانت الطبقة السياسية عاجزة عن توظيف أي قدر من الحماية للسكان ضد الآثار المدمرة لتفوق السوق. وبدأت من الجوع، إلى الإصلاح الفطريسي غير المجهول، ربح تفيد النفقات كافة بما يشق مع وصفاً متسوقاً التقف الدولى. وبدل كل التعليم المدهم والخصام المصيبة تشوه (بحلول عام ٢٠٠٠ كان الإنفاق على الصحة والتعليم قد انخفض إلى ٢,٥ ٪ من إجمالي الدخل القومي على التوالي). وجرى تخصيص الشركات المملوكة للدولة، ولقطع الدعم المقدم للمستهلكين، وخفض الدعم الزراعي، ونصب الاستثمار المالي وتخت أية إجراءات للمساعدات الاجتماعية رغم الإنفاق المدهمة للمنظمة على نطاق واسع لما استخدم من قهر. خلال ثلاث حملات المبرية رقم ٩٥ في تقارير المديرة المضيرة، وهو ما يقر كثيراً من تربيتها من حيث نصيب الدولة فيها من إجمالي الدخل القومي.

يعتمد القبول الشعبي لحزب العدالة على كونه صوتاً لمن كانوا حتى ذلك الوقت مُقْصِينَ، بينما تتبع عودته من سجل الحكم لتشكيلاته التي نجحت في بناء سمعة للأمانة في إدارات جرت العادة أن تكون غارقة في الفساد



اللغة خديم مؤيدي التحول الديمقراطي خدمة كبيرة أثناء النقاش. إذ بلغ الأمر بعد قليل جداً أن الأموات قد اقترحوا الاتصال بشماخا عن الاتحاد الأوروبي. ولم يكن الخطاب الكفائي الرسمي ليسمح بهذا التمدد للمنحوج الغربي.

كان عدم ارتياح الجيش واستمداثه في التقديرات على شكوك الجناح الأوروبي، فقد كانت النخب الأوروبية التي تتطلع إلى تكويني الاتحاد فدرالي موحده سياسياً لعراض الضمام تركيا على نفس الأسس التي عارض بها ديجول انضمام بريطانيا إلى الستينيات، وكان الديمقراطيون المسيحيون في النمسا والمانيا يعتقدون أن تركيا من الناحية الثقافية ليست أوروبية بالقدر الكافي، أو أنها إسلامية أكثر مما ينبغي، وأظهرت استطلاعات الرأي أن فكرة قطع هي التي تؤدي ترشيح تركيا، وإن كانت النسبة أعلى في جنوب أوروبا منها في شمالها، وأتهم جيسكار ديستان الساسة الآخرين بالناقص، معلناً أن قبول تركيا في الاتحاد الأوروبي سوف يعني نهاية أوروبا.^(١) إلا أن الاتحاد الأوروبي لخصه وفع في حق خطابها باعتباره «الحاد المستعدين» من الناحية المخاطرة يمكن لكل من يسي بمعايير كونها غير أن ينضم إليه، ومن كان لابد من السماح بإجراة المفاوضات بالسريع في النقاشات المحددة، وكانت الغالبية تقوى الدفع بالديمقراطية، حيث أعدت المفوضية تقارير تقدم سنوية.

حكومة حزب العدالة والتنمية

حققت القوة المؤيدة للاتحاد الأوروبي تركيا انحرافاً غير متوقع بمصر حزب العدالة والتنمية في انتخابات نوفمبر ٢٠٠٢، ولم يكن الحرب قد وعد في الواقع بالعمل من أجل عضوية الاتحاد الأوروبي فحسب، بل كان ذلك القوة الأوروبية الوحيدة التي لم تلحق بها خلفاتها بخنحية الدولة أية أضرار. وحتى قبل تشكيل الحكومة، بدأ إدوغان جولاً في العواصم الأوروبية لحشد الدعم لتحديد موعد لترحول الأولى للمواصمات. وكان ذلك في المرة الأولى منذ خمس عشرة سنة التي يشك فيها حزب واحد الحكومة التركية، مع وجود رئيس وزراء كان قد استغنى (اصلاً) من خوف من أي تخريب تقوم به الأحزاب المشاركة في الائتلاف، أو الاختيار وراءه، وعملت حكومة حزب العدالة والتنمية بحسبان شديد للتسهيل بالتشريع أي مكان قد بدأ في عهد أجويد، فقد قلقت إشارات مجلس الأمن القومي، وسوف يوسع ليشمل أغلبية من المؤمنين الذين سيكون أحدهم رئيسه، وفي

عام ٢٠٠٤ أطلق سراح الثواب الأكراد، وبدأ بت برنامج باعلة التركي باسم «توروتا» الثقافية، على قناة TRT التي تديرها الدولة. ويؤيى أن ترى ما إذا كان للتشريع الذي يحمي الأفراد من أية أجهزة قمعية تابعة للدولة أثر على السلوك الفعلي للشرطة والمحاكم أم لا.

حصل إدوغان على فلاتر بشأن تحديد موعد للانضمام في قمة كونهاجن في ديسمبر ٢٠٠٢، في ذروة الاضطرابات التي شهدتها العلاقات بين جاني الأطلنطي قبل حرب العراق. وجرى تأجيل قضية تركيا للتحث حتى ديسمبر ٢٠٠٤، إلا أن التمردد المصلح الذي حدث خلال العام المنصر في العراق، إلى جانب التقدم الجري الذي حققه حزب العدالة والتنمية، أدى إلى توكيد مختلف. ففي مايو ٢٠٠٤، وصف كريس ياتن مسؤول الشؤون الخارجية بالاعتماد الأوروبي تصويت المجلس الأوروبي في ديسمبر ٢٠٠٤ بأنه «الاختيار الأساسي لاتزام الاتحاد الأوروبي بالقرارات والتعهدات والمسألة» في الإسلام، وهي يوليوي أعلى المجلس أنه راض عن تحول تركيا الديمقراطية وسوف يوقف مراقبته.

قدسهما، وباستثناء بعض القلق البازر، يبدو أن ديسمبر ٢٠٠٤ سوف يشهد انضمام تركيا بالجلوس في قاعة انتظار الاتحاد الأوروبي، حتى وإن طال انتظارها هناك بينما تحاول بروكسل أن إلخام ما يكفي من الخيارات والامرات المتعددة وسماقد تقديم الدعم لتفويض النعم الزاوي في المستقبل وتقيد حركة السائحين الجدد عن فرض العمل.

بالجميع أن يقدم بدء المفاوضات مع الاتحاد الأوروبي من أجل الانضمام النهائي خلا مسجراً للتقورات التي تولدها الحياة السياسية والاجتماعية التركية. وبالنسبة لثوب الرهان، يبدو أن الجيش قد كيف نفسه مع القيام بدور أصغر منحت له مناوره إدوغان الماهرة، غير أن الدعاوت إلى إعادة ارتدائه مياعة الوصي الفعلي لم تحتف. وسوف يتوقف ظهور الصراع على نجاح حزب العدالة والتنمية في الحصول على قبول قاعته الإسلامية على السيمر في الجواب حكم أكثر مركزية يرضى كذلك المؤسسة العلمانية والجيش، وتوقف الدور الذي يحتمل أن يقوم به الجيش كذلك على مدى التزام الجيش التركي بالحروب الجديدة والمشروعات الأمنية التي يخططها



الينتاجون. ولا يبدو تكرار اعتراض البرلمان على عيور الأراضي التركية إلى العراق في مارس ٢٠٠٣ أمراً محتملاً. فقد خالف ثلث نواب حزب العدالة والتنمية المنخبين حديثاً أوامر الحزب بالتصويت مع حزب الشعب الجمهوري، وأشار العصيان التركي غير المسبق فصبياً شديداً في البيت الأبيض يسمى إدوغان منذ ذلك الوقت عبرياً جاداً للتصويت عنه. وبحلول أكتوبر ٢٠٠٣ كان إدوغان قد نجح في إقناع صفوف حزب العدالة والتنمية بالتصويت لصالحه إسرائيل قوات لدعم التحالف الذي تقزعه الولايات المتحدة مستخدماً الملق العسكري القائل بأن الوجود التركي المصلح ضروري لنج قيام دولة كردية. إلا أن طليات مجلس الحكم العراقي المجد

منحت حدوث نشر الوكيل وظل الصراعات على نفس ما كانوا عليه من أهمية بالنسبة لواشنطن، كما تمهد إدوغان نفسه لترشيحه للولايات المتحدة، وليس واضحاً أنه سيكون من السهل التوفيق بين الحقبة الأمنية المستمرة للجيش وتناقض وجوده المصادف في الشؤون السياسية، خاصة في حالة عودة نشاط حزب العصابات الكردي داخل الحدود التركية.

على الجانب التركي، فإن نجاح حزب العدالة والتنمية في تخصيص أسباب الخلفنة شيئاً فشيئاً، فلا يبدو أنه سيكون من الممكن حل المسئلة جديراً. في غير المحتمل أن تعان الحكومة الاطراض التي في المستقبل القريب، ولكن ما إن يتشعب حزب الامة الدائم حتى يكون عكسها مواجهة الاستياء المتزايد من التفتش وشح مخصصات الميزانية للمنشقات الاجتماعية. وبينما كان الانتماء الاقتصادي أمراً مهماً منذ أزمة ٢٠٠١، يدفع الطغاط السواب والمتزايد من سكان تركيا في كل عام إلى السوق العمل فدمعة جديدة من العمال المتبان الدين تنجم قوتهم على صعد عزائيل الطيلة بقدر كبير من خيبة الأمل. فقد خلقت إبعاد هيكلة القوى العاملة استقطاباً واضحاً في الأكراد لا يمكن علاجها باليات التقليدية الخاصة بآلاسج والأكراد وتخاص الأحياء السكنية.

كان القفزة الحضورية بمناياه تجمع كبير للصلوات المصاحبة لحزب العدالة والتنمية. إذ أنهم ما زالوا عمالاً لا يكتفون به، وفي الوقت الراهن ما زال حزب

العدالة والتنمية يستعيد من سجله السابق الخطيب نسبياً فيما يتعلق بالعدالة ولا تكمن جاذبيته السياسية بالنسبة للفقراء الحضريين بصورة كبيرة في مخرجات ملموسة بقدر ما تكمن في تصورها للمتعاطف، كما أنه يستفيد من غياب أية فدية سياسية تبدله للسريع عن سخطهم. وبعد ذهاب الجدة، سوف يكثر التوتير في الصراع بين سياسات حزب العدالة والتنمية ومطالب جماهيره الأساسية التي يشجعها الخطاب الشعبي. وبينما سوف يمثل الأعراف الرسمي من جانب الاتحاد الأوروبي، ما احتمال مهالي للعضوية تعزيزاً، محدد، فإن مستقبل «منارة الديمقراطية في العالم الإسلامي، كما تصفه واشنطن غازل غير مؤكد.

هوامش:

- (١) ظهرت الكلمة الحقيقية لحمل الامم القومى المشاء احدثا الحرب ضد السكان الاكراد في الحوض الشرقى. فقد اصبح ادراة مصطفى الحرب، وكل المروم المتقدمة بحرية الزاى وعسارية الحقوق المرتبطة بالانتماء الكرديا و مسائل المرافقة ضمن سلطة محسن الاس.
- (٢) في الوقت الراهن ٦ بالمائة فقط من القوى العاملة انصعد في قطاعات حوالى مليون من يربيد على عشرين مليون عامل داخل مؤسسة على قدر كبير من التفتش.
- (٣) أثناء الحرب التركية لمعاقد، تم التمسلة، من فضيل مصطفى وحسن في الإسلام، هو حزب العدالة، للتفتش من رجال الاموال لمشاغلهم من الجانب الحكومي. وبعد ان اعصد، حرب الاله كانبو في اعليهم على الاكراد، عقد كان فضيليا ليعمل اصوليا لا علاقة له بالمرمب الشيمى ادى ليعمل الاسم نفسه، ويبدو ان هذه المرافقة مستمرة حتى الان بعد تولفد العمليات التركية في الحوض الشرقى. ما يبرز الحركة البولية لحزب الله وشماخا المرموعة في المرافقة الاستغارية في استبول وتوقف من عام ٢٠٠٣، وتطاهر قوات انا ماها غازلى على البسيرة على لا صوليجى من أجل المرافقة ادى إلى فشل التفتش المرموعة (٤) هناك الكثير من تفتش عن الحركة الانسانية في تركيا، منه على سويل بين Bim topur, Bim topur and Political Development in Turkey, N. E. er Göle, Leiden 1981 Modern Civilization and Young Aun Arhur Jency White, Islamic Modernization The Social Basis of Turkey's Welfare Party, I kumama: Journal of Middle East Studies, 1991 vol 33 No 3.
- (٥) اشترك جيسكار ديستان، وهلموت شميت في قمة مغال رفضت فيه عضوية الاتلى كانه المرافقة على ترشيح حزب اوان جيسكار ديمريا إلى حد كبير في نوفمبر ٢٠٠٢ على اعلن ان الحزب ليست بلدا: يوليوي من الساميين المرافقة لـ Europe sans front et 29 Monde November ١٩٩٤ وصورة مئة من الحزب توتيرى كتركيا كتركيا فيوليا بين السيمر مئة من الحزب (سرميلانيا) مدوح (لذلك)، وكان في دول جنوب أوروبا اكثر مته في الشمال.



جراهام فولر



أصبح «الورع» عنواناً للتخلف

وصفة للعقول التقليدية في وسط

الأناضول، الدولة هي التي تقرر ما ينبغي من مساجد،

من يتولى إدارتها، وتكتب الخطب الموحدة

لصلاة الجمعة في كل تركيا



حتى وهي تتحول إلى «مواطنين يدينون الولاء للجمهورية الجديدة»، لقد استغرق الأمر من سكان الأناضول، قلب تركيا، عدة أجيال للاستفادة من النظام التعليمي والإصلاح الاقتصادي والخصخصة لتوسيع التقدم الاقتصادي في الدولة والجزء كقوة جديدة لها أهميتها في المشاهد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تركيا. وعلى مدار الأعوام، دعمت هذه القوة الجديدة السمعة بـ «مور الأناضول» وبشكل متزايد، الأحزاب السياسية التي تحترم التقاليد الدينية ولا تقلل من شأن الموروث الإسلامي التركي أو تحد من حرية التعبير عنه. ذروة هذه العملية، التي قبلت على مضض من الصفوة لهذا البريول المتزايد الأحزاب توجهاتها دينية، تمثلت في مشهد انتصار حزب العدالة والتقدم (AKP) في الانتخابات عام ٢٠٠٢. هذا، الحزب الشعب، ذائع الصيت، الذي يصف نفسه، بحصانة بـ «إله ذو خلقية إسلامية»، أصبح الحزب الحاكم في البلاد. ويعد هذا التطور فوق ذلك، نتاج تقاليد إسلامية تركية نمت باعتبارها، وزاد اقترابها من حقائق السياسة ومتطلبات البراجماتية، تحت العين الرارصة للصفوة العلمانية داخل الجهر، وأعيد البناء القديم، وفي القلب نفسه باتجاه أكثر واقعية وأصبح أعظم تجزراً. كانت تركيا - بالفضل - غريبة النزوع بمعنى المطالبات الإسرائيلية في مواجهة التهديد السوفيتي خلال فترة الحرب الباردة، فادت انقرة إلى معاقبة حلف الناتو بصفته، والبحث عن ضمانات أقل غربية. كما أن تركيا لم تصبح غربية بين ليلة وضحاها. لقد كانت دول الإمبراطورية التركية العثمانية أكثر الدول الإسلامية نزوعاً نحو الغرب بحكم الجوار الجغرافي والتواصل والتماثل مع الحضات الستين سواء كأعداء ذويين أو حلفاء موسميين. وخلال المائة سنة الأخيرة في عمر الإمبراطورية العثمانية، والتي انهارت مع نهاية الحرب العالمية الأولى، سلكت تركيا سياسة تحرر وإصلاحات غربية مثل توحيد النظام الشرعي وتبني صيغ برلمانية في الحكم ومحاولة التوفيق بين الإسلام والقانون الغربي، وتعديل نظام التعليم ليوأكب النمط الغربي. وهكذا، ورغم أن إصلاحات أتاتورك في الجمهورية التركية الجديدة، بعد الحرب العالمية الثانية، قدمت فضلاً ثورياً جديداً في عملية تقريب، تركيا، إلا أنها لم تكن عالة. لقد ترك سحق أتاتورك لعدو وهيبه الدين في تركيا الجديدة، فضاء روحية واجتماعية، بطيئة الانتماء، على مدار ٧٠-٨٠ سنة الماضية. كان تأثير الغرب لا يذكر باهتماماً للأقلية العلمانية من سكان تركيا التي لم تشارك الصفوة الأتاتوركية في رواجها مع الغرب. الأغلبية ظلت متدينة وفورة بالميزات العلمانية

المستويات. لقد استند النموذج القديم الذي أرسى معالمه مصطفى كمال أتاتورك في العشرينيات من القرن العشرين. هذا النموذج استند إلى رؤية فرنسية للعلمانية، سرغت في اعتناق الثورة العثمانية. تستخف بالديانة وتنتظر إليها كآثر قديم من آثار التخلف والشموذ لابد من إزالته برؤية علمية حديثة. وقد تعاملت إصلاحات أتاتورك مع الإسلام برؤية مشابهة. كما أن عددا لا يستهان به من النخب الحاكمة، جنحيت وشدة، كل ممارسة عامة للمعتقدات الدينية. ورغم أن الإسلام، لم يُسحَ إلا أن الدولة اتخذت في تهميشه أصبح «الورع» عنواناً للتخلف وصفة للعقول التقليدية في وسط الأناضول. الدولة هي التي تقرر ما ينبغي من مساجد، من يتولى إدارتها، وتكتب الخطب الموحدة لصلاة الجمعة في كل تركيا. وتولت العسكرية التركية، التحصنة المبرورة وحماية القيدبة الأتاتوركية قيادة الصراع لقمع أي شكل لقوة دينية منظمة، أو تدخل من رجال الدين في السياسة. لكن حالة الدولة هذه تراحت، بوضوح، إلى الوراء خلال العقود القليلة الماضية أمام تنامي العملية الديمقراطية إلى أن وصل المشهد إلى ذروة غير مسبوقة في تركيا بمعنى حزب ديني مثلن إلى السلطة في سنتين، حزب وإن كان حذوياً وحرص على عدم إعلان جهوده الدينية.

تزوج تركيا المعروف بجاء الغرب تحرك

■ لدى العرب صورة مصلدة عن تركيا؛ دولة علمانية. ديمقراطية. صديق ثابت للولايات المتحدة. دولة يتوافق مشهدها الاستراتيجي مع المصالح الأمريكية في الإقليم. والمثال البديهي لكل المسلمين، وطوال ٥٠ عاماً الماضية لم يتطابق معظم هذه الصفات مع الواقع. ولم يجسد سوى أسطورة مريحة لم تخبر. وإذا كان العرب يرى أن ماضي تركيا «أسطورة»، فالأبناء الجديدة هي أن حاضري تركيا، مستنداً إلى حقائق جديدة ملاحظة في حركتها خلال سنوات جديدة، يتحول الآن إلى المثال «الاصيل» الذي يقدم - أخيراً - درجة من الإثواء «الاصيل» في الإقليم. هذا المثال الجديد يتركز إلى انتشاح جاد بالعملية الديمقراطية، واستعداد لإادة دوره ليس كمجرد قوة غربية ولكن كقوة شرقية أيضاً، ممارسة أوسع لسيادة وطنية تستند إلى الشعب، استقلالية أكبر لفعل لم يعد يتعلق بضمائنات امن من الولايات المتحدة أو أي قوى هي رسم السياسة الخارجية. هذا المثال، النموذج، يحقق أيضاً تقدماً مقبهاً في اتجاه حل قضية الأكراد، الأقلية العرقية الملتبئة، ولديه اليوم قدرة ظاهرة لمواجهة التحدي الأول في العالم الإسلامي اليوم: عملية التكامل الإداري والسياسي للإسلام. هذا، النموذج، الجديد هو الأفضل كثيراً لتركيا. الأفضل للأفضل والأفضل لأوروبا والعالم حتى وإن كان في واضعلن من لا يزال يأمل في بقاء نموذج-أسطورة تركيا القديمة. هناك مجاور رئيسية للتحول في تركيا، وستؤدق المشهد الاستراتيجي للدولة وسياساتها خلال العقد المقبل، وفي الإسلام، القومية التركية، التناكسك، الانصمام إلى الاتحاد الأوروبي، دورها كدولة شرق أوسطية وكدولة متعددة العرقيات، وروابطها مع الولايات المتحدة.

الإسلام

ما يسمى بـ «تركيا العلمانية» - هو - قديماً. أكثر ما أحبه الغرب عن هذه الدولة، زارة كنوع من الإيذاء بالرائس (اعتراك بالنام الربيع للنموذج السياسي النفاث الغربي، لكن لترويج ما تكن أبداً علمانية أصيلة وعشقة، خلاف النموذج العلماني للولايات المتحدة، الذي يصلح الكشينة. بصراحة. عن الدولة ويوجب على الدولة أن تبقى بعيدة عن شؤون الدين، ولدت العلمانية التركية سيطرة مطلقة وحكماً من الدولة في الدين على كل

عن: The Washington Quarterly

ترجمة: جمال إسماعيل

داخل المسرح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تركيا. كان من الطبيعي ألا يظل الخناق الرئيسي لظهورية التركية المرتبطة عبر مئات السنين بحماية ونشر الإسلام، مقصوعاً إلى الأبد حتى وإن كان أتاتورك قد فكر في نفي ماضي تركيا الإسلامي بعيداً عن إدراك وتعبير الجماهير. ورغم أهمية العديد من الإصلاحات العربية التي قادها أتاتورك إلا أن محاولة قمع الدين بين الجماهير لم تنجح، وعادت تركيا ثانية إلى التعبير الطبيعي عن الشعور الديني، وخاصة في السياسة. كانت الديمقراطية المأثرة مستأجراً إلى هذه العملية وبالطريقة نفسها التي ذهبت بها الديمقراطية الإسلامية، السياسي في كل الدول الإسلامية تقريباً، وعلى حد سواء. وهكذا فإن الوسيطة الأولى والمهمة، التي جعلت من تركيا النموذج في العالم الإسلامي، هي أنها واحدة من دول إسلامية قليلة شهدت نزوعاً فعلياً لتمثيل نوابي وسياسي حقيقيين وجاد.

وبعد عقود عديدة من الفكر والشر والبدنيات، وصلت الديمقراطية التركية مرحلة نضج نسبية. لقد حلت تركيا - بالحوار وإلى الحد الذي يمكن منه اعتبار أي مشكلة سياسية محولة بشكل دائم - مشكلة الإسلام السياسي بواسطة مزيج على درجة مناسبة من الضغوط والحريات يسمح لحزب إسلامي، شديد الحساسية، بالبروز، والتألق أيضاً. وعندما يأتي اليوم الذي يشعر فيه النخب أن هذا الحزب الإسلامي فقد طاقة استمراره، فسوف يترجم في منافي الاقتراع، بطريقة الحال، ويحل محله حزب آخر وتستمر عملية تبادل طبيعي للمنطقة السياسية، وهي العملية التي تجعل الأحزاب الإسلامية المعتدلة كمثل هي الأحزاب.

إلا أن كانت هذه هي المرة الأولى في تركيا التي ينتخب فيها حزب إسلامي كحزب حاكم، هي المرة الأولى أيضاً لثوابت. لقد كانت الولايات المتحدة تضرر دائماً بهزيمة، إلا أن السياسات الأمريكية، وهي حرة لها ما يبررها منه الثورة الإيرانية عام 1979، أزمة الرئاسات (الاستشارة الأمريكية في طهران)، الهجمات الديمقراطية لرجال حرب العصابات من شعبة لبنان ضد التواجد الأمريكي والإسرائيلي في لبنان في الثمانينيات، بالإضافة إلى ظهور جماعات إرهابية وإسلامية متطرفة حول العالم، وقد توجت الحركة - طبيعة الحال - بهجمات القاذبة المروعة في 11 سبتمبر 2001. رغم ذلك، توصلت واشنطن - بنجاح تام - إلى علاقات متبادلة مع حكم حزب العدالة والتنمية، مبرمة أن حزباً إسلامياً واحداً، على الأقل، في العالم، يمكن أن يكون الشريك الممكن الذي يقود إلى الاستقرار



كمال أتاتورك

الوطنية التركية الشائكة

يدرك أي أمريكي دخل يوماً في معارضات صلب الحكومة التركية أن التركي مقاض صلب وساخط، يبدو التركي على درجة عالية من الحساسية إزاء الكرامة الوطنية والصالح القومي التركية. ولا يحظى المقاض التركي إرتيابه إزاء دوافع الدبلوماسية العربية، هذه النزعات تعد نتاجاً طبيعياً لحقيقة معاملة تركيا، منذ عدة قرون، من الإمبريالية العربية التي انقضت، وبانتظام، مساحات كبيرة من الإمبراطورية العثمانية في البلقان، الشرق الأوسط، والقوقاز. كما أن الدولة التركية الجديدة كانت تتكلم بواسطة قوى أوروبية متحمسة، منها اليونان، بعد الحرب العالمية الأولى ولم تحفظ وحدة أراضيها سوى المقاومة غير العادية التي قادها أتاتورك. جابر تاريخية نعمت من الخط، المدى القوي المناهض للإمبريالية في (التركية الوطنية التركية) ولم يخفف منه سوى أن الدولة أصبحت قادرة على الحفاظ على قوتها واستقلالها بعد طرد القوى الإمبريالية الحالفة، في عام 1921 (بخلاف معظم الدول العربية التي لم تتل جديداً، لهذا يمكن للاستيعاب وليس الحرب العالمية الثانية). ويقي الأتراك في التحركات الأوروبية والأمريكية تحت السطح ويظهر دائماً بقوة من وقت إلى آخر، وأصبح العامل المشترك داخل المشهد

في الإقليم. وقد زاد زعيم الحزب، رئيس الوزراء التركي، واشنطن وجرت المشاورات وتبادل الآراء بين الدولتين حول قضايا مثل العراق، قبرص، التعاون الثنائي العسكري في مجالات محددة. لقد اجتاز حزب العدالة العتبة، والأمل أن تشعر الولايات المتحدة أن بإمكانها العمل على المستقبل مع أحزاب إسلامية في دول أخرى.

ولذا ؟ إن الولايات المتحدة لا تستطيع، أحيث ذلك أم كرهته، تجنب التعامل مع الحركة السياسية الوحيدة والأكثر في العالم الإسلامي، أي الحركة الإسلامية بكل تنوعاتها وأختلافاتها وتطوراتها الجارية. إن الجميع يدرك أن العالم الإسلامي حافل بالظالم والإحباط والغضب، تعبر هذه الظالم في نفسها اليوم راية، عربية العفيدة، لقد كانت الظالم نفسها قائمة خلال عقود عديدة ممت، وراكمة غريبات عقائدية مختلفة، قومية عربية وديكتاتورية وغيرها. وعندما فشل عبد الناصر في تحقيق نتائج، ظهرت الماركسية، اللبنيانية وبمعها الإسلامية، كخلف طبيعي. كذلك فإن قمع أو تدبير حرية عقائدية، ما، كان يدفع بالظالم وأصحابها إلى البحث عن حرية جديدة، لهذا يمكن للاستيعاب وليس القمع، أن يمكن الإسلاميين من التعبير عن العديد من الظالم الشعبية ونسوتها. ولهذا يمكن أن يحدث في تركيا أن يشكل سابقة مهمة للعالم الإسلامي.

السياسي التركي: الجيش القوميو-الأتراك، اليساريون الإسلاميون، وأصبح داخل أكثر الدوائر التركية عربية، ويعكس السؤال عن الروابط الحالية ما بين أسرة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، غريزتين متحاربتين، داخل ضيقة الوطنية التركية، رغبة تحسين فائدة من الديمقراطية الغربية، تبادل السلطة، ولججحات اقتصادية. وتحديث يناهض الإرتياب، لمعاد إزاء مناوآت العرب، ويرى القوميون المتشددون أن شخصية تركيا واستقلالها تعرضا لتهديدات بسبب ضغوط بمرصها العرب عليها لإصلاح مستعد الثقافات والاندماج أعمق في النظام الاقتصادي الأوروبي.

ومن المفارقات المثيرة في التاريخ أن يأتي الطلب التركي، لعضوية الاتحاد الأوروبي، أكثر الإحاحا وإقناعاً، في وقت يترأس فيه البلاد حزب إسلامي، وراء هذا التطور سياسات معقدة لكنها على درجة كبيرة من الإسلاميين، إن الإسلاميين، أو أصحاب الاتجاهات الإسلامية، ضيق ما شوى من نمو العسكرية التركية على النظام السياسي والذي أدى إلى قمع حرية التعبير، الإسلامي، وحرمانه من إيجاد تمثيل نياي له داخل النظام. لهذا، وعندما بدأت معارضات دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي وجد الإسلاميون، وكذلك الأحرار، أن مطالب الإصلاح المفروضة من الاتحاد الأوروبي لتدخل تركيا إلى عضويته، تعقب في صالحهم إلى حد كبير الديمقراطية في المقبول، من الحاليين: الاتحاد الأوروبي، والإسلاميون المعتدلون، الديمقراطية مع فيها من افتتاح النظام السياسي والخصم لتأثير العسكرية على السياسات. كثير من الأتراك يسمون إلى هذه الأهداف. لكن الإسلاميين كانوا هم المستفيدون الرئيسيون. اليوم، بيتي ما يسمى بخلق العسكرية، شديدة العاطفية، المؤيد للحزب، إزاء الإصلاحات المطلوبة من الاتحاد الأوروبي لكونها قد تكسب التبرار الإسلامي المعتدل مزينة من الشريعة التي قد تشد أيضاً إلى الحركة الكردية داخل الدولة.

لكن الأحرار الخطي من العسكرية التركية مؤسسة تحظى باهتمام وربع ولم يطلها الفساد. ووسعت، عبر السنوات، من أفاقها الديمقراطية في مواكبة لتقدمها كإنها هم المستفيدون الرئيسيون. الحاصل على، المسئول المدني، لقد قصت، ويتزايد، من تدخلائها السابقة وفي سوريا، هي الصياغة بأهمية للدولة بأن تطوّر في اتجاه ديمقراطية أصيلة. وفي هذا السياق يبدو الأوروبي مستبكر تركيا السياسي، والاجتماعي أيضاً، بنجاح تام - كان عليه الوضع في عقود ماضية - ورغم «مشاكسات» داخلية على طبيعة الديمقراطية الخفية المطلوبة من الاتحاد الأوروبي، تحرك

المولة التركية في الاتحاد الصحيح على طريق قبول الحاجة إلى إصلاح يستجيب للمطالب الأوروبية.

والشعور السائد لدى الأغلبية هو أن المكاسب التي يمكن تحقيقها عبر العضوية الأوروبية تفوق ما يفرضها التوقعات المتعلقة بالسيادة وسيادة النظام القديم. إصلاحات هي، فالمثل، ووفق كل مطلب أحر للاتحاد الأوروبي، لوسيلة الوحيدة الأكثر قوة لإحداث إصلاحات سياسية واقتصادية وتشريعية كان من الصعب تبريرها وتطبيقها إلا بما تكن هناك تلك الرغبة التركية لدخول الاتحاد.

وإدخال الاتحاد الأوروبي نفسه، هناك من يشعر بالقلق إزاء الانضمام المستقبلي المحتمل لتركيا، لما ما إذا كانت تركيا تستطيع، حقاً، تلبية الشروط المشددة للعضوية، بعض الأوروبيين يصل إلى حد التحذوف من أن تكون شقافة تركييا الإسلامية غير مألوفة إلى درجة يصعب على الاتحاد الأوروبي مقبوعها. وبعض المحاور الأوروبية المشروعة تتنحصر بحجم الاقتصاد السكاني التركي، وملائمة الاقتصاد التركي، وكلاهما يمكن أن يكون له انعكاسات حادة على الاتحاد الأوروبي. الجانب الآخر، كان حزب العدالة والتقدم وراء الدعوة الفئوية لتسوية الأزمة القائمة حول تقسيم قبرص طبياً لخطوط مشتركة من الأمم المتحدة، وهي دعوة جدت الأمل في حل قريب للمشكلة التي بدت وكأنها غير قابلة للحل طوال أكثر من ثلاثة عقود هما أيضاً يبدو التندوم الاستراتيجي التركي ملحوظاً.. وفي المصميم.

تركيا والاتحاد الأوروبي

قدم طلب تركيا لعضوية الاتحاد الأوروبي الحافز الحقيقي لاتحاد إصلاحات سياسية واقتصادية، وقد حصل تركيا على العضوية رغم الكثير من التشؤم الذي يسود بعض الدوائر في تركيا، والتكثير من التهاجس داخل دوائر بعضيها في الاتحاد الأوروبي وإذا كان منطق الموسع في عضوية الاتحاد الأوروبي يسميها بالانضمام أول قبل تقدماً سياسياً أو اقتصادياً (مثل معارفا رومانيا)، فإن عضوية تركيا تصبح مؤكدة واستعدادها هو أمر لا تحتمل طموحات أوروبا الكونية المتعددة التناقضات

من خلال آخر توريد آمال تركيا في الانضمام إلى عضوية الاتحاد الأوروبي من التورط في صميم العلاقات الأمريكية الأوروبية. وتنازلات الولايات المتحدة الرابعية في الإنفاذ على تركيا كشرط استراتيجي في الشرق الأوسط، قدراً من الإزعاج المحتمل للاتحاد الأوروبي لكي يسرع

من دخول تركيا إليه. لكن الاتحاد يحظر محتفظاً بهواجسه حول مدى توافق تركيا مع أوروبا، ومنحوقاً من الاقتصاد السكاني الكبير الذي يمكن أن يرفع أوروبا بالمزيد من العمالة المهاجرة، يحترق الاتحاد الأوروبي بما للولايات المتحدة من مصالح استراتيجية أساسية ويحظى اهتماماً هامشياً لانضمام اقتصادية أو سياسية تركية على الاتحاد الأوروبي نفسه. كما يبدو الاتحاد الأوروبي قلقاً مضاعفاً إزاء استمرار المشاكل الاقتصادية على الحدود التركية المشتركة مع جيران غير مستقرين مثل إيران، العراق، سوريا وجيران تركيا في القوقاز. ويعمل الاتحاد الأوروبي من أيضاً اهتماماً بجهد أمريكي متحملة من شأنها محاولة تخريب الاتحاد الأوروبي وضعه من التحول إلى منافس لسيطرة القوة الأمريكية. وفي هذا السياق يرى الاتحاد أن إصرار الولايات المتحدة على إضافة دول كثيرة من الشرق، بما في ذلك تركيا، إنما يهدف إلى إضعاف التجانس الثقافي للاتحاد الأوروبي.

ورغم صعوبة تصارب عضوية تركيا، أو أي دولة أخرى، مع علاقات متزايدة وقوية مع الولايات المتحدة، فإن التناقض بين واشنطن وبروكسل يتعطل في تركيا أن تمارس بعض احتياطات صعبة، وقد بدأت تظهر بالعمل قرار انضمام داخل عضوة صائغى القوازم السياسي التركي بين أصحاب الجول الأمريكية وأصحاب الجول الأوروبية، أصحاب الجول الأمريكية يأملون العون من الصعوبة القديمة، من الجيش وارتباطاته مع واشنطن التي تعود إلى فترة الحرب الباردة، وهؤلاء الذين يعتقدون أن الولايات المتحدة ستكون أهل مطالبات بالإصلاحات الداخلية التركية، وخاصة تلك التي تخطط لبنى المحطات القوية للثقافة الكردية، وكلما زاد احتضان الجماعات الأوروبية النشوة، لعلوى تركيا والكردية، وأراء أصحاب التوجهات المناهضة للإمبريالية، جيل الشباب الأكثر تعصباً ومباشرة لأوروبا، وخاصة من

ملايين المئات التركية التي عملت في، أو هاجرت إلى، ألمانيا، هؤلاء أهل جندهم المشرق الأوروبي، وهؤلاء أهل تحرقاً من التهديد الروسي القديم تركيا. ورغم أن وضع تركيا الجيو/ سياسي لا يزال يتسبب على احتفاظها بروابط استراتيجية مع الولايات المتحدة، لكن ارتباطها الاقتصادية مع الاتحاد الأوروبي ستتمو بشكل أقوى. مدى شدة المناظرة ما بين الاختيارين، الأمريكي والأوروبي داخل تركيا، يتوقف على مدى حدة اختلاف المصالح الاستراتيجية الأمريكية الأوروبية خلال العقود الآتية. وفي اعتقادى أن العالم من المحتمل أن يشهد اختلافات تكتيكية، وربما استراتيجية بين الولايات المتحدة وأوروبا، يكون طبيعياً من حد ما. تصدح النظرة من أن يمسك بالسلطة السياسية في واشنطن، كل الأطراف عليها الالتفات للتحولات الجارية في هذه المنطقة والعمل على تقليص ما ينجم عنها من سورات.

ماضى غير سعيد

تركيا جزء من الشرق الأوسط، وفهم العلاقة الاستراتيجية بين تركيا والإقليم يتعطل إدراك أن جوهر الاتفاقية كان ربط تركيا بالغرب لتحويلها إلى دولة غربية متقدمة، وأكثر من نصف قرن، في ظل الحكم الاتوري، تصرفت تركيا وكأن الشرق الأوسط لا وجود له. هذا الإقليم يوجد الارتباط غير السعيد مع ماضى تركيا والذي فيه تبادل العرب والأكراد، العروانية، العرب يدافع اتعاس السيطرة التركية على العالم العربي وسياسات الدولة التركية للحرب، والأكراد بسبب حيانة، العرب، للإمبراطورية العثمانية الأولى، لم تكن تركيا الاتورية رغبة في انبثاق، ولو من بعيد، باقتصاد العربى أو الإسلام، ولصعوبة طويلة كانت وراثة الخارجية التركية تتفاخر بأنها لا تحرب كوادها على العمل الدبلوماسى في العالم



إن تركيا العلمانية هي أول دولة في تاريخ العالم الإسلامى تنتخب بحرية حزباً إسلامياً للسلطة الوطنية. هذه الحقيقة مذهلة. لقد كان على الجيش التركى، الحارس القديم اليقظ لآى تأثير للدين على الحكومة، أن يرضى بالحقيقة



العربى أضف إلى ذلك أن جغرافية تركيا لعبت دوراً محورياً في دعم التوايا المبكر بين تركيا وجيرانها العرب في الشرق والغرب، لقد خدمت روسيا وحدة الأراضي التركية لأكثر من ٥٠٠ عام، وكانت لاعباً رئيسياً في تفكيك الإمبراطورية العثمانية، فيما بعد، خلال الانسلاعة السوفيتية، قامت روسيا بتهديد جديدة استغلال وسيادة أراضى تركيا، على الجانب الآخر، كان العديد من الدول العربية في حالة غضب إزاء العرب صاحب الماضى الاستعماري والإمبراطوري في الشرق الأوسط، والذي أوجد أيضاً دولة إسرائيل على أرض عربية، وكان التوجه إلى الاتحاد السوفيتى كمنهضة لسيطرة القوة العربية على صعيد الأرض والحود لم يكن هناك ما يدعو العرب إلى التحوف من مطامع روسية لأن الاتحاد السوفيتى ليس متحاذ، الوضع بالنسبة لتركيا كان مختلفاً

فيما بعد الحقيقة السوفيتية شعرت تركيا بأنها مجبرة على مخاطبة جيرانها العرب بما يتجاوز بيرة الموقف الدفاعة، والحقيقة أن تركيا أصبحت في السبعينيات وخلال سنوات الطفرة الاقتصادية ناشطة اقتصادياً، في البداية، وفي ظل السعدية وليبيا، بعد الثورة الإيرانية، عام ١٩٧٩، تحول الإسلام الإقليمي إلى الاتجاهات الإيرانية وشعرت تركيا بأنها تواجه تهديدات من إيران، العراق، وسوريا، تبنت إيران تصوير الثورة الإسلامية، مهدته سوريها مع تركيا حول قضايا تقاسم مياه نهراوات وساعدت في تحريض أكراد تركيا على التمرد (وهذا ما فعله العراق أيضاً في عدة مناسبات رغم تعاون بغداد وانقرة لصحق أكراد العراق في مناسبات متفرقة)، قامت هذه العقائات تركيا إلى حزب انقلابي، فإن إسرائيل خلال ٢٠ عاماً الماضية ووصلت العلاقات بين البلدين إلى الذروة في منتصف التسعينيات، وسمت لك اليبس وانقرة من قدراتها الاستراتيجية باعتبارها إيران، العراق، وسوريا، في محاولة لتغيير المواقف العدائية.

هذا الوضع تغير الآن إقليمياً، ومنذ سنوات صممت أخذت سوريا تفرس من استراتيجيتها إزاء تركيا، وطردت من أراضيها وحتمت ضعف تركى بزعيم حزب العمال الكردستاني، الحركة الانفصالية المؤمنة بالعنف الثوري في تركيا، وهو الطرد الذى أدى إلى اعتناقه، بالإضافة إلى تعرض سوريا لتصفوف للإصلاح وتنخيف من دعمها للبراديكاليين في الإقليم، أما صدام حسين العدائى فقد ذهب الآن رغم ما لقضه الحالة العراقية من تهديدات جديدة ناجمة عن عدم الاستقرار الداخلى وامتثالاً لحرب أهلية تخشى تركيا أن تؤدي إلى انفصال كردى -

توصلت واشنطن - بنجاح تام - إلى علاقات متبادلة مع حكم حزب العدالة والتقدم، مبرهنة أن حزبا إسلامياً واحداً، على الأقل، في العالم، يمكن أن يكون الشريك الممكن الذي يقود إلى الاستقرار في الإقليم



العسكر الأمريكي كن تستخدم، بالكامل، الأهداف السياسية الأمريكية في الإقليم. هان التوتور، الأمريكي، الشريك سوف يردوا حدته إن تركيا لنمو عملية أكثر استقلالية وأقل عنفاً واقتنا وتواضعاً، ولن ياتجها لنظام، جيمام، أص، هو، استواء، لصالح مع ملاش، أعداء، الحوار و تهديد،هم لنس مع لا يمكن أن نفس أصم اشقرة طالما بقيت تركيا مستقرة داخلها،

يحب على واشنطن ادرك ان تركيا مؤهلة اليوم لأداء دور متزايد القوة في الشرق الأوسط ولكن عبر أطر صممت لخدمة المصالح الوطنية القومية الأمريكية، ومن المرجح أن تكون الفترة أقل استعانة لاحتياجات واشنطن داخل الإقليم، ولدى تركيا إمكانية تحقيق مزيد من التقدم في الاتجاد الذي تيسر إليه الآن مع جيرانها وإدارة صبيع الإسلام سياسي من شأنها أن تسهم في استقرار الإقليم على المدى البعيد وقد تصطلحه تركيا، صاحبة القرار المستقل، بخلاف، دورى، مع الولايات المتحدة، لكنه لن يكون مدعماً، وكلما زاد التسعة، واشتغل سياسيات السيطرة كلما زاد التوتور وأد احتمال أن تجد تركيا نفسها أكثر تعاطف مع اتحاد أورو سي يقصود - ايضاً - إلى استئقلال استراتيجى

ومن بين كل دول الإقليم لعرص، من اليقالا الجنوبي، إلى الشرق الأوسط، إلى القوقاز، تحقق تركيا تقدماً كبيراً وظنون بمصاية أكثر، وعلى نحو أكثر عنفاً، ديمقراطيتها الصاعدة تحسن علاقاتها مع الجيران، تطور اقتصادها، وتتعامل مع الإسلام السياسي، تركيا هذه المستقلة القرار، الحديثة، تتحرك في اتحاء حل القضايا التقليدية الإسلامية التركية نصيداً، من الرؤية القديمة المستدرة لدولة علمانية مؤيدة للولايات المتحدة، تركيا هذه في طريقها على قيصم الحمال، النموذج، الاصيل للعالم الإسلامي.

تعتبر المصالح القومية التركية لدى تقوى من واطعها الإقليمي وروابطها مع مركزية الأورو وتتعلم من مركزية الدور الأمريكى، هذه المرات ليست مقصورة على تركيا، على الإطلاق لنحسب لنحسب التحولات الاستراتيجية للصحة لجمعه على مستوى الكثرة الأرضية منذ نهاية عصر الحرب الباردة. لكن عنق الولايات المتحدة للتسيرة العالمية يوجد محاد له الطبيعي من أكبر دولة مسلمة القرار كانت دات يوم دولة خليفة سوف تزهو العلاقات التركية الأمريكية، وسوف تسهم تركيا في تحقيق استقرار الإقليم كحد اد لم تحولوا الوايات المتحدة صيانة الدولية القديم للحليف، الذى تعتمد عليه، بدلاً من السماح له بتطوير علاقاته الإقليمية المستقلة الخاصة. #

تهديداً مستمراً لاستقرار تركيا وسحق اجواء بالاعه السياسية إزاء المناورات الخارجية من الأعداء، احتواء دياربكر، في اندماج سعيد للأكرد مع تركيا، والمتعمع بمزايا كثيرة للامولة، صورة ثقافت ديناميكية المعادلة، كردستان التركية، هذا الصياريو يشكل تهديداً للدول الثلاث الأخرى الأقل احتواء للأقليات التركية، هذا الصياريو يجعل من تركيا القوة الجاذبة لكل الأكرد داخل إطار من التقدم والتعددية الثقافية والحياة الديمقراطية المرتبطة بأوروبا، الدول الأخرى، في الصياريو نفسه، تصبح تحت ضغط، أى أن تقدم لأكرد ما



الباردة، لكن تأثير القضية الكردية على هذه العلاقات كان أقوى وأوضح. لقد تركيا تعداد سكانى من الأكرد يلقى تعدادهم السكانى في أى دولة أخرى في الإقليم.

وخلال الثمانينيات والتسعينيات زادت المخاوف التركية الدائمة من انفصال كردى داخل الدولة، وخاصة بعد أن قامت سياساتها، الخاتم، إزاء الأكرد داخل الدولة إلى خلق حركة انفصالية مسلحة، وقد تشكلت سياسات تركيا تجاه إيران، سوريا، والعراق على وجه الخصوص، تبعاً لذلك، المشكلة الكردية داخل تركيا، أضف إلى ذلك أن كل دولة أرادت زعزعة استقرار، أو إضعاف تركيا، لعبت الورقة الكردية في مواجهه تركيا، (بريطانيا، روسيا، أمريكا، اليونان، العراق، إيران، سوريا) ويسكن القوقاز - بيساطة - إن شعور دياربكر، العاصمة غير الرسمية لأكرد تركيا، بعدم التسامح يمثل

الدور الأمريكى

إذا استمرت سياسات واشنطن محكومة برغبة الإبقاء على تركيا داخل

إنجاراتها الداخلية بتعاطف واحترام كبيرين، وهذا سهل أن تصبح تركيا النموذج الإقليمى الذى ما كان لينجح عندما كانت متوسطة معمم مع الناتو وساطحة استراتيجية مع العالم العربى وقت أن لها إلى دعم موسكو.

المسألة الكردية

تأثير العلاقات ما بين تركيا وكل من إيران، العراق، وسوريا، باختلاف الاهتمامات المقدنية ومتطلبات الحرب

واللافت للنظر أن النجاح المتعلق بالنمو الأمريكى، الجياشرو غير الجياشرو في التقليل من التهديدات الاستراتيجية لكل دولة من الدول الثلاث الشرق الأوسطية، هو ذاته الذى يعبر عن حماسيات الاعتماد الشريك السابق على الولايات المتحدة لضمان حماية استراتيجية في المنطقة. تركيا تتحرك بنقطة في اتجاه تحسين علاقاتها مع الدول الثلاث معقدة محاور ثنائية ومطورة مصداح الاقتصادية تتجاوز بكثير، اهتماماتها الدفاعية الخاصة، وبعد علاقاتها بلغت الدروة في منتصف التسعينيات بدأت روابط تركيا مع إسرائيل رحلة الاضمحلال، سوف تستمر تركيا لا سعيها وراء التكنولوجيا العسكرية التي لا تتوافر إلا في إسرائيل، وتستمر في تحجير التأثير القوى للوبي الإسرائيلي، داخل الكونجرس الأمريكى، لخدمتها كوسيط مع الإدارة الأمريكية، لكن استراتيجيتها، والأوامر الواجبة، لم تعد قائمة. كما أن ضعف العلاقات التركية، الإسرائيلية يعود ايضاً إلى التعاطف الإسلامى المتنامى لحزب العدالة والتقدم، وكذلك تعاطف الراى العام التركى، مع الفلسطينيين ضد السياسات التصفية لليهود الحاكم في إسرائيل ولدى تركيا الآن أسبابها الوجيهة كن تسعى إلى علاقات مستقلة مع العديد من دول الجوار الإسلامى التي قد تختلف معها في درجة التحول السياسى لكنها لم تعد من الأعداء، وهى الخافيل، فإن هذه الدول داتها ترى تركيا قوة خيرة وهى تقوم بمرهين إعادة التوازن جندورها الإسلامية وتمازس المزيد من الاستقلالية عن واشنطن، العرب، على وجه الدقة، يجلسون ويسهلون الملاحظات عن تركيا الديمقراطية التى تستطيع أن تقول لا لواشنطن بشأن مساعدة غزو الولايات المتحدة للعراق، أمر لم يجرى على فعله طفا الحكام العرب.

ولناختصار، فإن تركيا تحولت نحو مزيد من الاستقلال عن واشنطن، تحسين روابطها مع جيرانها العرب والإيرانيين، زواياح جيدة مع روسيا، ومزيد من الاعتراف الملحق بمصاهيبا الإسلامى مع الشرق ذلك يخدم في جعل تركيا جزءاً من القوقاز الأوسط، أكبر مما كانت عليه من قبل، وتحظى هذه الصورة التركية بتعاطف أكبر بين الدول الإسلامية التى تنظر إلى

عراقى يشجع على انفصال كردى، (تركى)، وتبنى إيران التى تشهد خصماً في البرامجة السياسية واتحدت خطوات عرجاء لكنها مهمة، في اتجاه العملية الديمقراطية رغم عقم ما يهبطها، وفى الوقت الذى تلاشت فيه محاطر التهديدات من إيران، سوريا، العراق، حققت تركيا تفوقاً في القدرات العسكرية والاستراتيجية يكمل لها احتواء أى تهديد عسكري محتمل

واللافت للنظر أن النجاح المتعلق بالنمو الأمريكى، الجياشرو غير الجياشرو في التقليل من التهديدات الاستراتيجية لكل دولة من الدول الثلاث الشرق الأوسطية، هو ذاته الذى يعبر عن حماسيات الاعتماد الشريك السابق على الولايات المتحدة لضمان حماية استراتيجية في المنطقة. تركيا تتحرك بنقطة في اتجاه تحسين علاقاتها مع الدول الثلاث معقدة محاور ثنائية ومطورة مصداح الاقتصادية تتجاوز بكثير، اهتماماتها الدفاعية الخاصة، وبعد علاقاتها بلغت الدروة في منتصف التسعينيات بدأت روابط تركيا مع إسرائيل رحلة الاضمحلال، سوف تستمر تركيا لا سعيها وراء التكنولوجيا العسكرية التي لا تتوافر إلا في إسرائيل، وتستمر في تحجير التأثير القوى للوبي الإسرائيلي، داخل الكونجرس الأمريكى، لخدمتها كوسيط مع الإدارة الأمريكية، لكن استراتيجيتها، والأوامر الواجبة، لم تعد قائمة. كما أن ضعف العلاقات التركية، الإسرائيلية يعود ايضاً إلى التعاطف الإسلامى المتنامى لحزب العدالة والتقدم، وكذلك تعاطف الراى العام التركى، مع الفلسطينيين ضد السياسات التصفية لليهود الحاكم في إسرائيل ولدى تركيا الآن أسبابها الوجيهة كن تسعى إلى علاقات مستقلة مع العديد من دول الجوار الإسلامى التي قد تختلف معها في درجة التحول السياسى لكنها لم تعد من الأعداء، وهى الخافيل، فإن هذه الدول داتها ترى تركيا قوة خيرة وهى تقوم بمرهين إعادة التوازن جندورها الإسلامية وتمازس المزيد من الاستقلالية عن واشنطن، العرب، على وجه الدقة، يجلسون ويسهلون الملاحظات عن تركيا الديمقراطية التى تستطيع أن تقول لا لواشنطن بشأن مساعدة غزو الولايات المتحدة للعراق، أمر لم يجرى على فعله طفا الحكام العرب.

ولناختصار، فإن تركيا تحولت نحو مزيد من الاستقلال عن واشنطن، تحسين روابطها مع جيرانها العرب والإيرانيين، زواياح جيدة مع روسيا، ومزيد من الاعتراف الملحق بمصاهيبا الإسلامى مع الشرق ذلك يخدم في جعل تركيا جزءاً من القوقاز الأوسط، أكبر مما كانت عليه من قبل، وتحظى هذه الصورة التركية بتعاطف أكبر بين الدول الإسلامية التى تنظر إلى

مصر.. والسودان.. والقرن الأفريقي

إسرائيلية تسبب لمركزيتها لأفريقيا ولدول
حوض النيل.

إسرائيل على الخطة!

وبعد انهيار نظام سياد بري، سعت مصر لإعادة بناء الدولة الصومالية وارتطم ذلك بأثيوبيا التي لا تريد دوراً عربياً يمزجها عن التسوية في الصومال، لأن الصومال الموحد قد تستهوي عقيدة الصومال الكبير، الذي يصبح مهدداً لأمن المنطقة، بإحلام استعادة الألواحدين من اثيوبيا والمنطقة الشمالية الشرقية من كينيا.

فشلت كل محاولات إعادة بناء الدولة الصومالية، لأن الإدارة الدولية العاجية، لا تريد بروز دولة صومالية في الطرف الحاض، ولذلك ورغم حضور الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية والاتحاد الأفريقي، لمؤتمر جيبوتي بين القوى والقبائل الصومالية والتي استمرت ثلاثة أشهر وبرزت عنه حكومة شرعية هي حكومة الرئيس عبد السلام صلاح الحالية، إلا أن المجتمع الدولي، حجب عن دعم هذه الحكومة كما سعت اثيوبيا لتقويضها من الداخل والتشجيع الوضع إلى أن يصبح تأثير الحكومة الحالية أضعف من تأثير بعض المصالحات ويكفي أن حرس الرئيس قام باحتجازه لمعجزة عن دفع مرشاهم

مصر وإسرائيل والثورة الأثيوبية،

سعت إسرائيل للاستثمار في اثيوبيا التي انجذبت عن التصويت على قرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة في ١٩٤٨م ولكنها قامت علاقات دبلوماسية مع إسرائيل بعد عام من إعلان تأسيسها، وأرسلت إسرائيل هي السبب من القرن الثامن أفضل خبرائها في الأمن والتعليم والاتصالات والزراعة والصحة والتخطيط الاقتصادي لاثيوبيا وأصبحت المصارعة الإسرائيلية في اثيوبيا الأكبر في العالم بعد السفارة الإسرائيلية في أمريكا، وفي عام ١٩٤٩م قطعت الكنيسة القبطية الأثيوبية علاقاتها المؤسسية كمرع من كرسى الإسكندرية وفي عام ١٩٦٩م، منحت إسرائيل الكنيسة الأثيوبية معاشير دير السلطان في القدس، والذي عطلت تدميره الكنيسة القبطية المصرية منذ عام ١٨٢٤م ولكن اضطرت اثيوبيا بعد حرب أكتوبر المحيطة هي عام ١٩٧٣م، لتقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، تماشيًا مع المد الأفريقي الذي الحاز نصر ولكن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن هيلاسلاسي حينما قطع علاقاته مع إسرائيل، كان يتوهم أن تنهزم إسرائيل ذلك بطريقة أخوية وتقدر ظروف اثيوبيا ولكن بعد عدة أشهر من قطع العلاقات، أطلقت مذبذب الثورة الأثيوبية، في وقت تعلمت فيه القذرات الإسرائيلية هي كل قطاعات الدولة الأثيوبية، حيث استمر الحمره الإثيوبيون في كل الأجهزة الحساسة، واستلم الجيش



تحتكتها من مواجهة النمو السكاني الفلسطيني والعربي، وفي وقت برزت فيه الهجرة المصاة بالخروج من إسرائيل. ومع بروز الثورة الأنشوبية، أحيت إسرائيل مشروع تهجير العرّاق والعراقيين الذين كان مشوّفاً في الأفق والسجلات منذ أيام القويّد كرومر الدنوب الباصي البريطاني في مصر. وجرت العملية الكبرى بعد موافقة الكونجرس الأمريكي على تمويل مشروع تهجير العرّاق في سبتمبر ١٩٨٤ وهي شهر نوفمبر ١٩٨٤ بدأت المخابرات الإسرائيلية بالتعاون مع المخابرات الأمريكية والسودانية على عريقتي موسي، وسيا، والشهريين في وقت طفت في وسائل الإعلام قضايا تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان واعداد محمود محمد طه والتي ذلك تطورات داخلية أدت إلى المطاحة بنظام الرئيس جعفر نميري.

ولم يقطع سعي إسرائيل إلى التغلغل في الشأن السوداني عبر الوائتين الشنّاعية والجنوبية ولكن كما أرات إسرائيل أن تجد لها موطئ قدم في السودان؟ وما هي أهدافها؟

يمكن تلخيص ذلك، هي أن إسرائيل قسمت الدول المحيطة بها إلى دول طوق ودول محيطة، أما دول الطوق فهي مصر وسوريا والاردن ولبنان، وقد تضمنت ميثاقاً مع كسر الطوق، حيث تتشعب بعلاقات مباشرة مع مصر والاردن كما هي محور مع لبنان، كما أنها موجودة في الجولان، تسعى لضمها علاقاتها مع سوريا

أما عن دول المحيطة فهي، تركيا وإيران والعراق واليوبيا والسودان والسعودية وليبيا، والبناتسة لانيوبيا هناك وجود دبلوماسي وامتي إسرائيلي وعلاقاتها متطورة مع إسرائيل مما تمكن في تنفيذ برامجها تجاه العرّاق، وكذلك الشنّاق فيما يتعلق بالسياسات المالية والحوض النيل، وكذلك دخلت إسرائيل في علاقات تحالف تكتيكية مع إثيوبيا منها من الإطالة على البحر الأحمر والحدائق التي تستثمره، كما نجحت في استخدام إثيوبيا محطّاتها تجاه السودان.

وترغب إسرائيل في إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع السودان، وعلى طريقة موريتانيا، نسبة لأن لإسرائيل طوقاً من السفارات الدبلوماسية شمالاً وجنوباً، كميالا، نيروبي، كينشاسا جنوباً، وبعمان والقاهرة شمالاً، وأميس واسمررا شرقاً، فإلحاح ليس الخرطوم

كما أن إسرائيل موجودة في ميناء إيلات، التي تعطتها ٥,٣ ميل على البحر الأحمر تجد نفسها في منظومة دول البحر الأحمر وتريد أن تدخل نادي البحر الأحمر كقوة إقليمية هامة، كما تنظر إلى السودان كسوق وكمدخل للسوق الإفريقي لأن مستقبل تجارة إسرائيل في أفريقيا حيث يمكن أن تمتد التجارة الإسرائيلية عبر السودان إلى مئنا

للإشراف على إصفاة السلاح وإرسال ضباط الانابيا للخارج للتدريب.

وجمينا قامت حكومة الرئيس ملتون ادوني ريتز بإعداد انصرامه السابق بالتصديق على حركة التأمير وكذلك اتفاق وتسليم المرتزق اللاتني التوري وإشترار حكومة الرئيس جعفر نميري والتي قامت بمحاكمته لنموه في حرب جنوب السودان وسجنه مدى الحياة، قامت المخابرات الإسرائيلية بتنسيق الإطاحة بالرئيس ابوتي والذي كان يحضر اجتماعات رؤساء دول الكومنولث في سنغافورا في ٥ يناير ١٩٧١، وظهر المحقق العسكري الإسرائيلي بارليف في يوم الانقلاب، يوجب كميالا مع الرئيس عيدي أمين الذي ذهب في أكثر من دورة تدريبية عسكرية إلى إسرائيل ولكن لم يدم بعد العمل طويلاً بل انقلب القبط الرئيس عيدي أمين بعد أقل من سنة على إسرائيل وتم إغلاق السفارة الإسرائيلية في يوغندا وانتقل الرئيس مع حركة التمرد إلى سفاري توريوس وانسحب أبايا.

وسعت إسرائيل لتتوغل كمال التوقيع على اتفاقية أديس أبابا ولكن تدخل الإمبراطور هيلاسلس محذراً السفير الإسرائيلي، من أنه إن قامت إسرائيل بتوقيع مسار المفاوضات فإن ذلك يوسع بالعلاقات الأنشوبية. الإسرائيلية ولم يكن أما إسرائيل إلى الحفاظ على علاقاتها مع إثيوبيا والانسحاب التكتيكي من جنوب السودان.

تهجير الفلّاشا،

ركزت إسرائيل جهودها في الفترة الثانية لاتفاقية أديس أبابا للسلام، على مشروع تهجير الفلّاشا إلى إسرائيل على الأخص بعد إنهاء الجيش الأنشوبي في عام ١٩٧١ لوضع الإمبراطور هيلاسلس وإقامة النظام العسكري الجمهوري

واحت است إسرائيل بعد حرب أكتوبر مع مصر في ١٩٧٣، أنها إذا أرات تأمن بقائنا غلابد لها من زيادة الطلب المشريّة زيادة

مبن دولتي وولتكم والواحد ولكن لبقاء اتفاقية تعاون وانح.

وكان من يزود زيارة الرئيس زلاوي لإسرائيل أن قررت ريتز بعد انصرامه شهر عن زيارة الرئيس زلاوي كشف علاقاتها مع إسرائيل وإعلان فتح سفارة في إسرائيل علماً بأن لإسرائيل سفارة في اسمررا منذ عام ١٩٦١

أصابع إسرائيلية،

كانت إسرائيل متوجسة من مشروع الاتحاد بين مصر والسودان وسعت لاختراق النخب الحاكمة مشتبلة في وجهه الاستفلاطين، كما برز ذلك في كتاب، أمراء الموساد، وكذلك ما كشفت عنه الوثائق البريطانية من اتصالات برجال السياسة في السودان، ولكن لم يثمر التوجه الصهيوني في السودان، شمالاً إلا في حبة الرئيس جعفر نميري، حينما يارك السودان اتفاقية كامب ديفيد في ١٩٧٨ وجنوباً حينما دخلت في علاقات تجارية مع قيادة حركة التمرد في الجنوب كميالا بأنابا استثناء من الشنّاتية، حيث كشف طرفاً من ذلك أحد قادة أثنان في مذكراته وهو سيمريانو هولي في كتابه، تشكيل جبهة السودان حر، أنه تم قميته سكرتيراً دارياً في يوليو ١٩٧٣ حين اعتقاله في يوغندا أكتوبر ١٩٧٣. وأن جلوب ادو قام بتقدمته إلى السفارات المدنية في كميالا، وعلى رأسها السفارة الإسرائيلية وأصبح حلقه القومل الأنشابية مع إسرائيل وأنه تابع هذا الدور كذلك في دورة اقري جاديس ١٩٦٥، ١٩٦٥، وتايحج الاتصالات ماسرليل عبر مسئول الانابيا الهندس سيراالينو والي سواكا، وفي عهده تمت زيارة كل من اقري جاديس وغريون مورنا وجوبيل لافو لإسرائيل، حيث تم نصب جلوب لافو مسؤولاً عن التنسيق مع إسرائيل فيما يخصت بالنسديت والتسلح كما تم إعداد مطار ابويح في بول وارست إسرائيل انصاء من قواتها المسلحة

الأنشوبي مبيدة معشورتو عملياً وتحت واجهة رئيس الجمهورية أمام عسود الإريترى الامن السلطنة اعداء من عام ١٩٧٤ من اسمررا الامور وتم القضاء على هيلاسلس الذي اضيق وهن في مرحاض في قصره، حتى انتهت الامور إلى مجسود بعد اغتيال امان عسود وفي عام ١٩٧٨، قام منجسود، لم يصبح بعد رئيس دولة، بإعادة استدعاء الخبراء الإسرائيليين معمرأ على أن يعود ور إسرائيل إلى ما كان عليه قبل حرب أكتوبر المحيطة وارست إسرائيل ١٢ جوبرا لإعادة بناء الجيش الأنشوبي، مما كس الجيش من الضموم في وجه حكمة التوار الإريترين من العرب والقبائل الصومالي في الشرق في عام ١٩٧٨/٧٩، وفي وقت ذلك أخذ السوفييت يزيد موقفهم في إثيوبيا.

وفي عام ١٩٧٩ طغت أحداث الحرب الإريترية /عربية، مع ما أدى إلى ميل ميراث المصالح الاستراتيجية في القرن الإفريقي والصراع الأنشوبي مع الإريترية والصومال، كما أدى لوقوع اتفاق كامب ديفيد عام ١٩٧٩ المهر معرض سلام مع العالم الحر إلى تخميني قيمة إثيوبيا في الجوز الإريتريلي خصوصاً أن أنشوبيا أصبحت حليفاً لاتحاد السوفييتي، غلبت العرب كما أصبحت إثيوبيا جزءاً من حشد عدو مما أدى إلى انصعج اسر لخدمة ضد الأطراف ومواجهة مصر في إثيوبيا والرن الإريترى عبر داب جوي الإطاحة بنظام منجسود، طغت إسرائيل ثراب الأوضاع في القرن الإفريقي وبحثت في التسلل إلى دولة إريتريا الوليدة علماً بأنها كانت في الناحية الاستراتيجية ضد قيام دولة إريترية، حيث طحرت إليها كشوية لحزوم العربي في البحر الأحمر وقام الرئيس اسيس اقورقي بثلاث زيارات إلى إسرائيل، كما تمت إحتراب إسرائيل سفارة إلى اسمررا، وإيران، جابا (إريترية) الأنشوبية في مايو ١٩٨٩ وقامت إثيوبيا لثلاثين طرفين على كاي دعمها لإثيوبيا معننا لإريتريا معلماً مما أدى إلى شمس الأنشوبي عبر معني.

ولكن نجحت إسرائيل أيمرا في استخدام رئيس وزراء أنشوبية مجلس زلاوي لثلاثة إسرائيل في بداية يونيو ٢٠٠٤، ولدت ثلاثة أيام وولتت لزيارة اقمية استراتيجة كبرى لاهي أن زيارة يعود لها مسئول أنشوبي رفيع إلى أنشوبيا وسفقت زيارة الرئيس زلاوي لزيارة وزير الخارجة سوب مسين والي الذي الرصد من قبل في ديسمبر ٢٠٠٣ ورد عليها سلمان تالوموزر الخارجية الإسرائيلية لزيارة اديس أبابا في يناير ٢٠٠٤ على رأس وفد من رجال الأعمال الإثيوبية رئيساً من ٢٢ شخصاً ودفاتي زيارة الرئيس زلاوي متوافقة مع اجتماع دول حوض النيل في يوغندا للمطر في إعادة حصصة حصص جلبيده وحقوق مالية جديدة لكل دول الحوض بلقاء اتفاقية عام ١٩٦٩، ورد في كلمة الرئيس زلاوي أمام موشيه كاتساف الرئيس الإسرائيلي بأنه لم يسمر إلى إسرائيل لحرد تعاون وثيق



فيما دفع التخطئ السوداني الاتجاه للإبداش وشركائها في محاولة للحصايل على اسم اليك واستقرارها وانها الحرب الأهلية في جنوب السودان الخروج من العزلة الدولية وعقوبات مجلس الأمن المتعلقة بالسودان إقتبال الرئيس مبارك والتي ساندتها في فترة مصر. حينها انشعبت مصر فحاضر ترك السودان وجده. يجادل عن وحدة ومصالحه في مائدة تضم أمريكا وإيطاليا وبريطانيا والترويج وكينيا وإثريا ويوغندا وأثيوبيا كان قد فات الأوان، لأن الحكومة السودانية كانت قد التزمت بقرار تقرير مصير الجنوب السودان وسيبها على ذلك المعارضة السودانية التي دعمتها مصر والتي تبنت كذلك تقرير الصير في مؤتمر الخرصة بأسماء للقرارات المصرية.

وجاء ما يسمى بالبادرة البنية المصرية والتي تضرع لفتح حل مشكلة السودان بتفادي تقرير الصير كمجرد إبرة دمه حيث افترقت المبادرة للمساندة الدولية، كما أن الحركة الشعبية لتحرير السودان رفضتها ولم تكن للحكومة السياسية السودانية لوصولة بمصر والتحاليف مع الحركة الشعبية لمملك من السودان والقدرة لتبني المبادرة، كما أن مصر لم تكن شديدة الحماس للمبادرة لأن القيادة في الأساس صناعة ليبية

وانتهت مصر إلى أن محيطها تفتت، فالصومال يتكلم والصناعة العربية لا تكاد تتجمع في فعل يتكافأ مع تفكك الصومال وتفرقه والندور المصري في أثيوبيا يتأطلن بينما التمرد الإثيوبي يزداد على الإخص في المجال المالي والأمني والصالح المصرية في السودان تفرش لظها. وفي هذه الظروف تطرح أمريكا مشروع الشرق الأوسط الكبير وهو مشروع بديل للجامعة العربية، ستكون من مخراته الدولة العربية بالإضافة إلى إسرائيل وأثيوبيا وإثريا وإيران وتركيا وبعض هذه الدول قدمت بطاقتها لعضوية الجامعة العربية بصفة مراقب. هذه مجرد دفعة لجعل الجامعة العربية أكثر حيوية حتى تتشاور لدخول إسرائيل وحسب الخطط الإسرائيلية، فإنه حينها يصبح إسرائيل عضواً كاملاً العضوية في نادي الشرق الأوسط، فإن بعض الحكومات تكون قد تقيرت ضمناً من الناحية الديموقراطية والخرطة السكانية والسياسية، وربما ينطبق ذلك على السودان الذي قد ينجس للنادي بنائب رئيس دولته ووزير خارجيته وهم ينطقون بمفاهيم لا يعرفها العرب.

رما تكون الصورة متشابهة ولكن مع ذلك هذا الوضع يقابله إحساس شديد بضرورة عمل شيء ولعل تأزم العقل العربي وتآزم الموقف العربي سيدفع في اتجاه مخاض ثم ولادة لشروع يستوجب التحذير. ومصر موجودة بهذا المزال لأن مصر في محط الأمل ومحت الرجاء ومحت الزمان. ■

تحرير جنوب السودان من رئيس أركان الجيش الإسرائيلي دان مشرون ووزير الدفاع الإسرائيلي إسحاق رابين لتقديم تسهيلات واسعة لرجاله في قواعد البحرية والبرية الإسرائيلية في أثيوبيا لاستقبال الأسلحة التي تسهل إليه وذلك لتعج إصرار الحكومة الأثيوبية بشكل رسمي.

وقامت إسرائيل بتقديم الدعم والمعلومات بالأقمار الصناعية عن تحركات الجيش السوداني كما تم الكشف عن مقتل خمسة صياد إسرائيليين في معارك داخل الجنوب السودان في نهاية عام ١٩٨٨م. ويقتر الخبراء المساعدات التي قدمتها إسرائيل وأجهزة المخابرات الأمريكية والغربية ومحاولة خمسالة مليون دولار، وكانت إسرائيل وإيه نقل المراكب إلى شمال السودان وأسفط الكرمك والبنسان، وضمن هذه التسهيلات أعلن مطير بوحاس سفير إسرائيل في القاهرة عام ١٩٩٠م أن إسرائيل تريد بل حدود التطلعات القومية لسكان جنوب السودان، كما قالت في ذات سفير إسرائيل في الخرصة لتحرير السودان أاجنحتها المحتلغة زيارتها لإسرائيل.



في ظروف الاستقلال أهدت مصر للسودان جامعة القاهرة فرع الخرطوم ونمت العلاقات الثقافية والتعليمية إلى حد أن أصبح حجم التبادل السوداني بين مؤسسات التعليم العالي المصري صمم عديمه في مؤسسات التعليم العالي السودانية ولكن تعرض الوجود المصري في السودان إلى انحسار شديد في كل مستويات السياسية والتجارية والاقتصادية في أواخر سنوات ثورة الإنقاذ الوطني التي هبت مصر لدعمها في البداية ووصل هذا الوجود إلى مستوى ضعيف للغاية فيما بعد عام ١٩٩٩م.

وحتى في تشاد حيث كانت تملك بحيرة إيرو ومطار الزاكومة ومطار متون. كما ورد سابقاً، فإن في المرحلة الأولى ركزت إسرائيل على تجنيد الاستوالبين من الشعب وكذلك الذين همضوا في الجيش السوداني ولما تفقد المساعدات الإنسانية، أدوية وأغذية وأطباء تم التشريب على فئون القتال في مراكز خاصة في أثيوبيا ووجدت إسرائيل في العناصر الكفمية والجميات الطوعية بنية جاهزة للاستخدام ومهجة للشورة. وبشكل تفنيد بالمساح لتضمه في إرسال الأسلحة الروسية التي غفمتها إسرائيل من مصر والدول العربية في حربها المختلفة إسرائيل في العناصر الكفمية ومنصب سفير حينها تسمم لوري إورياني منصب سفير إسرائيل في أوغندا (١٩٩٤، ١٩٩٦م) ثم سفيراً لإسرائيل في أثيوبيا (١٩٩٧، ١٩٩٩م) تطور هذا الدعم إلى حد انقتال صياد وجند من الوحدات الخاصة الإسرائيلية لتدريب المتمردين، كما برز قاهر الأسلحة الإسرائيلية جاسي كوشيك كوسيط بين شركات السلاح والاستخبارات الإسرائيلية والمتمردين كما قامت إسرائيل بإشاعة مصرية لضباط المشاة في دوليس. كابلوه كما اشتركت عناصر إسرائيلية في بعض المعارك التكتيكية.

سجلت إسرائيل نجاحاً باهراً في عواطفها على السودان، إذ ما يزال هذا العدوان مستمراً دون معرفة الأصابع الإسرائيلية. لأن جهادة من العقول الإسرائيلية تولوا أمر هذا المكابح تحت في توطيد الحكومات الأفريقية والأمريكية والأوروبية في هذا الشأن، فقد نمت مثلاً معظم الانفاقيات العسكرية بين حكومة إسرائيل ومنجستو على تفحصين نسبية مفرقة من الأسلحة المرسله من إسرائيل إلى أثيوبيا لحركة التمرد في جنوب السودان، كما تم استيعاب كثير من النخب الجنوبية في المعاهد العسكرية الإسرائيلية، ومن في ذلك الطيارون على قيادة تحاللات خفيفة والطيارون العمودية والرحوية. وقد وصلت الثقة إلى حد طلب المقيد جون فريز كما ورد في كتاب إسرائيل وحركة

اللايين من الأفارقة، كما أن أقرب أثيوب يتحول لإسرائيل هو الأثيوب السوداني حيث لا يكاد يحصل ما ييل إسرائيل ويوتسون إلا مسافة تسام إريتريا للبحر الأحمر. كما أن وجود إسرائيل في السودان يفتح إسرائيل على الضاربين الأفريقي والأفريقي. كما تنظر إسرائيل إلى أن أكبر استعاراتها في المنطقة تشمل في المقاومة الجنوبية، التي غفمتها بالمال والسلاح والتدريب والتسهيلات الدبلوماسية. اشمرت الانطلاقة الإسرائيلية النشطة في أفريقيا في فتح أكثر من أربعين سفارة وقصصية في القارة أي قرابة عدد السفارات السودانية في كل العالم. كما يجوب إفريقيا أكثر من خمسة آلاف خبير إسرائيلي يعملون في الزراعة والصناعة والأعمال والتجارة ويرتبطون بمؤسسات الدعم الطوعي والدمي حسب مقولة الرئيس السابق المؤسس بين جوريون، (إن الجهد الإسرائيلي الإضافي الدول العربية، لا يجب أن يفسد هذه الخطوط المواجهة لبل الجماعات غير العربية التي تعيش على التخوم في شمال العراق وجنوب السودان وجبال لبنان) ومنذ الفصينات شكل بين جوريون فريق عمل من العقول الإسرائيلية لوضع الاستراتيجيات الملائمة وتحويل دول المحيط إلى عوامل قوة في الحسابات الإسرائيلية.

تفكيك السودان

في العقل الإسرائيلي:

تنظر إسرائيل إلى المجتمع السوداني كمجموعة عرقية وإثنية بدون تاريخ موحد لذا سمعت إلى اختراق قلب وعقل النخب بأوامر أن لكل ألقية أو عرق تاريخاً وشخصية على حدة وأضمة في الاعتبار تهديد المصرة إلى السودان يعاقب ويحاصر لأنه مصر مصري وجنوب مصر ولم يقدم على ما القتل عليه مصر من تطبيع. لذا أخذ العقل الإسرائيلي يسعى بإصدار تمكين الأقليات أو الأعراف الأفريقية من الشأن السوداني وتمليكها المزايا الاستراتيجية التي تهم إسرائيل كالمصارات البحرية والمجالات الجوية وخطوط المواصلات والثروات المعدنية.

وقد نحت إسرائيل في اختراق أجهزة الأمن في أثيوبيا وأوغندا وكينيا في مرحلة مبكرة حتى أصبحت جاهزة كمواقع للثوب والانطلاق نحو السودان. كما تم إنشاء الواهبات الاستثمارية والخيرية والتجارية ومن أبرزها شركة (إيكودا، العامة) في مجال الثروة الحيوانية واللحم وكان يديرها بن ثنائ وهو أول من تولى إجراء اتصالات مع الزعماء الجبويين.

كما قامت إسرائيل عدة قواعد جوية في المدن المحيطة بالسودان وجزر البحر الأحمر



اميمة ابوكير

كتب تتحدث

لهذا التاريخ الثرى الذى يكون بتركاته المتعددة هوية أصيلة ومركبة لاجتماعنا، مع نقد بعض المدارس التاريخية التقليدية التى ما فتئت تقدم ولعصر تاريخ المنطقة العربية - خاصة مصر - قبل وحدانية القرنين الـ ١٩ والـ ٢٠ أى الفترة المملوكية والعثمانية على أنه تاريخ مظلم تماماً ولم يتسن لمصر أى تنوير حضارى إلا بعد أن تمت فطيمة حاسمة مع كل أشكال الحياة فى الفترات السابقة، وهذا هو ما تلى بملء الحديث والمصرنة. وإيجاد تبنيا المكنونة أسيرة سنبل فى مقدمتها بمنالشفة هذه الفرضية وتقدم النظر الأساسى الذى يستكمل الإطار الطبقى المرجس للعرض التاريخى بعد ذلك، تشرح فكرتى «النظرية الاستثنائية» فى تفسير التاريخ فى مقابل الاستمرارية الثقافية، كما تطبق على مصر ربما كنموذج واضح لبقية العالم العربى والإسلامى.

يتم لتفديد خطاب الاستثنائية فى معظم الدراسات الغربية التى تقصر ظاهرة «الإحياء الدينى» فى مصر المعاصرة من خلال النظرية التى تقر أن التاريخ العربى والإسلامى مختلف وغريب ولشأنه وتطور بهدف إبراز الاختلاف فى هذا الاختلاف غير الطبيعي والاستثنائى عن أى تطورات موازية فى أى جزء آخر فى العالم، ولا يفوتنا بالطبع التصرف على هذه العنصرية الاستثنائية التى ترجع الظواهر إلى «جوهرية» ثابتة وجامدة لا تتطور فى أصل الثقافة العربية الإسلامية). إن المشروع الرئيسى للكتابات كما نعتقد له الكاتبة فى هذه المقدمة هو نقد لهذه الفكرة الأساسية التى نلزم أنها سيطرت على تفسير التطور التاريخى للمجتمعات الإسلامية - ومصر خاصة - من الفترة المملوكية إلى العثمانية إلى المولية الحديثة

وبذل الجهد البحثى لتقديم وجهة نظر مغايرة عن السائد، وسوف يتضح بالضبط المقصود بهذا عند التطرق إلى موضوعى الكتابين بالتفصيل. أما النواحي أو الملامح المشتركة الأخرى فهى تتلخص فى: (أ) التركيز على البعد الثقافى للمسألة ومناقشة مشكلة الحدانية. (ب) الرجوع إلى الجذور والبدائيات حتى يرى القارئ الصورة الكلية، أى تقديم «بانوراما» ورواية شاملة للموضوع. (ج) استخدام البية الفرض والتصنيف الثلاثة من زروم، يقرب عدسة التحليل من الطاهرة. (د) محور خاص من الحرة وعلاقتها بالحدانية أو الحركات الإسلامية المعاصرة.

هذه هى تقريباً الركائز الأربع التى سيرتكز عرضنا عليها، وسنلاحظ أن الاثنين منها تشيران إلى نواح منهجية والتين تخصصان بنواح مفاهيمية. أما المنهجية فنقصد بها اعتماد الكتابين على حركتين فى التحليل، حركة ترجع بالوراء قليلاً لتشوس جنزور وأصول المسألة وتطورها من مرحلة إلى أخرى وليس فقط جزءاً مبتدئاً منها، ثم حركة تقرب النظائر كثيراً، وكأنه «زروم سينمالي» وتقوم بالفرض والتصنيف بين التدرجات والمسويات المتعددة والفروض البسيطة والهمة فى الوقت نفسه. أما التفتقنات الأخرىان فتتعلقان بمفاهيم النموذج الثقافى الأصل للخصوب العربية والإسلامية فى مقابل معضلة النموذج الحدانى الخارجى المفروض، ثم مغزى أحوال النساء ماضياً وحاضراً.

كيف نرى تأريخنا وحاضرنا؟

يقوم كتاب (المالوك الجند) بمجهود ضخم ليس فقط لتقديم عرض تاريخى تقليدى ولكن أيضاً تشرح رؤية خاصة

فى الموضوع المباشر ومجال التخصص، فأحدهما كتاب تأريخى يبرصد مسيرة مصر فى القرون الثلاثة الأخيرة (١٨ - ٢٠ق) والتحولت السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى صاحبت هذه الرحلة المولية أو كيف حدثت النقلة من مرحلة ما قبل الحدانية إلى الحدانية، وهو كتاب (The New Mamluks: Egyptian Society and Modern Feudalism) (المالوك الجند، المجتمع المصرى والإقطاع الحديث - عام ٢٠٠٠) للباحثة الكاتبة المصرية د. أميرة الأزهرى سنبل بجامعة جورج تاون الأمريكية، صاحبة الدراسات التاريخية والمجتمعات الإسلامية بمصر وبحرة الكتاب الأشهر الذى ترجمه المجلس الأعلى للثقافة إلى العربية بفان: (النساء والأسرة والواثين الطلاق فى التاريخ الإسلامى، الصادر بالإنجليزية عام ١٩٩٦)، والآخر كتاب تحليلى فى العلوم السياسية يتناول وقفاً سياسياً بالعالم العربى الإسلامى، وهو (Face to Face with Political Islam) (الاسلام السياسى وجهاً لوجه - عام ٢٠٠٢) للكاتبة ولحلل السياسى الفرنسى المعروف فرنسوا بورجيا الذى قضى سبع سنوات بالمجزر وخمساً بمصر حتى ينتج هذه الدراسة وهو حالياً مدير المركز الفرنسى للعلوم الاجتماعية فى صنعاء باليمن، وهو أيضاً له باع طولى فى دراسة ما يسمى بالتأثيرات الإسلامية الحديثة فى المجتمعات العربية وصاحب كتاب (صوت من الجنوب - عام ١٩٨٨) حول الإسلام فى الغرب العربى الذى تولى تقديم الترجمة العربية له الدكتور نصر حامد أبو زيد.

يشارك الكتابان رغم ذلك فى إرساء هدف أعم وهو دعوة مثبته على تحليل علمى جاد لإعادة التفكير فى تقييم الظاهرة الإسلامية فى العصر الحديث

■ قليلة تلك الكتب والدراسات التى تتحدى قوالب النمطية والمسلّمات فى مواضيع ومجالات علمية شتى فتحاول أن تضح وتناق وتحلل من منظور مغاير لتطرح فكرًا بديلاً أو تشير إلى طريق أكثر إنصافاً ورشداً، وكثيرة هى تلك الكتب التى تطبع فى سرعة البرق لتستل رواج اتجاهات معينة فى المجتمع أو صبرات فى النظرة إلى امر ما لتجد إلى التبسيط الخل وخلق الأوراق وتكرس النمطية وتعيش مع تيار التعميم والتسطيح.

وهناك علامة فارقة أخرى فى معالجة القضايا بين مجموعات الكتب هذه، ألا وهى معيار «العلمية» فى دراسة الموضوع وأصله وتطوره ونداعجائه مع تحليل متمسك وعرضي لأدلة وبراهين، وذلك على عكس الكلام الإنشائى الانطباعى غير الدمى بقراءات ومراجع مهمة فى ذات الموضوع.

والكتابان الدان يناقشهما هنا قد يظهر من أول وهلة التباين الكبير بينهما

The New Mamluks: Egyptian Society and Modern Feudalism

(المالوك الجند: المجتمع المصرى والإقطاع الحديث)

Amira El-Azhary Sonbol
New York: Syracuse University Press, 2000

Face to Face With Political Islam

(الإسلام السياسى وجهاً لوجه)
Francois Burgat
London, New York: I. B. Tauris, 2003



ظاهرة، الصحوة الإسلامية، العريضة
في آخر القرن العشرين ما هي إلا إحياء نقاشي / حضاري
شامل، أو بمعنى آخر هي تعبير في هذه اللحظة
التاريخية الراهنة عن استعادة حق ضائع مسلوب
ألا وهو الثقافة الأصيلة للشعوب

الكائنات

العريضة بالقيادة (base) ويدون تجاهل للعلاقات المركبة والتحالقات التي قامت دالماً وأ تزال بين فصائل الخاصة والعامّة، الخلاصة أن كلا من الشريحتين لا تشكل طبقة ثابتة بطبيعتها ولكن فصائل متحركة داخل المجتمع تحكمها علاقات مصالح ومنافع وأ رغبة في البقاء، وتغيير العناصر المكونة لها على مدار الزمن والقوى، والعباء هو شكل وممارسة السلطة داخل المجتمع. ثم تتطرق الكتانية إلى داخل الخاصة وترصد فصائلها، من النخبة الحاكمة إلى الهيئة العسكرية (الجيش) إلى طبقة الاستثمارين وكبار التجار، خلفاتهم من رجال المؤسسة الدينية الرسمية وبعض المعلمين والمفتين، ونضى في تحديد هات مجتمعية أخرى لها جذور تاريخية مثل التجار - المتمردين (من نظام الالتزام الزواصي) - مماليك،... إلخ وهي هئات سوف تتعقب تطورها وتغير أشكالها الخارجية وحركاتها داخل الخاصة حتى الوقت الحاضر، وذلك بهدف - كما أشرنا سابقاً - تحقيق مصير الاستمرارية الزمنية والخصوصية في التحليل التاريخي وليس الإصرار على نظرية الضيقة التي يروجها مناصرو صدمة الحداثة الأوروبية، والتشوير الاستعماري، كما يحقق ذلك للمخارجين الآخرين في وقت واحد، بإدخالاً زمنية هائلة تربط التطورات والتداعيات بالجنود، وصدمة تقريه من المجتمع وتبعته من الفقر والمرض، وهكذا تتعقب د. أميرة الصراع الطويل بين الخاصة والعامّة وتظهر كيف أنه منذ دولة محمد على المركزية وسيطرتها على وسائل الإنتاج والتجارة والتصدير والربح كان الهدف دائماً الحفاظ على هذه الهيكلية والتأكد من سيطرة الخاصة على الشؤون التجارية والنشاط الاقتصادي داخل وخارج

لمصطلحين يمثلان شريحتين اجتماعيتين مترددة وتتابع تطوريهما من الفترة العثمانية - للمملوكية حتى والعامّة، لا تقصد بالخاصة في تاريخ المجتمع المصري بالذات طبقة أرستقراطية متوارثة محددة أو طبقة عليا ثابتة، ولكن أي مجموعة أو فئة تكون في يدها سلطة على البلاد ومتعارف على ذلك، وقد تغيرت هذه الفئة من وقت إلى آخر تتسع أو تنقلص وتغير مكوناتها حسب المتغيرات والظروف المجتمعية الأخرى، مثلاً قد يكون الجيش / العسكرية بسبب حصول أفراد على امتيازات اقتصادية واطمئنان واسعة جزءاً من شريحة الخاصة المهيمنة في وقت من الأوقات، وقد يحدث في وقت آخر صعود طبقة أخرى تجارية فتكون دالتنا جزءاً من الخاصة، وفي رأى الباحثة أن تاريخ مصر في هذه القرون الأخيرة ظل يشهد تناقلاً أو تبدلاً للمواقع داخل الخاصة بين مجموعتي «المماليك»، والتجار، فعمداً كان هناك تدخل أجنبي خارجي للسيطرة المباشرة على أمور البلاد منذ فترة الاحتلال البريطاني أو لدى فترات الاعتماد الضيق على العونات الأجنبية مثل فترة حكم السادات والفترة الراهنة سادت هيمنة الخاصة غير العسكرية، أي طبقة رجال الأعمال والمستثمرين والمستفيدين من رجال العامّة، أما في فترات وجود قدر من الاستقلالية في البلاد مثل في حالة المماليك وحكم محمد علي وجمال عبد الناصر فإن الخاصة أصبحت هي القوة الرئيسية داخل الخاصة.

أما شريحة «العامّة» فليس لها هنا المعنى الضيق المحصور للطبقة الشعبية التي تقدم على أنها طبقة غير متعلمة أو غير واعية وغير منظمة. ولذلك قد يفيد أكثر الإشارة إلى تلك الشريحة

طبقات وفئات المجتمع التي تخلّقت منذ قدوم الحداثة مصاحبة للاستعمار وتدخلاته في مسيرة هذا المجتمع وفي إعادة تشكيل شخصيته وشرائحه. نحن إننا أمام عمل ليس تاريخياً تقليدياً ولكن هو في المقام الأول عمل تنقيحي نقدي يراجع عمليات التاريخ للعالم العربي الإسلامي ويرد على نظريات التاريخ الاستشراقية - كما قلنا - إلى ما إذا كانت حاولت تفسير الظاهرة الإسلامية الحديثة فستخزلها في كونها برمتها رد فعل محاضري رجعياً للتخريب أو لصدمة التحديث والعصرنة وليس استمراراً منطقياً وطبيعياً لعمليات تحول سياسية واقتصادية واجتماعية تقضي إلى تداعيات متوقعة وطبيعية أيضاً. تكون هذه التحولات بالتفصيل محوي الفصول السبعة في هذا الكتاب حيث يبدأ في حركة الاقتراب الشديد - التي أشرنا إليها - من مجتمع مصر منذ القرن الثامن عشر بهدف تشرير كل تفاصيله وتفصيلاته وبقائه وفنائه وتفاصيله والعلاقات المركبة بينها في عرض مدعم بقرائن ومراجع عدة قد يبق على غير المتخصصين أحياناً ولكنه في نفس الوقت يزيد من الجاذبية إلى متابعيه سير غور المجتمع المصري في أواخر العصر العثماني وسيطرة المماليك الفعلية عليه ووصول الحملة الفرنسية ثم دولة محمد علي ثم الاستعمار البريطاني حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ومراجع عدة في الحكومات المتعاقبة لجمال عبد الناصر وأدور السادات وحتى الحكومة الحالية.

مماليك القرن العشرين

لكن قبل هذا الاقتراب التحصيلي تحدد الكتابة أدواتها التحليلية ومصطلحاتها، مثلاً في استخدامها

والمعاصرة، فهي من خلال هذا المسح تلحظ في المقابل فكرة تاريخنا وثقافتنا الأصيلة كسلسلة متصلة ومستمرة ومتطورة من مختلف الروافد والمناصر وقد تعرضت هذه الاستمرارية الضاربة بجذورها في أعماق القرون للانقطاع بتكون الدولة القومية المركزية الحديثة (nation-state) وتأثير الاستعمار، وما ظاهرة الصحوة الإسلامية، العريضة في آخر القرن العشرين إلا إحياء نقاشي / حضاري شامل، أو بمعنى آخر كأنها تعبير في هذه اللحظة التاريخية الراهنة عن استعادة حق ضائع مسلوب، ألا وهو الثقافة الأصيلة للشعوب. وهي هنا لا تتواصل من المواقف أو لستقني عن الأنماط التاريخية العامة في مجتمعات أخرى تعرضت لظروف مشابهة وكان من الطبيعي أن تنمى إلى ما أسميته بالانماذج النقاشي الحضاري، للثقافة الاجتماعية التي تعرضت للاستبعاد لنزع حق ومشروعية التواجد على الساحة، وتضرب الراحنة مثلاً سريعاً ولكنه دال كيف أن ربط فكرة «لاهور» التحري، في أمريكا اللاتينية وأفريقيا بمرركات جماعية من القاعدة الإسلامية وكذلك الثقافة معها واحترامها لم يغفل عن استبعاد مآثل لفهم طوايف الإحياء والصحوة والتحرر في العالم الإسلامي.

وهي ترى أن ما يسمى بالصحة الإسلامية المعاصرة ليس معناها كما يزعم أمثال الكتانية الأمريكية جيليس كيل عودة إلى الله، أي صوة مفاجئة إلى الدين، فالدين كان دائماً موجوداً ومتصلاً في نسيج مجتمعاتنا ولكن هي عودة إلى ما أسمته ثقافة القاعدة (the base) الجماعية والمحلية وهذه الظاهرة الاجتماعية والثقافية أخذة في تقليل الفجوة الهائلة بين

مصر لتحقيق الثروة التي تضمن بدورها استمرار الهيمنة على زمام الأمور وعلى السلطة.

وحتى نفهم مغزى عنوان الكتاب فإن الكاتبة تزعم أن المفهوم العسكري الحديث والمعاصر للقوة والسيطرة ترجع جذوره إلى فكرة أمراء الممالك المحاربن وما يعرفه من تاريخهم، وأن النظام الاقتصادي الذي يهدف إلى احتكار الدولة أو أي سلطة فعلية للتجارة الخارجية وتحتكر ثروتها بالحرف بال (mercantilism) قد بدأ في مصر على يد المماليك ثم أصبح سياسة مباشرة واضحة في عهد محمد علي وأرسلها الإنجليز أثناء الاحتلال لتحقيق الاستغلال والكسب واستمر في شكل الاشتراكية القومية واحتكار الدولة والجيش في عهد عبد الناصر وحتى سياسة الانفتاح في عهد السادات وما حدث في مصر خلال الخمسين سنة الأخيرة من نوع من «الإقطاع الحديث» الذي اتخذه أشكالاً مختلفة (فليس من الضروري أن يكون الإقطاع مقتصر على الأراضي الزراعية فقد استبدل عبد الناصر إقطاعاً بالقطاع، وبمضنه ابيدولوجيات متغيرة ويبقى الهدف واحداً: الحفاظ على توازن العلاقة الخاصة بين الشريحة التي تملك كل الثروة والامتيازات والقوة والشريحة المضطرة لقبول المبررات حتى تحافظ على بقائها.

التحضر الثقافي،

أما اليوم، فحراماتها للتحولات الحاصلة في أن البعد الثقافي - وليس فقط الاقتصادي - بدأ يلعب دوره، وأن قاعدة العامة بدأت تتحرك لتضع نهاية لهذا التقسيم التاريخي الذي طال عضواً وبدأ جمهوره في تكوين خطاب خاص به مرتبط بحدوده يتحدى خطاب الهيمنة والتمهيش التي كونتها على مر العقود. نخب الدولة المركزية الحديثة وفرنصتها عليهم، والباحثة الصينية أنها عملية تنحصر والتي تستخلص من الأزواج الثقافى (المقدمة)، لأن الأبيدولوجيات والخطابات الثقافية لكل النخب الحاصلة التي تعالبت على حكم المجتمع المصري والسيطرة على مقادير الأمور فيه كانت دائماً أجنبية وأقادة، وهذا يسرى على

أمراء المماليك وأسرة محمد علي والبريطانيون والناصريين الاشتراكيين وورجوانية الانفتاح في العصر الساداتى، أما الآن فإن ثقافة الجماهير العامة هي الأداة في الصعود، وبما يتوهمه الآن بالإحيا، أو الصعود الإسلامية ما إلا جزء من عملية متنامية يحاول المجتمع المصري من خلالها أن يصبح أكثر تجانساً وتسايقاً مع نفسه لتقبل التجسوة الثقافية بين شرائحه ومثله، كمؤرخة تلى د. أميرة أن القوة الدافعة للتغيير في الوقت الحاضر أصبحت بإيدي العامة، لأن شخصيتها الثقافية

كتب تتحدث

السبائك



إن تاريخ مصر ظل يشهد تبادلًا للمواقع بين مجموعتي «الماليك، والتجارة، فعندما كان هناك تدخل أجنبي سادت هيمنة الخاصة غير العسكرية، أي طبقة رجال الأعمال والمستثمرين



المختلفة وعمل سياسي نشط ومتطور بمقاييس ذلك الزمان، وتسترجع هنا مقولة رددتها أكثر من مرة د. ديللى حنا (في كتابها المذكور بالهامش) أنه لا يجب أن نحكم على أوضاع الولايات العربية العثمانية بما كان يجري في الأناضول لأن الأحوال كانت تختلف تماماً ولم يكن لإسطنبول السيطرة الكاملة على سران أمور هذه المجتمعات الفعلية كما يتصور البعض، وحتى تدحض د. أميرة فكرة استشراف أخرى من مجتمع الكانتالون الأويك الذي يسير بالكراخ شعبة الخائف المسلم كالقطيع وتتحدى التمسير السائد لدور محمد علي - الصورة النمطية لبشاش العثماني القاسى الطاغية - وتستخدم وصف د. عفاف لطفى السيد له أنه يعد في حقيقة الأمر «آخر المماليك العظام، بمصر (ص)» لأنه يشكل استمرارية وأنتيجة لأوضاع معينة داخل المجتمع المصري كانت حاصلة منذ قرون قبله، أما صورة النمطية التي أضربنا إليها فهي تفنيد الفكرة الاستشرافية عن «استبدادية الشرق، لذلك هذه (oriental despotism)» فإن كل تلك التفسيرات والمراجعات تصب في تيار نقد الحداثة، الذي يحاول إعادة دراسة هذه المجتمعات التي تم وصفها بأنها «تقليدية، أي مرادفة للتخلف والركود والجمود وعدم القدرة على التجديد والتطور والديناميكية، ولا يتكون هذا التيار من باحثات وباحثين عرب ومصريين فقط ولكن أيضاً من بعض الفارسين الغربيين في الخارج الذين أدركوا أن الوقت قد حان لمراجعة نظرياتهم ومناهج بحثة التي تبنت خطاهما الكبير في تحليل المجتمعات والدول ماخياً وحاضراً، وهنا يجوز توجيه دعوة إلى بعض من كاتبينا المعاصرين لتزود من هذه الدراسات حثي بصحبها نظريتهم إلى تاريخنا وحاضرنا ويتخلصوا من مناهج ونظريات عفى عليها الزمن ولم يعد يستخدونها أحد الآن، فمطلوب منهم لأن تحري بعض الدقة العلمية في تقديم المعلومات إلى القراء وعند استخدامها بعض التغيرات التي أصبحت ظاهرة للظنون ولا معنى لها مثل «طليعية العصور الوسطى»، و«صور التخلف والركود أثناء الحكم العثماني»، إلخ.

حداثة القرن التاسع عشر،

وتتوالى الأكلة في هذا المجال عندما تشرع لن الكاتبة النظام القانوني السائد في الحكم التشريعي قبل وبعد الفترة العثمانية عندما لم ينع تطبيق مذهب الإمبراطورية الراشدية (الحنفية) في معاملات الدولة والديانة الرسمية من الصالح للولايات أن تمارس إجراءاتها القانونية الفعلية داخل المجتمع بناء على العرف والحلى واستخدام المذهب (الأخرى مما أتت مرونة بحرية في اختيار الناس للمذهب التي يمثلون أحكامها.

مصر، وذلك عن طريق قراءة تحليلية لمصادر تاريخية قديمة وغير تقليدية للاتقارب من واقع الحياة اليومية الاجتماعية للناس وأنشطتهم الفعلية بدلاً من الاسترشاد فقط بالتاريخ والحوليات الرسمية التي ترصد صعود وهبوط الطبقات الحاكمة ووقائع ونتائج الحروب... إلى آخره، المقصود هنا مراجعة وتلق وسجلات الحاكم الشرعية لرصد حركة المجتمع المحلي من زواج وطلاق وقضايا نفقة وحضانة ووفقيات وحج وعقد بيع وشراء ومعاملات مالية تجارية ونزاعات وأحكامها... إلخ. تنوء. أميرة إلى اتصال كل من المؤرخين والباحثين د. بيتر جرانود وعفاف لطفى السيد د. ديللى حنا التي تنفى عن القرن الثامن عشر - بل وحتى السابع عشر - صفة الفوضى هذه، وجدير بالذكر هنا أن هؤلاء الباحثين يمثلون مدرسة تاريخية جديدة في دراسات الشرق الأوسط العربي والإسلامي تستخدم مصادر لم يلتفت إليها من قبل لاستطاقها والوصول إلى نتائج مختلفة عن حقيقة مجتمعات ما قبل الحملة الفرنسية والاستعمار البريطاني.

والنكتور الحدادى المرتبط بها، بل حتى قبل دولة محمد علي من إختصار عين هذه الإضافات وجود حياة طبيعية تماماً ومجتمع مدنى حيوى (وإن لم يقل أحد أنه كان مثالياً) يتميز بتحالفات وقعاون بين فئاته

العصوية هي الآن المعيار الرئيسي للمجتمع بأسره وسبب التأثير الكبير لغيرها ومثقفها ومتعلميها فيما يكتبون ويتحدثون من فكر، أما الاشتراكية والليبرالية فقد تم ارتباطهما بالغالط والخطأ الحاكمة. إن تحرك العامة لاسترداد حق ومشروعية التواجد والتأثير في المجتمع والمشاركة في الحياة الثقافية هو إذن تحرك له أسبابه التاريخية والاقتصادية والسياسية المتشابكة، إلا أن الكاتبة لا تزال تؤكد على أهمية الجانب الاجتماعي والثقافي وعلى عملية الانفتاح، الاندماج الثقافي، التي في طريقها للحصاة على عقود من الأرواجية والتناقض.

العثمانية والحداثة،

من الصعب إعطاء هذا الكتاب حقه الكامل أو تلخيص محتواه في مقال، لكن بإمكاننا أن نضمن هنا مثالا أو اثنين يدلان على القيمة النظرية والخاصة العامة التي تحفل إليها الباحثة. بداية الرحلة أو تركيزها على مجتمع القرن الثامن عشر أي بعد قرون تقريبا من بداية الفترة العثمانية - تختص الفرضية الخاطئة أن المستور والفوضى في كل منحى الحياة كانتا هما سمة العصر في الولايات العثمانية وخاصة

مثلاً إلى جانب قاضى القضية المعين رسمياً من قبل استعبدول، تواجد عدد كبير من القضاة ولحاكم المستقلة التى تتبع المهن والقرى المحلية وتخدم حاجات سكانها بدون سيطرة قانونية مركزية، أى أن الحاكم كان لها ارتباطات عضوية بالمجتمع وأفرادها وليست الذراع الطويلة لسيطرة الدولة كما حدث بعد إصلاحات القرن 19 (ص ٦٧ - ٦٨).

للكثيرين من متعلقى نموذج التنوير الجاهلى فكك الكتابة أن القرن 19 (دولة محمد على ثم الاستعمار البريطاني) يمثل بداية لتشيزورفيا الثقافية أو الانشقاق بين ما هو تقليدي، وما هو حديث أو عصري، وهى تعتقد أن هذه الأزواجية تبنتها النخب القومية والثقافية ورواد النهضة فى مصر بعد ذلك التى تسبكت بهذا النموذج التنويرى العصري، والذى أصبح ليس فقط هدفاً ولكن أيديولوجية مؤطرة بشدة على التيارات السياسية من الاشتراكيين وماركسيين ورؤساء يمين الدين نظراً إلى شخصيات المصريين «التقليدية» على أنها تقيد اليد إلى اللواء» (ص ٦٠).

أصبح التخریب ضرورة للحراك الاجتماعي وبالتالى معرفة لغة أجنبية حتى أن آلاف الأجانب البريطانيين الذين عاشوا في مصر لم يتعلموا أو حتى فكروا فى تعلم العربية لأن المصرى هو الذى كان عليه أن يتعلم لغة غربية أجنبية حتى يرقى ويصير «عصرياً» وجزءاً من العالم المتحضر وهكذا لعبت اللغة والتعلم دوراً في توليد هذه الفجوة الثقافية وزرع الشعور بالاستسلام والانفصال عن الثقافة المحلية التقليدية، وهى أسس قامت عليها الدولة القومية المركزية الحديثة فى تبنيها نشطة الخاصة، أى أن الحدث هنا هذا الشكل التخریبى ومن هنا المنطق أصبحت أداة هيسية فى يد الدولة والخاصة معا.

وقد تمكن هذا مثلاً على الإصلاحات القانونية التى ترمس أوضاع النساء وقوانين الأحوال الشخصية التى عقدت قوانين وإجراءات الخصومة والنسبة والحضانة بسبب إدخال القانون الفرنسى النابليوني الجنى على فئمة أبوية غالبة فى السيطرة والتمييز والبطول بالحرف الواحد فى أحد نصوصه: «الحقوق المعلقة إلى الأب كترينس العاللة تطاقى على حقوق الزوجة وأطفال» (ص ٧٤)، أى أن فئمة تأسيس وتفتين لسلطة الأبوية المطلقة فوق نساء وأطفال المنزل حتى بعد سن الرشد والبلوغ كان إجراء جديداً من الناحية القانونية فى مصر فى بداية القرن العشرين. ومن الأمثلة الغريبة أيضاً فى هذا المجال أن إجراء بيت العامة، المعروف ثم التبعية فقط مع الإصلاحات القانونية الحديثة وأمين قبالها، حتى فيما يسمى بالقضاء العام فقد عكس أيضاً الأزواجية والانشقاق عندما تلاحق الكتاتبة أكثر من الأولى والثانية، والثالثة، ظهرت فى المواصلات العامة والمستشفيات والمرافق العامة لأول مرة فى

كتيب تححدى



ما حدث فى مصر خلال الخمسين سنة

الأخيرة نوع من الإقطاع الحديث، الذى اتخذ

أشكالا مختلفة، والهدف واحد، الحفاظ على توازن

العلاقة الدقيقة بين الشريحة التى تملك

والشريحة المضطرة للحفاظ على بقائها



أبو زيد للترجمة العربية لكتاب (صوت من الجنوب) قد أثارت جدلاً وقتها عندما اعترضوا، أبو زيد على ما بدا له تعاطفاً غير مبلون من الكتاب الفرنسى، أما حدث كتاب لبورجا بين أيدينا فهو أيضاً كتاب قد يعترض عليه بل يهينه الكثيرون ممن يفضلون التفرص على الظاهرة الإسلامية بالتمميم والأتهامات الجاهزة إلى حد صياغة المصطلحات للتحقير والطعن (مثلاً «التاسلم») وسوف يمتدرون الدرامة وتحليلات المصمم تحريراً للاستبداد الديني، والحنف الإسلامى، و«التطرف الأصولى» - وهى كلها تسميات لم يستحدثها بورجا على الإطلاق حتى لا ينجح إلى الاستكوال والتسطيح.

وعودة بنا إلى العناصر الأربعة التى يركز عليها عرضنا للكتاب، نلاحظ تميز هذا الكتاب بالثبات فى فكرة «الفرز والتصنيف» بين التيارات لتحديد الفروقات البسيطة الهامة والتداخلات والوان الطيف المقترعة داخل الظاهرة، وهى الآلية أو الطريقة التى استعملتها دزوم، بقرى الفئمة التحليلية من الماصميين، يحلل الكتاب حركات ما سماها فى العنوان «الإسلام السياسى» وهو بالطبع ليس أول أو آخر كتاب من الفئمة، بل هو أولها، وهى الآلية التى استعملها الفئمة، وهى التى تميزها عن طرقه وروايتها الخاصة التى أنتجتها حركات التيار الأخرى، إما هو جزء من الاستشراقية الجديدة (new-orientalism) وحملة التشويه

للإسلام لأغراض سياسية وإمبراطورية توسعية بالث غير خفية على أى واحد منا، أو جزء من خطاب مصرى وعربى محلى لا يزال واقعاً تحت تأثير خطاب الاستشراقية والمنظور الحدائى ولدا يسير فى طريق سياسة التخويف من أى مشروع فكرى يستلمه الدين الإسلامى (١) راجع مثلاً الدكتور جابر مصفور - وهو الكاتب الكبير والنقاد المخضرم الذى نك كل احترام لجوهره من كثير من كتاباته إلى اختزال الظاهرة الإسلامية الحريصة فى «ثقافة عنص» وعقلية لقلية التبعية، و«الإفراط فى تدوين كل شيء» و«الأبنية الأبائعية للثقافة التقليدية»... الخ (٢) (٣) التصيب، المركز الثقافى العربى (٢٠٠١)، أى الاعتماد على الأغلب على تحليل سيكولوجى «جوهري» (essentialist) وليس تحليل اجتماعى أو سياسى يعود إلى الجذور والأسباب ويهتسم بالسياق.

شمول المشهد الإسلامى،

أما كتاب بورجا فيعود إلى الجذور السياسية والثقافية للمسألة ويدعو القارئ أن يرى الصورة الكلية لهذه المجتمعات وتطورها وظروف انتقالها من مرحلة الاستعمار إلى الاستقلال وما بعد الاستقلال، يتفادى بورجا صامداً مصطلح الأصولية (fundamentalism) الشهير ويستخدم على مدى مناقشاته مصطلحاً آخر له دالة ومغزى وهو (Islamization) أى استعادة أو استرجاع «إسلامية» المجتمع. الظاهرة الإسلامية فى رأى بورجا لها بعد ثقافى هام يجب عدم إغفالها، على تعبير عن مقاومة الجنوب لهيمنة الشمال أو الغرب ونوع من الـ (exorcism) طرد وتطهير من الأرواح الشريرة التى جمعت على صدر هذه البلاد طويلاً فى فترات الاستعمار (ص ١٢)، وبعد طول تمهيش للمرسوم والرجعيات الثقافية المحلية أو الأصلية، أما عن رد فعل الكتاب الحالى لهذه الحركات فما هو إلا إعادة لثمن رد الفعل المعادى تجاه القوميين العرب فى العقود السابقة، التحقير والطنع ضد هذا التيار المخاوم فى وقته وسعيه إلى الاستقلال، وبخطرة ثابتة وقد أحيى موقف بورجا يشرح بوجى كيف أبتى الآن عندما تطول المواقف المعاصرة الإسلامى فى موجة أو مرحلة أخرى من المقاومة راجعاً إلى إعادة التوصل مع ميراثه الحضارى والثقافى قبل الاستعمار وفى تكوين منظومة قيمية خاصة به - لم ير الغرب فى كل ذلك إلا عدوانية موجية، له يتسارى فى هذا الموقف بل من اليمين واليسار، يرى اليمين العربى فى الصحوة الإسلامية تأكيداً «لتعصباته القديمة ضد الإسلام والعالم الثالث والعرب» (ص ١٨)، أما اليسار فإذا كان على استعداد أكثر من يتقبل الآخر إلا أنه يقف عند حد معين، فيتقبل

العرب ولكنه يفقد عقلانيته تماماً عند تعامله مع المسلمين ولا يستطيع أن يتخلص من مشكلته التاريخية الخاصة مع الأديان والمؤسسات الدينية ويتشدق تشدداً «أصولياً» هي «علمانيته» فلا يستطيع أن يتقبل أن هناك فئة أخرى من البشر لهم سيروية تاريخية منفصلة ولا يزالون محمطين بمرجعية دينية. ومن هنا يتطرق بورجا إلى فكرة الهوية الضائعة أو المملوكة ويرفض التحويل على النظرة الاقتصادية لتفسير الظاهرة الإسلامية (يدفع الفقر طبقات الشعب الدنيا إلى التشبث بالإسلام، فأكثر الإسلاميين هم الفقراء أو من الطبقات الشعبية)، ويرى أن الأمور أعقق وأبعد من هذا فنحن نتحدث عن سلسلة من السياسات القاشلة لهذه الدول على مدى عقود والتي أدت إلى فقدان الكفاءة الاجتماعية ومن ثم احترام الذات والهوية لقطاعات هائلة من الشعب، كما تم استبعادهم من الثروات والقوة والتأثير (وهذا يذكرنا بتحليل د. أميرة سنبل للخاصة والعامة). الضيق الأخرى مفسرة التي لا يزال يدور حول مسألة الهوية هو أن الكاتب يعتقد أن التيارات الإسلامية (Islamism) هي الشكل الجديد أو التطور الطبيعي لحركة القومية العربية العلمانية في منتصف القرن العشرين لأنها الأقرب إلى استعادة وتثبيت الهوية الثقافية الظاهرة بجذورها في التاريخ الحضاري لهذه الأمة. وهنا يفرد بورجا بأباً كاملاً (الباب الثاني) من الكتاب للاستشهاد بفترات مملوكة من كتابات يعتبرها شهادات لخصية وتشبهاً لبعض جوانب الفكر الإسلامي الحديث برواد الفكرين الذين أصبحوا جزءاً رئيسياً من هذه الحركة كخطاب وكتف من عدل حسين وطارق البشرى وراشد غنوشي.

إلى هنا قد يبرز انتقادان لطرز بورجا، أولهما أن الكاتب يستمر على عنصر الخصوصية الثقافية وخصوصية الهوية قد يترك بنا إلى «الاستثنائية» والاستشراقية التي كتبت تشدها بالتفصيل د. أميرة سنبل وحذرنا منها. وثانياً، أن الأفكار الرقالية المحددة الصغوية في خطابات هؤلاء المفكرين الإسلاميين تشكل فقط النخبة الإسلامية المستبشرة وهي محدودة التأثير على الغالبية التي لا تشهد إلى السلوكيات العنيفة الشديدة التي تحكم الجماهير غير المتعلمة غير الواعية على أرض الواقع. والرد على سنبلين الاستمراريين هو أننا أننا نتحدث بالتبديد عن التحول من المرجعية الفرعية إلى إنتاج المعارف والتحليل التاريخي وصياغة الهويات والخطابات لتأكيد الاستثنائية عن هذا النموذج الذي يطرح نفسه دائماً على أنه الأوجد والأولى بالافتقار. أما الخطاب الاستشراقي فقد اعتمد على نقاط أساسية وجوهري بين الغرب والشرق وفكر قائم على عنصرية عميقة تجاه كل من هو ليس «بعض» وتصعب وتحجير

كتب نتحدث



يحدث كتاب الممالك الجدد، فكرة استشرافية عن مجتمع الدكتاتور الذي يسير بالكراخ شعبه الخانع كالقطيع ويتحدى التفسير السائد لدور محمد علي - الصورة النمطية للبasha العثماني الطاغية

سفر العمالة المصرية إلى بلاد النفط الصراوية وتأثيرها بأساليبها في الحياة وثقافتها، ويقول إن هذين العاملين لا يكفيا كأسباب رئيسية لهذا الإحياء الإسلامي الشامل والمستمر الذي تشهده البلاد العربية المختلفة.

جماعات التيار الإسلامي

تحسنت الميهر

على عكس الكتابات العربية التي لا ترى في عموم الحركات الإسلامية إلا كل ما هو قائم وأسود وضرير، يتحاشى هذا الكتاب عرض الظاهرة ككتلة واحدة مصممة ويصر على عرض مختلف الاتجاهات والمجموعات أو حتى التنظيمات المسلحة ويشرح الفروقات بينها مؤكداً أن هفئة الجماعات العنيفة هذه لا تمثل بالضرورة التيار الإسلامي الاجتماعي والثقافي والفكري الواسع، كما تقع على حواف هذا التيار، وهو حتى يحاول أن يشرح التمايزات بين الإخوان والجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد، إلخ ويتساءل، لماذا التركيز دائماً على أكثر الجوانب ثورية وديكتاتورية في مقابل التمتع على البعد الاجتماعي والأنشطة الخيرية والمدنية والتأثير الثقافي الأيجابي، ويضرب مثلاً في سيرة ابن العرب لا يمانع أن تلتحق شخصية أجنبية مثل الراية الفرنسية إيمانويل مبالغ طائلة على شبكة أعمال خيرية كبيرة وسعادات إنسانية في مصر ولكن ستقوم قائمته أو أجرت نشاطاً اجتماعياً وتربوياً مماثلاً مندرسة ذات غطاء على رأسها أو طبيب ذو حيد، وسيتكون التفسير الخمد لهذا النشاط أو اختراق خطر من الأصوليين.

وما يحجب تحليل الكاتب هنا في اقتراحه الشديد من المسألة هو توجيه نظر القارئ إلى السياق المباشر المحيط بهذه الظاهرة - ليس فقط في شكل التطور التاريخي وكون الغرب - ولكن في شكل تصرفات الدولة وسياساتها إزاء هذه الحركات فهو يكرر في أكثر من موضع أن هذه الأنظمة لها بعد في كثير من الأحيان مسار هذه المجموعات وطرق التعبير عن نفسها بل يكون مسئولاً عن دفعها إلى العنف أحياناً واستراتيجيات السرية. يجب أن ندرك أن خصاص الحركات الإسلامية في ولية سيالها المحدد بظروف الزمان والمكان وهي بالتالي رد فعل لهذا، وخاصة رد فعل لعنف الدولة. ويصطنع بورجا مثل بسيطاً عندما ينسى التاملون والمحللون لخطاب سيد قطب الذي اتهم في آخر مرارته بالتحريف والمراة ما هو إلا رد فعل لظروف خاصة جداً مثل سجنه ومعاصرتهم للتعذيب وتصفية زملائه، أي أن العنف الذي اتفرد به رد فعل وليس لعنف النظام، يتناسى ويتجاهل أي تحليل لفكر سيد قطب والإخوان بصفة عامة هذه الحقيقة. وهذه نقطة مثيرة

سياسي ليقوم إلى الأعماق شارحاً المسألة التي يرى من خلالها الإسلاميون موقفهم في العالم حالياً وفي أوطانهم داعياً القارئ أن يضع نفسه افتراضاً في مكانهم. وهذا يذكر مشكله الحداد التي تم فرضها في هذه البلاد «ليس من داخل المنظومة الأصلية للإسلام ولكن بدونه» تماماً إن لم يكن ضدها» (ص ٤٥). ثم يطرح رأياً يذكرنا بإحدى أطروحات د. أميرة سنبل عندما تقرا أن الثورة المصرية استبدلت لقطاعاً بالقطاع وإن تاريخ مصر الحديثة ظل يفرض طبقة متنفذة من المماليك، جيلاً بعد جيل، فهو يقول: «من المفارقات التاريخية أنه بعد تحقيق الاستقلال السياسي مباشرة في البلاد العربية، حققت ثقافة المستعمر نجاحاً من نوع آخر عندما استخدمت حكومات هذه الدول المستقلة في سياساتها التمدد وفي التطوير نفس الدالات ومعاني ومزوم ومفاهيم الغربة» (ص ٤٧). وهكذا فإن عمليات التحديث من فترة ما بعد الاستعمار سمحت من القطيعة مع الهوية الثقافية الأصلية التي تراث عندنا المصد الذي سعى إليه الاستعمار مقدوً طويلاً من قبل. أصبح التحديث مرادفاً لمعاملات نزاع التخلص من التسمية الإسلامية لهذه البلاد، ويتقدم بورجا فعلاً مصطلح (De-Islamization) (ص ٤٧). فهو يرفض سراحة التفسيرات الخاصة بتشجيع الصادات التي تيارات الإسلامية أو مساج

الغرب والأجنبي. لابد أن تكون هناك مساحة وسط تسمح باستغلالية الثقافات واحترام الدات واختلاف المرجعيات دون الحد من شأن هذا الآخر المختلف أو إقصائه من الصورة العامة للإنسانية. أما النقد الثاني، فيجب الاستمرار في قراءة الكتاب الذي يحاول فيه الكاتب صراحة بعدة صفحة توسيع مجال الرؤية أو النظر إلى هذه الظاهرة بدلاً من تضييقها ويصر على أنها مسألة إعادة بناء للهوية ولذا فهي ليست أيديولوجية تخبوية قوقية، بل على العكس هي حركة أثبتت قدرتها العالقة على أي تيار آخر في تعبئة الجماهير وكسب تأييدهم وتشجيعهم. ثم لماذا الانقراض الاستعلائي أن هذه الجماهير العامة هي بالضرورة مجموعات عولانية جاملة يسهل دغاها بقيادها؟

المشهد في تحليل بورجا أسباب وتناقص وشيوع التيار الإسلامي - اجتماعياً وثقافياً - أنه لم يعقد العزم أنما أن يدرك هذا التباين وكيف لا التعمول التي أصبحت نحفظها عن ظهر قلب دون وعي أو شخص، مثل التأسلم - التصطب الجوني - الإزهاج الإسلامي - التصطب - جماعات التكفير - إلخ. ولندكر مرة أخرى أنه لا يستخدم هذه المصطلحات (إطلاقاً، والمررة الواحدة التي استخدم فيها «الأصولية» كانت بالإشارة إلى اليسار الغربي، العلماني في تشده، ولذا أن يتوخذ الأمانة العلمية كإباء وسحل

خاصة إذ قلنا ذلك الرأي بكتاب د. رفعت السعيد (الإرهاب المتأسلم - الجزء الأول - دار أخبار اليوم ٢٠٠٤) الذي يتجه خلال هذا النهج وينبغي بشدة تعرض سيد قطب لأي عصف من أي شكل حتى يتقنى دور أي ظروف وملايسات في الموضوع. يذهب بورجا إلى أبعد من هذا عندما يقول أن عصف بعض الإسلاميين وردود أفعالهم في أي مكان ووقت هو «نتاج السياق النبوي الخاص وليس راجعا لأي مبدأ إسلامي عالمي» (ص ٢٦). أي يجب البحث في الواقع السياسي والاجتماعي وليس في الإسلام كنهانة وعقيدة في محاولة لاستخراج دوافع العنف من تعاليم وتوصوصه.

وحتى يبرهن على مقلاته هذه يبدأ الكاتب في تقريب عسلته التحليلية من كل بلد على حدة - مثل الجزائر والأردن واليمن وفلسطين ومصر - في إصراره أن حالة الاتهام الإسلامي في كل بلد تشل «درة اعتبار منظومة ورموز الثقافات المحلية التي ما زالت تحاول تحايز محنة الاستعمار لتستعيد مسبتها العالمية السابقة» (ص ٧١). ولا يتسع المجال هنا بالتعميم لعرض الحالة السياسية الراهنة في كل بلد، إلا أن من أجرا الفصول الفصل الخامس الذي يذكرنا فيه الكاتب بمبادرة الدولة بالعنف تجاه الإسلاميين في الماضي (مثل شق التورق للدماء من الطروبيش ولجوء حكومة شاه إيران إلى تزيين الشوارع على النساء) بغرض استفزازهم الدائم والضغط عليهم ومن ثم دفعهم إلى حالة الارتباك والاضطراب والاضطراب والعنف لاستخدام ذلك كذريعة دائمة لتخويف الشعوب منهم. وهو يسجل لنا أمثلة من وقائع فعلية في الغرب والجزائر ومصر وسوريا والسعودية لينوه إلى حد ارتكاب الجرائم باسمهم في بعض الأحيان، أي أنه يزعم أن بعض هذه الجماعات لم اختارها وتطورتها من قبل أجهزة المخابرات المحلية. هذا إلى جانب المبالغة الشديدة في معالقيته وحكومات أجهزة أمن هذه الدول لهم أو إلى الحد أي نشاط تستمر حلقة الانتقام والعنف إلى ما لا نهاية.

ينكر ذلك بصراحة إجراءات فعمية مارسها هذه الحكومات (محصصا ذلك بأسما ووقائع وتواريخ) على المشبهين من تعذيب وتشكيل وهم منازل ورقي باكملها وتدمير أراض زراعية وترويع لأمنهم وجرائمهم. إلخ بل يذهب إلى أبعد من ذلك - خاصة في حالة الجزائر - عندما يقول أن بعض ضحايا العنف من الصحفيين والتفتيش والأدباء «القيام بهمة الترويع لفضاء أيديولوجي تقع الدولة» (ص ١٠٦)، حتى يتم تبرير صابر التفتيش أمام الرأي العام الفيلق وأمام شعوبهم. وهكذا يعض الكاتب في حق حقائق والملايسات متخلعة عن الموضوع للعقد في الجزائر ويخلص إلى أن عصف الدولة والأنمو هو الذي ودغى عصف الجماعات وأن خوف النظام والعسكرية من اختبايت خوف تظهر عدم رغبة شعوبهم لهم أكثر من خوفهم من بعض

كتب تحث على التسامح



الكاتب توفيق لنا من خلال عرض لهذه الحالات حركة المجتمع وتفتح نافذة على الواقع «عثماني»، بمصر الغيب في خطابات بعض الكتاب الذين يجعلون هذا التاريخ ومع ذلك لا يتحرجون من إطلاق التعميمات والعلل والحقائق



إشارات لتطور وتنامي كثير من الفصائل المعتدلة المستنيرة وإشارات تبشر بنهوضها وتحركها في الاتجاه الصحيح نحو «أسلمة الحداثة» - أي التمسك بالقيم الإرشادية والإيمانية للإسلام مع إعادة التصوير من مكونات هذه الحداثة لصياغة المفهوم الإسلامي الليبرالية السياسية والتنمية الاجتماعية، وإن هناك إمكانية لمرحلة يطلق عليها ما بعد الإسلام - (post-Islamism) ولكن ليس بمعنى انتقامها أو شلها - بالعكس - بمعنى النجاة في ظل التطور والنهوض إلى مرحلة ما بعد «رد الفعل» الخاص إلى مرحلة أكثر شقة بالنص وينا، وسوف يتأخر هذا عندما نصل للإسلاميين الفرصة للمشاركة السياسية، يواجهاو تحدي تحقيق اجتماعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية بنجاح. أما مصيبتها الأخيرة إلى الحرب أو الضلال في النظام العنصري الحالي فتستحو حول أن يراجع فكرة احتكاره لمسيرة تاريخ البشرية وأن يمس مكانه المجد والمحدود في هذه المسيرة الهائلة حتى يتخلص من غروره وسيطرته على تاريخ الأفكار والفلسفات والقيم، وبخبر اعتقاده أنه وحده النموذج الحضاري الأحرى بالاعتقاد به لأنه صانع الحداثة والملاية، وتحطيم وهم أن «الإسلام» الحاضر هو حقيقة الإنسان الغربي، على الشمال أن يتفهم حق الجنوب في

صياغة قيم نابعة من ميراثه التاريخي والثقافي وأن يعبر من الحداثة والتنمية والتطور من خلال أشكال وأنماط خاصة به دون حرمانه من المشاركة في العالمية والإنسانية. ما كان على الشمال أن يستحكر الوصول إلى هذه العالمية (universality) بهذا الشكل ويجب أن يعرف أنه غير مسموح له أن يفعل هذا نزع أخرى حتى يتسنى لكثرة جمعا ومتفق عليها» (ص ١٨٥).

الخلاصة

قد يرى البعض أن نهاية كتاب (وجها لوجه مع الإسلام السياسي) هذا تجنح إلى نزعة يوتوبوية، مثالية وغير واقعية وأن نزعة التوحيد هذه بين الشعوب والمجتمعات قد تناقض الطرح الأساسي للكتاب من قبول الاختلاف كما هو. ولكن ربما أراد الكاتب أن ينهي الدراسة بنبرة إيجابية متفائلة عن إمكانية إيجاد المشترك. أما (المالينك الجند) فقد يصور على رفضه غلاة الحداثيين الصوريين ويسيدون فهم مقصده أنه دعوة سطحية رجعية لمواضية الزمن الجميل، إلا أن الكتاب ليس دفاعا عن العثمانية بالتحديد أو تصجيدها لزمزم ولكن هو إعادة نظر في المعطيات التاريخية للوصول إلى الموضوعية بشأن كل مراحل تاريخنا - فنذكر ما لها وما عليها - دون الانصياع لما يفرضه الآخر في كونه ريف وتقييم هذا التاريخ الخاص بنا. كان من الأسهل لكل من الكاتبين والتشامخ مع تيارات سائدة لا تتوخى البقية البحثية في التفسير التاريخي أو السياسي أن يخلصا إلى التسليم والتحامل على ما قبل الحداثة، وعلى «الإسلام السياسي» ولكن كم المعلومات والأدلة واستخدام منطق بدلي لمقاربة هذه الموضوعات يجعل من الكتابين إضافة محسوسة في مجالهما. ■

الهوامش

- (١) خاصة كتابها الأخير الذي ترجمه د. رفعت السعيد (ثقافة الطبقة الوسطى في القاهرة العصرية، ٢٠٠٢) والذي صيرت «وجبات نظري» (ص ١٦٦ - ص ١٦٨) الدار اللبنانية للنشر، ٢٠٠٢. خالف فهمي في «عند بداية» ٢٠٠٤
- (٢) سبق ذلك أن نشرت مجلة «مرآة» الدكتورة هادي رفعت للكتاب والباحث التاريخي الأمريكي جون يونكيت لكتابته (Unholy War Terror in the Name of Islam, 2000) ونشرت دار الشروق للترجمة العربية لكاتبة الأسبق (وهي د. هادي رفعت) باسم «عند بداية» (٢٠٠٢) - نفس الدار
- (٣) لقد كذلك إلى استيعاب الصورة عن تيارات الإسلام السياسي
- (٤) انظر كذلك دراسة ماثلة عن مصر في كتاب (العلمانية والجند في الشرق الأوسط، الحركة الشاذلية العصرية، ٢٠٠٠) الصادر بالإنجليزية للكتابة نادية العلي.



الأرستقراطية الإسلامية

محمد عبد الرحمن يونس

مارست الفخية على الفقيرة سطوة واستلابا، ولم تنزع هذه الفخية ممارسة جميع الوسائل غير الأخلاقية وفسير النظيفة لزيادة أموالها وتثمينها، إذ مارست الغش في الكيل والميزان، وفي نوعية البضاعة، وبالتالي تراكمت الأموال في خزائنها، ولم تسهم هذه الأموال المراكمة في إقامة صلات إنسانية تليق مع الطبقات الفقيرة، بل عاملتها بمنطق الاستغلال والرياء. وقد أشار القرآن الكريم في غير موضع إلى بطل هذه الطبقة وممارستها، محذرا لها، ونهايا إياها عن الغش في الميزان وأكل الربا. تقول الآيات الكريمة: (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط)، (الأنعام ١٥٢)، (وويل للمطففين، الذين إذا أكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون) المطففين: ٣٠. وغيرها من الآيات الكثيرة التي تنهى عن الغش والتلاعب بالميزان، وتدعو إلى القسط في الوزن والكيل. (ينظر على سبيل المثال، الإسراء: ٣٥، الشعراء: ١٨٢، الرحمن: ٩، الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، وأجمع هذه الآيات الكريمة تدعو إلى عدم استغلال الناس في البيع والشراء). أما الآيات الكريمة التي تنهى المسلمين عن الريا فهي غير قليلة أيضا: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)، آل عمران: ١٣٠، و: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) ذلك لأنهم قالوا: إنما نبيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فانقلبك أصحاب النار فمن فيها خالدون. يحق الله الربا ويرى الصدقات والله لا

حين نموه السلطوي، وبالتالي يمكن القول: إن القبايل الطبقية في المجتمعات العربية ظهر ابتداء من القبيلة مروية بالإسلام، وتجنرت في المجتمعين الأموي والعباسي، حتى امتدت قويا إلى مجتمعاتنا المعاصرة، فالقبائل القوية كثيرة العدد فهي أقوى من القبائل الضعيفة قليلة العدد، بطبيعة الحال، وقد لعبت نزعة التملك عند القبائل القوية على الاستئثار بغيرها من القبائل الأخرى، فهجمت عليها، وملكمت أراضيتها ومواشيتها، وسبت نساها، وحولت رجالها إلى عبيد انضوا تحت لوائها، لكنهم ظلوا عبيدا على الرغم من هذا الانضواء. في مجتمع الجزيرة العربية، وتحديدًا في مكة، سيطرت قبيلة قريش القوية، كثيرة العدد على الخط التجاري الرئيس المواصل بين آسيا وأفريقيا ودول البحر الأبيض المتوسط، ومن خلال هذا الخط توسعت علاقات القرشيين التجارية، وتدفقت الأموال عليهم، وحولوا مدينتهم مكة إلى مركز كبير للأسواق والتبادلات التجارية، وزادوا سيطرة ونفوذ مالي. ومع سيطرة قبيلة قريش، وجميعها رؤوس الأموال التي تدخل عليها نتيجة علاقاتها التجارية النشطة برزت طبقتان في المجتمع المكي: غنية وفقيرة، وقد

غيرهم ثقافيا ومعرفيا وتجاريا دخلت متغيرات جديدة على بنيتهم الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتهم الإنتاجية، فقد زادت أموالهم وقطاعاتهم الزراعية، وتحول قسم منهم إلى قطاععيين، بمفهوم القاموس الاقتصادي الجديد، في الأرياف، وإلى ملاك وتجار في المدن الرئيسية، على أن هذا التواء لم يمسب جميع أفراد الطبقات الاجتماعية تميزت ظلت الغالبية العظمى من هذه الطبقات تعاني الجوع والفاقة والحرمان.

مع توسع الفتوحات الإسلامية زاد نشاط العرب التجاري، وزادت أرباحهم وذلك باستغلالهم الظروف الجديدة التي ساعدتهم على المبادلات السلمية، وبالتالي على تحقيق الأرباح، ومن ثم زيادة رأس المال، وتعدد طرق استثماره بأشكال شتى، وإذا كانت حياة القبائل العربية في الجاهلية تعتمد بشكل أساسي على الرعي فإن هذا لا ينفي وجود امتيازات لغيره ما أكثر من فرد آخر، فامتيازات سيد القبيلة أكثر من غيره من أفراد القبيلة، من حيث عدد المواشي، ومن

« منذ أن نشأ الإنسان على ظهر الأرض ظهرت عنده غريزة التملك، ودفعته هذه الغريزة للبحث الدالب عن مصادر الرزق، وعندما استولى على هذه المصادر، وسد حاجته من مأكول وملبس وماوى زادت هذه النزعة تحكما في عقليته وتصورتها للعلاقات المادية في مجتمعه، فأصبح يطمح إلى تحسين واقعه وظروف معيشته، وإذا كان هذا الطموح مشروعا في بعض توجهاته فإنه أصبح يبعد بعد لوعة خبيثة دفعته للتمكالك على جميع المال، وإبشاء القصور والحواري، وشراء العسافرات والاعتداء على غيره، ومحاوله الاستيلاء على ما يملكه، إما بالسطوة وإما بالحيلة. ولم يسلم العرب والمسلمون، عبر مسيرتهم التاريخية من لوعة التملك، بل عرفوا فيها، ولقامت معهم علاقاتهم الإنسانية على هذه النزعة.

وإذا كانت الجزيرة العربية مركزا مهما في العالم القديم لأنها احتلت مركزا متوسطا فيه، فإن حياة السكان المادية والفكرية تأثرت بشكل واضح بالتحضر التي جاورت هذه الجزيرة وترافقت معها، وأثرت فيها هي أن، عن طريق التبادل التجاري والمسلمي. وكان قدوم الإسلام دافعا رئيسا لهذه العرب لأن يحملوا رايات الفتح، مبشرين بالدين الجديد، حاملين رسالته صوب أصفاء بعيدة، إلى الهند والصين وفارس وأسبانيا وغيرها من البلدان. وانتقالهم هذا صوب الأمم الأخرى لم يقلل من أهمية يستقيم الجرافية باعتبارها مركزا وسطا بين الفارات، بل زادت هذه البنية أهمية إذ الصمت وزادت عنى لشراء، وأصبح هؤلاء العرب فاعلين أساسيين في حركة التجارة والزراعة، ومن خلال نشاطاتهم مع



حاشية الزين 2004



للتجار، ويزدادون كلما زاد عدد القوافل، وكما توسعت التجارة وفُرت منها وبلغت حداً جديداً، ويصبحون مهمين في العملية الاقتصادية والتجارية كاهمية السلع المستوردة أو المصدرة، من توابل ويخمر وصوف وحرير ومجوهرات وغيرها. فحياة هؤلاء المعبد واستمرارها ترتبط اقتصاديا بتوسع رقعة التجارة وإزدهارها من جهة، ويمسك طاعتهم المطلقة لأسياهم من جهة أخرى.

إن نزعة التملك تطورت بفعل سيادة منطلق التجارة لتتعدى كونها امتلاكاً للأموال والمقارنات، ولتصبح نزعة تدميرية جمشة هدفها امتلاك الرجال والنساء والأطفال، وتحويلهم إلى سلع مهمة في العملية الإنتاجية، ومع نمو عملية الاستيراد والتصدير وافتتاح الأسواق الجديدة سيشتري التجار مزيداً من العبيد والأماء والجنارى من أصنام بعيدة ويشتريهم في أسواق مكة وسائر أقاليم ليقوموا باحتضانهم وإقفاها وروحيا وجسديا، ويستأثرون ويلبسون ملبسها، ويسمى التحويل إلى اعتبار أن الأطفال الذين يولدون من أب حر وأمه مملوكة هم عبيد أيضاً. وهكذا تتناقل سلالات العبيد، ويتكاثرون، ولقى حصى التجارة والتبادل الملعن، ويصبحون جميعا هم وأولادهم، ملكا للسلالة. والقبائل وأصحاب القوافل التجارية، ومع ظهور الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية لم يتوقف العرب عن تدمير أموالهم، فقد نشطت التجارة وزدهرت، وغرق الناس في معنى البيع والشراء، وزادت أرباحهم التجارية وقطعت عائلاتهم الزايعات، ولهاهم القرآن الكريم من طاعتهم، إلا أن حرمة الحياة تحريم مطلقاً، وحسد السيل المبالغة لتدمير الأموال، ولهى عن الحرمة منها، ولم يحارب التجارة، بل أشاد بها، واعتبر أربابها فضلاً من الله. تقول الآيات الكريمة: «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون»، الجمعة، ١٠، وآخرون يضررون في الأرض يفتنون من فضل الله، المزمل، ٢٠، وبركك الذي يرضى لكم الفلك في البحر ليتبتوا من فلهه إنه كان بكم رحيماً، الإسراء، ٦٦، ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذكركم من رحمته ولتجري الفلك بأمره وتتوا من فلهه ولعلكم تشكرون، الروم، ٤٦ وغيرها من الآيات الكريمة.

وعندما انصرف نفر من هؤلاء العرب عن أمومهم الدينية، وتقاسعوا عن أداء واجباتهم الدينية والإسلامية، وأصبحت

المكي، لتفكر في أسباب التملك وشروطه، وهى مكرمة على أن تعايش أوضاعها الاقتصادية سيئة، وعلى أن تعمل تحت مظلة الطبقة المسيطرة، من تجار ومربين، وزعماء عشائر وقبائل، وبالتالي ستفكر هذه الطبقة إلى شروط السيادة، وسيكون تأثيرها في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية محدوداً جداً، لأن جل همومها تتمحور في البحث عن كفاف عيشها، وهذه الطبقة هي طبقة (المعبد) الذي كان معظمه الاجتماعي والاقتصادي متديداً ويزداد سوءاً... لقد وجدوا أنفسهم من خلال عملية كسب حياتهم متعارضين في مصالحهم مع التجار الكبار وأصحاب البنوك والمربين). (المرجع السابق، ص ٦١).



ومع زيادة نشاط الحركة التجارية في مكة ستزداد حاجة التجار إلى تسخير قوافل جديدة، وستحتاج هذه القوافل بدورها إلى من يحممها من هجمات اللصوص وقطاع الطرق والبدو. وستتولى أرقاء مكة حماية هذه القوافل، ومن هنا يصبح هؤلاء الأرقاء سلعاً مهمة بالنسبة

التي تخدم مصالحها بالدرجة الأولى، وبالتالي لعبت دوراً حاسماً في تشكيل فئات اجتماعية أخرى عن طريق نموها المالى والاقتصادى والسياسى، وأسهمت أيضاً في رسم معالم المجتمع المكى الجديد، وحركته الاجتماعية، والتأثير على بنائه كافة، يضاف إلى ذلك إشراف هذه الطبقة على الكعبة، وتنظيم عمليات الحجج إليها، مما زاد عليها أموالاً كثيرة. ومن خلال التجارة النشطة في مكة تشكّل (طبقتان اجتماعيتان، هما مصالح ومطامح اجتماعية واقتصادية وحقوقية متعارضة. فمن الطرف الأول برر الميطرون على التجارة والمظنون أن أكثر الأحيان كمرابين وأصحاب بنوك وكأرستقراطيين الكعبة المكيين ذوي الامتيازات. وقد كان القرقيون على طلبة هؤلاء، وبالتالي هي طبقة سكان مكة والمدن العربية الأخرى على المصوم، فيأيدونهم تركّز السلطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحقوقية والدينية. وقد ساعدتهم على ذلك كونهم القيمين على الكعبة وسننيتها). (د. طيب تيزي: علم الكلام والفلسفة العربية، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ص ٢٠).

وقابل هذه الطبقة طبقة أخرى، وهى تشكل شريحة واسعة من المجتمع

يحب كل كثر الأثيم، البقرة، ٢٧٥. ٢٧٦ وغيرها من الآيات الكريمة. (ينظر على سبيل المثال، البقرة، ٣٧٨، النساء، ١٦١، الروم، ٣٩).

ولقد أسهمت التجارة وضاخرة الربا في زيادة املاك الناس من أموال وصقارن زراعية ومتاجر ومواشى وأماء ونساء حرار. وساعد موقع الجزيرة العربية المتميز قرب هذه الجزيرة على التوغل بعيداً صوب آسيا وأفريقيا والاستفادة من شرواها المطبعية، وبالتالي زيادة صلاتهم التجارية التي أسهمت في شرائهم الفاحش (فأياهم تحيط بشبه الجزيرة العربية، فمن الجنوب مياه بحر العرب، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق الخليج العربي، وكان لهذا الموقع إلى جانب تلك الصعراء الحديثة أثر كبير في تعامل العرب مع المياه، وتكونهم البحر منذ الأمانة القديمة، حيث يبرعوا في الملاحة وفى بناء السفين رغم ندرة الأخشاب ببلادهم، كما تقولوا في الشؤنون التجارية وخصوصاً الحضارة، وكانت وجهتهم الأساسية تجاه المناطق ذات الثراء الطبيعي والتنوع الإنتاجى سواء فى آسيا أو أفريقيا. وقد كان لاتشمار الإسلام، وعظمة مكانة الإمبراطورية الإسلامية وهيبتها أثر عظيم في تدمير المكانة التجارية للحرب، ولا يقدر من المبالغة في شيء إلا قلنا إنه بحلول القرون الأولى من الهجرة أصبح العرب سادة المحيط الهندي والبحر الأحمر، بل لهم حولوا المحيط إلى بحيرة عربية). (د. طيب تيزي: حيازة عثمان، حيازة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة مجلة المرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٥١، يوليو/تموز، ١٩٩٠، ص ٤٢).

غير أن المجتمع في شبه الجزيرة العربية عرف التجارة قبل الإسلام وبرع فيها، ولكن وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلة أبناء عبد مناف التجارية صميا وشتاء إلى الشام واليمن والحبشة، ولإد فارس، تقول الآيات الكريمة: (إيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليجئوا رب هذا البيت، الذى أطعمهم من جوع وأسهم من خوف. قريش، الآيات، من ١ إلى ٣).

ولقد أسهمت التجارة في مجتمع قريش في نمو هذه المجتمع وإزدهار من جهة، وفى تشكيلها تشكيلاً طبقياً من جهة أخرى، إذ تحلقت السيطرة والسيادة فيه للنفذ للاملاك، وتحديداً الفئة التي تسيطر دفة التجارة، إذ قامت هذه الفئة. التى يمكن أن نقول منها، إنها فئة متعنتة اقتصاديا، يرفض قوانين السوق والتجارة

إن التباين الطبقي

في المجتمعات العربية ظهر ابتداء

من القبيلة مروراً بالإسلام، وتجدت في المجتمعين

الأموى والعباسى، حتى امتد قويا

إلى مجتمعاتنا المعاصرة





من أبي طالب. فقد مات أبو بكر وما ترك دينها ولا دينارا، كما يذكر ابن حجر في كتابه، الإصانة في تمييز الصحابة. أما عمر بن الخطاب فقد حج فأثاق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة سنة عشر دينارا، وقال لولده عبد الله: لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا. (مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣٨١/٢). أما الإمام علي بن أبي طالب (٤٠٠-٣٥٠ هـ/ ٦٥٩-٦٦١ م)، فلم يترك صفراء ولا بيضاء، إلا سبعمائة درهم بقيت من عقائه، أراد أن يشتري بها خادما لأهله، وقال بعضهم، ترك لأهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه. (المصدر السابق، ٢/ ١٣٢).

إن السياسة التي اتبناها الخليفة عثمان بن عفان وحاطبهها الأرستقراطية عمقت التباين الطبقي في المجتمع الإسلامي، وقد عملت هذه السياسة على تشكيل طبقة أرستقراطية أسهمت في استثمار بيت أموال المسلمين وتشهيرها بحسابها الخاص، وفقرت هذه السياسة الأثرياء والتجار، وأبعدت الفقراء، واستصغفتهم، وتحت ظل هذه السياسة وتوجهاتها انت الخيرات الكثيرة من الأصناف البديعة، وصبت في أرصدة هؤلاء الأثرياء. (مروج الذهب ومعادن الجوهر، المصدر السابق، ٣٨١/٢). وقد عرفت الخليفة عثمان بن عفان، أن بيت الله، وعبد الرحمن من عهده، وسيرى إلى أي مدى وصل إليه فجور الأثرياء وتعكس في عهد الخليفة عثمان ابن عفان، ومن هؤلاء الأثرياء الوليد بن عقبة وغيره).

ومن جراء هذه السياسة أصابت العاقبة والحرمان معظم أبناء الأمة، ولم يسلم منها رجال عرفوا بجهلهم الحضاري والإنساني في نصرة الرسول (ص) والدين الحنيف، ومنهم أبو زر العسافري الذي استنصر الخليفة للحق بالآلة، فيما إذ استمر حرا بطلانة الخليفة وأصوله، ومقرهم، فما كان منه إلا أن رفع صوته عاليا داعيا إلى تطبيق السنة النبوية، محرضا ضد جميع مظاهر الترف والبطر والفساد المستشري، فتدمرت هذه الطبقة من أبي ذر، وخلفت من ردود أفعال البسطاء والفقراء ضدها، فما كان من مروان بن الحكم إلا أن رفع أصرايبر إلى أمير المؤمنين عثمان، بعث إليه أن يجيء، فلما دخل عليه بادر بقوله، من هذا الذي بلغني منك يا أبا ذر، قال وما يهلكني يا أمير المؤمنين؟ قال عثمان: إنك تحرض الناس على، فقال أبو ذر: وكيف ذلك؟ قال عثمان: إنك لا تفرا في المسجد إلا -والذين يكثرزون السحب -

دينار، وخلف خيلا كثيرا وإيلا. (أبو الحسين علي السمعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للحطباعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م، ٣٩٤/٢).



وقد شاركه الصحابة في الشراء وامتلاك الصياع والمتاع، وزادوا عليه في العبد والإماء، يقول السمعودي أيضا: توفي أيام عثمان أثنى جماعة من الصحابة الصياع والدور، منهم الزبير بن العوام، بنى داره بالبحرقر (...). تركها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاد من البحريين وغيرهم، وأبطن أيضا دورا بمصر والكوفة والإسكندرية (...). وبلغ إلى الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وألف صيد وأما، (المصدر السابق، ص ٣٥).

وإذ أثرى كبار القوم، وامتلكوا في عهد عثمان، وعاشوا عيشة الملوك في ممالكهم ومشرهم، وبنذوا وأسرفوا، واقتنوا الصياع والجوارى والعبيد، وتركوا بقية عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان له عند خزائنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف

وتدفقت الأموال الكثيرة على المسلمين، وزادت أملاكهم، نتيجة لدور رأس المال النشطة، وضموم الشروات من البلاد الجديدة الفنية التي دخلها المسلمون غاضمين فاتحين، أو فارضين الجزية، وعرفت الطبقة الأرستقراطية في فريش في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٣٥-٣٣ هـ/ ٦٤٤-٦٤٥ م)، الشراء الفاضل، فأكثر من امتلاك كل شيء، الصياع والبساتين والنازل والعبيد والجوارى، وإذا كانت حمى التملك قد هدأت قليلا في عهد الخليفة محمد (ص)، وفي عهد الخلفيتين: أبو بكر الصديق (١١-١٣ هـ/ ٦٣٢-٦٣٤ م)، وعمر بن الخطاب (١٣-١٤ هـ/ ٦٣٤-٦٤٤ م)، سبب تشييد الإسلام له، والحد من نزعتها المتأججة، فإنها سرعان ما هارت من جديد في عهد الخليفة عثمان بن عفان، حتى أنما نجد أن الخليفة نفسه قد أصابته هذه الحمى، فقد كان من كبار ملاك الأموال والمقارن كما يؤكده السمعودي حين يقول، وبني داره (أي عثمان) في المدينة وشيدها بالبحر والكلس، وجعل إربابها من الساج والهرعر واقتنى أموالا وجناتا وعيونًا بالمدينة، وذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان له عند خزائنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف

الدنيا وأموالها شغلهم الشاغل، وصمرت صماحهم الإنسانية النبيلة، وبدأت تدمل شعلة الإيمان في صدورهم، عاد القرآن الكريم وحذرهم من لهو الدنيا وتجارها، والتمادي في تكديس الأموال وكثرها، وأكد لهم أن الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والأبتعاد عن الفنى والفساد هو التجارة الربحية، تقول آيات الكريمة: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك فلما قل ما عند الله خير من الجمعة، ١١، وأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، البقرة، ١٦، وبيا أيها الذين آمنوا هل ألتكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، ١١، وبوالذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم عذاب أليم، التوبة، ٣٤.

وإذا كانت التجارة في بنيتها المعقدة تشكل حاجة شديدة للضرورة لتواصل الناس والمجتمعات البشرية فيما بينها، وبسبب ركبسة أسباب الانتماش الاقتصادي، ونسبها مهم في حياة الناس، فإنها أسهمت من خلال غنى التجار واحتكارهم وتلاصقهم بالأوزان إلى تكريس التباين الطبقي، وزيادة إغفار الفقراء، وزيادة الملكية الفاحضة لدى الأثرياء والتجار والأمرء وأصحاب السلطة عن طريق الربح، ودور رأس المال المستمرة.

يقول ابن خلدون، إن معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من ثمن الشراء، أما بالتفكر حواله الأسواق أو نقلها إلى بلد هي فيه أنقى وأغنى، أو بيعها بالفلاذ على الأجال، وهنا الربح بالتسمية إلى أصل المال يسمي إلا أن المال إذ قل كثيرا سبب الربح، لأن الضليل في الكثير كثير، ثم لا بد في محاولة هذه التنمية الذي هو الربح من حصول هذا المال بأبدي الباعة بشراء البضائع وبيعها وتقاضي أثمانها، وأهل النصصة قليل، فلا بد من الضحى والتطفيف الجحف بالبضائع، ومن الخطل في الأتمان الجحف بالربح، كتعميل المحاولة في تلك الدنيا ضاروا، ومن الجحود والإنكار المسحت لراس المال إن لم يتقيد بالكتابة والشهادة (١). (مقدمة الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمات ابن خلدون، تحقيق د. عبد الواحد دادي، نقضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، دون تاريخ، ١٩٨٢/٢).

ومع انتشار الإسلام وتوسع رقعة الدولة الإسلامية ازدهرت التجارة،



العدد المئبدون - نوفمبر ٢٠٠٤ م



الأخير يبلغ الزبي هانضاف إلى نهر الكراهية الجبار المنقطع نحو دمشق، على حد تعبير روم لاندو. (الإسلام والعرب، تحرير: منير البعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٧، ص ٧٦-٧٧)

وقد أضفى العباسيون على دولتهم الطابع الديني الذي يضمن لهم الاستقرار، وجمع المستضعفين واليوءاء حولهم، وتآجيج صيغورهم ضد الأمويين، ويهمل لقيام العباسيين ودعوتهم كثير

من الناس والحماصات المعارضة للنظام الأموي في كثير من ولايات الدولة الإسلامية ويتفنسون رياح التغيير والثورة بعمق، إذ يعتقدون أن كابوس الاستغلال والترايب الطبقى الذي عاشوا منه سابقاً سرعان ما سيتلاشى، وذلك بإعادة رجال السلطة السلميين إلى المحار الصحيح الذي رسمه لهم، وقيام رايته محمد بن عبد الله (ص) ونزعههم مما علق بهم من عادات الشرف والبطر والاستغلال والبطش والاستبداد، لكن هؤلاء الجماعات الطامحة إلى التغيير وبناء دولة الفلاحين ما يصاحبها بالخيرة والأجساد، فقد سلك العباسيون الطريق نفسهما التي سلكها دعومهم (الأمويون)، بل زادوا عليها وضيقاً وتسلطاً، واستعباداً، وشراراً، واستغلالاً لغيرهم، ووقد زعم العباسيون أنهم قضوا على دولة عصبية لا تعمل بالإسلام ليقبضوا مكانها خلافة صهيبة. والواقع أن العباسيين تظاهروا بالدين ثم استخدموه في سبيل الحصول على فوائد (التي تجمع أرقام المتفرقين على هدف واحد) لا حياً لخصائصه الروحية. ثم إن ملههم لم يكن يدل على أنهم أكفأ القوا انضماماً في أحوال الدنيا من أهل الدولة التي قضوا عليها. وكان العباسيين أيد من يكون الجهد عن جيل دولتهم إسلامية، ولكنهم استخدموا الدين حتى يخلعوا على دولتهم لقب شبيها من الشيعة ويسكوا لهم شيئاً من الأحرار. (د. فلييب، حتى الإسلام حياة تعريب، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، آذار/ مارس ١٩٨٣، ص ١٧٩).

ولنتيجة لسلك العباسيين الاستبدادي قام الصالحون والعبيد بانتفاضات عديدة في كثير من الأقاليم التابعة للدولة العباسية، وأعربوا عن استيائهم الشديد من موجة الاضطهاد والاستبداد التي تعرضوا لها بفعل سطوة الأمراء العباسيين وعماهم وممثلينهم على الأقاليم والولايات. لكن هذه الانتفاضات كانت كثيراً ما تقمع بعنف ووحشية.

وأشرف العباسيون،

الدول قبلهم واستعملهم في مناهج وحاجات منازلهم، وأختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك والقومة عليهم أفادهم علاج ذلك، والقيام على عمله، والتفتن فيه، مع ما حصل لهم من التماس العيش والتفتن في أحواله، فليعوا العلية في ذلك، وتطوروا بطور الحضارة والتشرف في الأحوال، واستجادة الطماص والمضارب والملابس والميلاني والأسلحة والفرش والألبسة وسائر أحوالهم في أيام المباشرة والولائم وليالي الأعراس، فباتوا من ذلك وراء الفاية. (مقدمة في خلدون، ١/ ٥٤٨، ٥٤٩).



وتزول الدولة الأموية على يد عموكان قد عقد العزم على تضييقها، القصد العباسيين - نظراً لفقدان الأمويين شرعية استمرارهم في السلطة، ولاتباعهم عن مفاهيم القرآن وتعاليمه، وسنة رسول الله محمد (ص)، والحق أن رؤية الخليفة (الأموي) يتباهى بأعماله الطاشة على مشهد من الناس وسيمع آثار غيب المنصر المتدين في مجتمع كان أساس وجوده الرئيسي هو الدين. بل إن المزاج النبوي الخالص الذي غلب على الأمويين المتأخرين جعل سيل النعمة

البعيدة، الخين كانوا وراء كثير من مظاهر عادات الحكام الأمويين في الأكل والميلس والسلوك، ولو لم يتأثر هؤلاء بالعالم الخارجي السابق عليهم حضارة لما رقت طابع بعضهم، ولم يعرفوا الجند والتشرف والتفتن في الأكل والمشر وبظام الحياة اليومية، ولو لم يتحوا البلدان الأخرى لما أصبحوا الأرياء، ولا نعالى إذا قلنا أن ثراهم الفاحش لم يكن يجهدهم وعرقهم، بل كان نتيجة متمية لاستغلال شعبهم الطحون بمرارة خبزه اليومى من جهد، واستغلالهم خيرات شربهم من الأفوام الأخرى التي سيقتهم حضارة وعمره ورياً من جهة أخرى.

ويرى أن كل هؤلاء أن الدولة عندما تتفتل من مرحلة البدوة إلى مرحلة الحضارة، فإنها تقلد ولو سابعاً لها في الزاهر، وأكثر رفاً وحضارة منها، يقول: «أهل الدول يبدأ يثقلون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم فأحوالهم يشاهدون، ومنهم في القالب يأخذون. ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكو فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبناءهم، ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة. فقد حكى أنه قدم أهل المرقق (نسج خاص بلبسة الأرياء) فكانوا يحسبون رفقاء، وعرضوا على الكافور في خرائن كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحا. وإماتل ذلك، فلما استعبدوا أهل



أحسن المستضعفون والفقراء
وبعض الفقهاء في الدولة الأموية،
بظلم حكامهم وسفهم، وأعربوا
عن رغبتهم العميقة بزوال
هؤلاء الحكام



وفردية وتسلطاً وصلفاً وغشراً، وهذه حال كثير من الخلفاء والقادة والتجار وذوى النفوذ في الدولة الأموية، ويمثل الخليفة يزيد بن معاوية (٣٠-٦٠ هـ / ٦٨٠-٦٨٤) قيمة مظاهر الشرف والبطر التي حلت بالدولة الأموية، إذ يقول المسعودي عنه: «كان يزيد صاحب طرب وجوارب وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشرب، وجلس ذات يوم على شرايه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على

ساقيه فقال: اسقني شرية تروى حشاشي ثم لم فاسق مثلها ابن زياد صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد منفي وجهادي ثم أمر القئين ففكوا به. وغلب بعد أصصاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الفناء بكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وظهر الناس شرب الشراب، وكان له قرد يكتي بأبي قيس يحضره مجلس منامته، ويكره له متكا، وكان قرداً خبيثاً، وكانت يحمله على اتان وصحية، قد رويضت وذلك لذلك يسرج ونجام ويساق بها الخيل يوم الحلية، فجاء في بعض الأيام سابقاً، فتناول القصبة ودخل الصجرة قبل الخيل، وعلى رأسه فلسوس من الحرير ذات اتان يشعلق، وعلى الأتار سرج من الحرير الأحمر منقوش ملعب بأنواع من الألوان (...). وفي يزيد وتلكه وجبره وانقياد الناس إلى ملكه قوله لأحوص: ملك تدين له تلك ميارك كادت ليهيته الجبال تزول تجيب عن بلخ وبجلة كلها وله الفرات وما سقى والنيل.. (مرجوع النصب ومعادن الجواهر، ٣/ ٨٠٧-٨٠٨).

وإذا كان حكام الأمويين غرقوا في نعيم الحضارة ومباهجها، وتفتنوا في ما ملهم ومشرهم، وغرقوا في الأموال والجورى والإساءة، واستألت خزائنهم بأموال الجزية وغنائم الحروب، وأموال الدولة ووزارتها العالية الشهوية من خيرات الشمس، وتحصروا وأثروا وابتشوا القصور، أكلوا في صحاف من الذهب والفضة ما لذ وطاب، ولبسوا السندس والديباج المزركش، ولقائل الذهب والأحجار الثمينة، ولبسوا حيواناتهم الأليفة مثلها لبسة، وتعمطوا بجميع أنواع الخبيث فإن ذلك لا يعود إلى أن الحضارة متأصلة في طباعهم، بل لأنه يعود إلى افتقارهم على العالم الخارجي، وتفتنهم مع هذا العالم وتأثرهم به من منحنى، ومن منحنى آخر لا يستهان بدور الحوائج والجورى الأخلاق المستحلقات القادعات من القصور والروم والأصقاع



والخليفة العباسي التوكل على الله، ويقول السعدي عن هذا العصر، «إنه لم تكن التفننات في عصر من العصور ولا وقت من الأوقات مثلها أيام المتوكل. ويقال: إنه أنفق على الهاروني والجوسق الجمصري (قصران من قصور المتوكل) أكثر من مائة ألف ألف درهم، هذا مع كثرة الموالي والجند والشاكبة ودور المعطاء لهم وجليل ما كانوا يفيضونه في كل شهر من الجوائز والهبات.

ويقال: إنه كان له أربعة آلاف سريّة وطعن كلفه (....)، ولا يعلم أحد في صناعته في جد ولا هزال إلا وقد حصى في دولته، وسعد ما ياله، ويوصل إليه نصيب وافر من ماله، (مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١٣٩/٤).

لقد أسهمت الأمويون التي غشت بها خزانة الخلفاء العباسيين، وخزانة نفقة أفراد الطبقة الأرستقراطية في المجتمع العباسي، في زيادة تهميش المستضعفين (بمعتن العين والفاء)، وزيادة تهديم وشالانهم، وزادت من استغلالهم، وذلك

بتحويلهم إلى حدم وأجراء بسيطاء يبيعون قوة عملهم لهؤلاء الخلفاء. والأرستقراطيين البطريقين الفارقيين في مختلف صفوف الفساد وأشكاله، والذين بدؤوا بالفساد لهؤلاء الدولة على الجوراء والفقور والغنيات، وعلى كل من كان لهم بالسلطة والولاة في وظائف قصور واقعية بإذنه بدت وكالها من نسج الخليفة. ويحكى عن «أحد أبدا العمال (الولاة العباسيين) أنه أضاع ثروته على بعض الغنيات ثم مات خادم كان مولى لأبيه، وابن عم في يوم واحد، فحصل له ثلثه من تركتهما أربعين ألف دينار، فمهر داراً بألف دينار، وأقشرى آلات وفرشاً وألباناً وجواري ثلثاً يسير لآلاف دينار، وسلم تاجر لافقي دينار بجملة ألف دينار، وهوى في بطن الأرض عشرة آلاف للشدائد، وأباحت بالباقي ضيقة تمل كل من سدة ما يزيد على مقدار نفقته، كما يذكر أدب منتر. (الحصار الإسلامي، ترجمة أبي ريدة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧م).

وإذا كانت السيدة الطيزان، زوج الخليفة المهدي، قد ملكت ثمانية عشر ألف ثوب موهى بأفخر أنواع الوضى، وإذا كانت زوج ابنتها، الخليفة هارون الرشيد، السيدة زبيدة أم جعفر، قد صرفت من خزينة الدولة العباسية مبلغ خمسين ألف دينار ضمن ثوب واحد من الوضى من بين ثيابها الكثير، كما أضرت ما سبقت، فإن فقرار بغداد كانوا يتشربون جوحا وحرمانا، وكذا شبه عراة يجوسون متشربين مسكرين ومهويين بحثاً عما

قائم على رأسها وهي عريانة فدخلت خلف الخيزران واستترت منه فجذبها، فأخذت كرسياً وقالت: والله لئن دخلت على أو دوت مني لأشعمن به وجهك، فقال لها، إنما أدت أن الظفر إليك لأتروكك، فقلت: لا سبيل إلى ذلك، فانصرف عنها.



ويلعبه عن بنت الزوير أبي عبيد الله مثل ذلك ففعلت الخيزران الفعله ببعنها، ودخل المهدي فحبسها فقلت: أنا أمتلك فاعلني ما أحببت فصرف الخيزران ووقع عليها، فقال منها ما أحبب فلما انصرفت أخبرت أخاها عبيد الله بذلك فكلعها باستنارة الخيزران، ودخلت الحمام معها، فلم تشمر الخيزران إلا بعبيد الله قد جهم عليها فاستترت فقال لها: ما إن ألو أن نضعل ما فعلتم في حرمتنا فلنعزلنا ولكن لا نستحل ذلك، فانصرفت الخيزران وأعلمت المهدي بذلك فتجنّى عليه بعد مدة فقتله. (تحفة الخروس ومستمدة النفوس، ص ٤٣٧-٤٣٨).

وقد بلغ التملك والشراء والبذخ والبطر والترف، والفساد وتبذير أموال المسلمين على تشييد القصور، وعلى السراري والحظايا أوجه في عصر

الخليفة الجنسي وأولاده، فقد تحولت من امرأة كريمة معطاء ومنتجة إلى امرأة مستهلكة ينحصر همه في ترفيه الرجل السلطوي وأعضاء سماره الجنسي، بل إلى أن تكون سلعة تنتقل من خليفة إلى آخر، ومن أمير إلى آخر، ومن لحاحظ يعمل نشاط تجارة الرقيق، حتى يلاحظ أن جارية متميزة جمالاً كعريب تملأوب على شرفها خمسة خلفاء من خلفاء الدولة العباسية، وهم: الأمين وأخوه المأمون، ثم المعتصم بالله، فالواق بالله، إلى أن استقرت في قصور المتوكل على الله، ولم يكف بعض الخلفاء بما في قصورهم من نساء شريعات حرائر، وغير حرائر من وقفن تحت حكم الامتلاك، فبعل الإلهاء أو الشراء، بل لجأ بعضهم إلى تسخير زوجاتهم للشريعات ليكن أداة مساعمة على احتيال على نساء أخريات خارج دائرة الامتلاك السابقة، ثم الوصول إليهن جنسيا سواء أكان ذلك بالرضى أم بالانقصاب، ويروي محمد بن أحمد التجاني نقلا عن كتاب (تاريخ بغداد) لأبي أبي طاهر ما يلي، «كان في المهدي حب وعزل في النساء فيبلغه عن عونة بنت أبي عون جمال وهيئة فقال للخيزران (زوجة المهدي) استزريها فاستزرتها، فلما سارت عوبة إليها قالت لها الخيزران: هل لك في الحمام؟ قالت لها: إذا شئت، فدخلت معها فلم تشمر عوبة إلا والمهدي

ولدهقت عليهم الأموال من مختلف ولايات الدولة، وإدهرت حبياة الأمراء والتجار والأثرياء وقلادة الجند الاقتصادية، وتشملت التجارة شاملا كبيرا في رقعة مكانية مترامية الأطراف تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى الصين شرقاً، ومن شمال المتوسط وبحيرة قزوين شمالاً إلى الشيجر جنوبياً، ومنح العباسيون، وأثروا نخمة وخموراً وقلما وموسيقى وجواري ونساء فانات الجمال قادمات من أبعد دسائر ولايات الدولة العباسية، وأسرف على القوم في تجدير أموال الدولة على ملذاتهم الشخصية، وانصرفوا «إلى صفوف البذخ وعسروب التسدير والترف، فالتفتوا الجوارى واتخذوا الصر من الخنز والنبياح والحرير والسماير الضضة، وابتدوا التزهات والقصور والمسد والفتوا النماء وانتشوا مجالس الغناء، وارتكبوا سائر ضروب الترف والتألق في الطعام واللباس والرياش، وقد سهل عليهم ذلك فبعل عهد العراق وفارس من يدخ الفرس قبيل الإسلام، وأطلقوا أيدي نساءهم وأمهاتهم وخصامتهم في الأموال، كما يدكر جرجي ريدان، (تاريخ التمدد الإسلامي، المجلد الأول، الجزء الثاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، ص ٣٩).

ومارس بعض الخلفاء العباسيين، وبعض أمراءهم، قادة جيوشهم، وضعاهم على ولاياتهم، استبداداً وبعثاً وانقضاباً للخيبرات والأموال والنساء، ويزوا خلفاء الأمويين وقادتهم في ذلك، ومارسوا تخريب كل ما هو إنساني وجميل وأصيل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وارتكبوا جميع أنواع الميوهات والمخاسد، وما يجير الانتباه والعجب في مستهلكهم أنهم انصرفوا سماراً جنسياً جامحاً، إذ استثمروا غرائزهم الجنسية واندهسوا بها لأجنين صوب أجساد النساء، واندهسوا لأهشيت لامتلاك النساء والجوارى والحرائر وبكرته منهلّة تكاد لا تصدق، وعلى سبيل المثال تشير المصادر التاريخية إلى أن الخليفة هارون الرشيد كان يملك في قصوره (٢٠٠٠) جارية، و (٣٠٠) قبينة للترفيه عنه بالبناء والموسيقى، أما المعتصم بالله فقد كان في مقاصير قصوره (٨٠٠٠) جارية، واكتفى المتوكل على الله باتحاد (٤٠٠) جارية وحظية التانسية ١٩٨٢م (ص ٧٠)، وفي جو الاستهلاك هذا عانت المرأة استلاباً وتقزيماً، لأنها مصطرة لأن ترضى جموح



نتيجة لسلوك العباسيين

الاستبداد قام الفلاحون والعبيد بالتماضات

عديدة في كثير من الأقاليم التابعة للدولة

العباسية، وأعربوا عن استيائهم الشديد

من موجة الاضطهاد والاستبداد



الطعم والهضم

علقة ورا معلقة



فول - فول - فول

المجلد ١٥٨
العدد ١٥٨
الطبعة ١٥٨

الكلمة
مقدمة من مصطفى صادق
الحصري

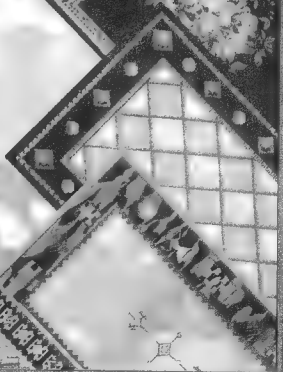
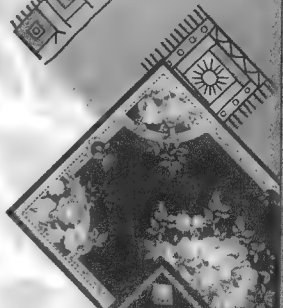
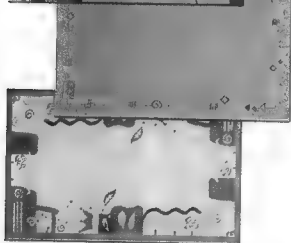
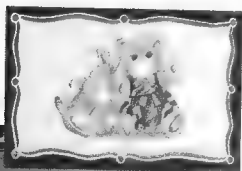
من العصر الجاهلي حتى العصر
الإسلامي الحديث، وما كان القزويني
والثانيون إلّا من الجماعات التي
عبر تشكيلها إلى النتيجة رئيسة
لاستبداد السلطة من جهة، واستمرار
وتكثيفها بطرق تقوم على الاستغلال
والخلافات في جهة أخرى، ولا غافلاً
عنه (قُلْنَا إِنَّكُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْ
الْفَاحِشَةِ، وَغَضَّ نَبَاجَهَا، وَظَهَرَ
طَبِيقَةُ الْمَرْبِيبِ، وَهَوَّجَهَا عَنْ
مَعَاهِدِ الْفُرْقَانِ وَالْإِسْلَامِ
الصَّحِيحَةِ، وَتَمَيَّنَّ الْإِنْسَانُ
بِشَيْءٍ طَرَفَ الْحَرَامِ، كَانَتْ
الْعَامِلُ الْأَسَاسُ فِي إِسْلَامِ
الْمُسْلِمِ وَالْمُسْلِمَةِ وَالْطَّبَقَةِ
وَالْأَوَّلَى وَالْأُخْرَى، وَتَغْيِيرِهِمْ، وَفِي
بُيُوتِهِمَا مَهْنَتُ الظُّهْرِ، إِذَا
بَدَأَ الْغُلَامَانِ وَالْجَوَارِي وَالْحُرَّ
وَالْأَزْدِيَّةَ، وَفَقَعَتْ أَسْهُمُهُمَا
وَالْجَوَارِي إِلَى الرِّبَايَةِ
وَالْفُضُوزِ وَتَكْبَاحِ كُلِّ مَا
هُوَ مُتَنَبِّهٌ كَثِيرٌ مِنْ
أَسْهُمِهِمَا إِلَى تَحْلِيلِ
الْقِيمِ الْإِنْسَانِيَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَتَكْرِيسِ
فِيمِ السُّتْلَاقِ وَالسَّلَاسَةِ
وَالْبَطْرِ وَالْفُضُوزِ بِدَلَا
مُتَنَبِّهٍ

(۱) شرح المفردات فی نص ابن خلدون؛

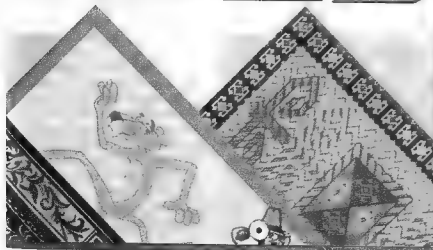
بانتظار حوالة اى الأمل فى ان تتحول
واقي، فترتفع اثمانها، عندئذ يستطيع التجار
من اموالهم ربحاً وفيراً.
نفقت البضاعة: راجت وكثر طلابها.
فى تقاضى اثمانها: اى لا بد فى محوالة
التمتع من حصول هذا المال بأيدى الباعة
لراء البضائع وبيعها ومعاملتهم فى تقاضى
ثمنها..

النصف الرجل: عاملته بالعدل والقسوة.
 م النصفة: مفتحين على الصداق والفاء.
 المسحت: الحرام وما خبث من الكاسب.
 تحت الشيء: امتأصله، والمسحت لرأس المال.
 امتأصا: لأب، المال.

لقد عصفت بفقدان الشريعة رجال سلطنتها وتجاهها كل ما يشاؤون من عز وبرجوت وقضاء وأموال وضيق وسباتين، وصرعت فترساها من أبعث الأضياء، وراحت من نصف الدرهم على حد تغيير واستن النجعة كما أضرير إلى ذلك سابقاً. ويمكن القول في نهاية هذا المقال أن المال والتجارة على الرغم من أهميتهما في المجتمعات الإسلامية، وموردها في الانعاش الاقتصادي والاجتماعي، والأزدهار العمراني في هذه المجتمعات، أسهم بشكل مباشر في تكريس العبودية، وظهور طبقة الضعفاء ابتداء



ما ل متواجد في مرا





ماك

ماك على الإنترنت www.maccarpet.com

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مشايات

قطع موكيت

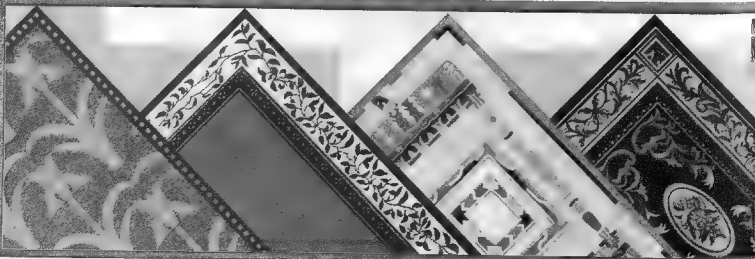
مطبوع

دواسات حمام

شرقي

سجاد أطفال

بيع بواقى التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر.



الفاطميون .. الحق

علاء الدين وحيد

مع الاتفاق على أن معظم صفحات التاريخ تكتب بعداد السلاطين، لم يتوقف يوماً الجدل حول محطات كثيرة في التاريخ الإسلامي أو بالأحرى في تاريخ الممالك الإسلامية، هذا كتاب آخر يتناول تاريخ الدولة الفاطمية الملتبس في مصر.

منذ السنين الأولى من مذهبهم الشيعي، أن ظلت مظاهر هذا الإلهاء قائمة منبثة في حياتنا إلى اليوم بعد زوال حكمهم من احتفالات وتقاليد وبعيد لم يكن للمسلمين بها عهد من قبل، في استقلال المناسبات الدينية مثل الاحتفاء بالمولود النبوي والإسراء والهجرة والنصف من شعبان وغيرها، وتزويقها من محتواها الحقيقي إلى مظاهر هامشية تبعدهم عن جوهر العقيدة لتتمكن السيطرة عليهم وتسييرهم وفق المخطط الإسماعيلي المرسوم. وهو الأسلوب التقليدي لنظم الحكم المستبدة، وتغلغل هذا الإلهاء أبقي للفاطميين في الحس الشعبي على مر العصور ذكرى طيبة تقترب بالهزل والوهو والهلوى الشهية

يظن الكثيرون أن أسلوب الإلهاء الذي يلجأ إليه الحكام العرب والمسلمون المستبدون يشتمل الوسائل لإبعاد الجماهير عن التفكير في حقوقها والطالبة بها .. هو ابتكار جديد بينما العكس صحيح، وأوضح نموذج لذلك الدولة الفاطمية، التي تعد من أكثر الدول قهراً لأمتها، ويرعت في الإلهاء إلى درجة يحذرن بها في خلع الشعوب. وعن هذا الجانب في تاريخ الفاطميين الذين استمرت دولتهم قرنين من الزمان تحكم شطراً كبيراً من العالم الإسلامي، يقدم جمال سدي مؤلفه الجديد «الفاطمية دولة التفتارح والتباريح...» فحفاً عن العقيدة والأمة وحريته الشعوب... حلقة من حلقات كتابات مفكرنا السياسية والحزبية والقومية والتاريخية وغيرها، التي تستهدف في المقام الأول الوصي الكامل ليقظة حقيقية ضد الاستبداد والقهر والظلم والاحتراف في الماضي والحاضر - التي تعرض الوطن للانهايار.. ضد كل المفاهم التي تهتمس العقل وتغيب الوعي وتقصي الأمة عن القيام بمسؤولياتها في الدفاع عن حرياتها وحقوقها.. هذه المفاهم العربية التي تفرض السمع عن التيارات التواكس والاستسلام قوتى الطغى.

يقول مفكرنا في مقدمة كتابه: «التهاون في الدفاع الوطني والاستقلال النضائي، يؤدي إلى ضياع الوطن...» وخصوصه لكل طارق مشبوه.. (ص ٩). يقع هذا اليوم كما حدث بالأمس وادي إلى ضياع استقلال مصر أكثر من مرة، «وما كان للفاطميين أن ينجحوا في غلبة مصر لولا ضعف النظام الحاكم، وفغلة الشعب الحكوم، والفرغ الذي اتاح للمعلاء والطبوير الخامس أن يمهّد الأرض لتجيش القادم ليملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً... فاستأثرت الأرض خلا واضطراباً والحاداً - إنه درس لا ينبغي أن ننساه».. (ص ٩٢).

وما أشبه الليلة بالبارحة..

ويلج من نجاح الفاطميين الأسطوري في إلهاء الشعب المصري من مقاصدهم السرية، ومحاولة تحويله من

الفاطمية دولة التفتارح والتباريح جمال سدي القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤.

ابن عمه على بن أبي طالب، زوج ابنته هاشمة الزهراء، وبنيت من بعده، أبناء ولديه الحسن والحسين. وهكذا تغلبت رئاسة الأمة الإسلامية في نظرمهم، ووفقاً لتأويلاتهم ورواياتهم، مبرراً خاصاً، لا يليها «حتى يومنا هذا» أحد سوى آل البيت، (ص ١٧-١٨).

ولأن الحكام المسلمين تحولوا قبل ظهور الفاطميين بإزمنة طويلة إلى حكام مستبدين، لا يعملون بما أنزل الله بل بما تفرضه مصالحهم الشخصية، فقد أصبحت المبادئ الإسلامية مجردة لافتات خادعة لا تطبق مضامينها بل عكسها، الذي يقع بحماية الجديد والنار، فلا عجب أن يبدأ المعز لدين الله الفاطمي هذه بالخداع أيضاً، موهماً المصريين أنهم وما يعتقدون في ظل مذهبهم السني في أمان، وعندما تتولد أركان حكمه كبحر - كما يفعل حكام القهر - من أنبياء ولا يجب أن يصد من الجماهير بما يكرهه، ورغم كل الإلهاء الذي بذل ومع استمرار دولتهم قرابة قرنين ظلت مصر سنية، ولم يتأثر الإنسان المصري مهضوم الحق بمظاهر (الإغراق في الترف والسرف واللبه التي فضحت من ناحية أخرى تقواهم المزعومة، والتي واكبت نظام الحكم وأصبحت للمسلطة والمرترقة القوة والمثال.

والعدوات المتهزئة غير الواقة من نفسها ومن قوة ما تحمل من مثل، لتجأ دائماً إلى الأساليب المتلوية التي تدغدغ غرائز الجماهير وتشبع شههم فيها، مستغلة جاهلهم بالاستزادة في فكر المذهب من المعجزات والأوهام، وكذلك فعلت الفاطمية، فإذا بدعوة الإمامة فيها تكتيس بادعاء الفيلب والمقدرة على (إتيان الخوارق)، وإبنايه بؤيد بعض دعاة الإسماعيلية هذه المزايع في كتبه، بل وكيف يرفعون بعض الأمة إلى مرتبة النبوة، ويتسبون إليهم بالضلل إتيان الخوارق والمعجزات، وكيف يشفي بعض الدعاة من جهة أخرى نسبة هذه المزايع إلى الأمة. ثم رأينا بعد ذلك كيف كان الخلفاء الفاطميون يتجهون إلى التعلق بممارك الفيلب، وفيلب عليهم شفق الخفاء».. (ص ٩٤). وهكذا كان من الطبيعي أن يتسق ذلك مع ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية

يقول جمال سدي: هذه الحقيقة الطويلة التي عاشتها الدولة الفاطمية لم تشر تحولاً من مذهبها في الشارع المصري بالفرغم من أساليب الدعاية

«تلك حلقة من حلقات التاريخ المصري في مطلع الألفية الثانية لم تأخذ حقها في الذبوع والانتشار، رغم أهميتها القصوى في الكشف عن صلاية الشعب المصري، ورفضه الصرام لكل ما يمس عقيدته الخالصة في التوحيد. والمؤسف أن هذه الصفحة المجيدة - من تاريخ مصر في العصر الفاطمي - ضاعت في زحام الدعاية التي يروج لها بعض أنصار الفاطمية عن الأعياد والاحتفالات والسهرات والفتحات وأصناف الحلوى التي كانت سمة من سمات العصر، ولم تكن كل هذه المباحج إلا ستاراً لإخفاء حقيقة الدعوة الفاطمية وما تحمله من أسرار غريبة وأفكار شاذة، ومعتقدات مناقضة للعقيدة الإسلامية الخالصة. ولم تكن دعوى الألوهية الحاكم بأمر الله إلا تطوراً طليعياً للفكر الإسماعيلي الذي جاء به الفاطميون، وظل خافياً عن الشعب المصري طوال عهد المعز لدين الله، وأبنة العزيز، ثم كشفت عن وجهها السافر في عهد الحاكم بأمر الله».

جمال بدوي

«الفاطمية دولة التفتارح والتباريح»، ص ٧٥

القهر... والإلهاء

تنبض بالواقع المأساوي الذي يفرضه تجبر المستوليين واستكافة المواطنين أو مقاومتهم.. من هذه الجوانب.. اطمئننا الجمهور المصري لقدوم العاطميين الذين جهل مقاصدهم - وترجييه بهم وعدم صدهم كمغيرين في أواخر حكم الإخشيديين.. يفسر جمال بدوي ذلك

وكما تقول المقدمة فكتابتنا ليس تأريخاً للدولة الفاطمية ولكنه «محطات» ذات دلالة توقف عندها صاحبها، تتناول تكوين الشعوب صعوداً وهبوطاً واتجاهات الحكام المسلمين قريباً وبعيداً عن الحقيقة وواقع الأحداث المصرية إجمالاً وافتحالا.. وهي كلها

فكرها وعقيديتها ومنهجها، خاصة في المرحلة التي كشف فيها النظام عن صبغته التمهية، وخلق النقباء عن حقيقة دعونه السرية.. وعندها بلغ الصدام بين الدولة والشعب درجة التلاحم بالخناجر والبطل في شوارع القاهرة، (ص ١١-١٢).

الجسارة وأفانين المغريات التي قدمها الفاطميون.. لقد أكل المصريون الكثافة والقطايف والخشاف وحلاوة المولد وذرقوا الدموع على مصرع الحسين وعملوا في خدمة الدولة ومؤسساتها وإداراتها ومصلحتها وقضوا مرتباتها.. ولكنهم وقضوا مواقف المستريب من



مذاهب وتيارات فلسفية مناقضة للإسلام. (ص ٧٦-٧٧).

ومن إقراآت حكم القهر السامة في مختلف الأزمنة خيانة الوطن إلى درجة تحالف الحاكم المسلم مع أعداء قومه من الصليبيين. إن التكاليف على السلطة والحرس على الحكم والعض بالتواجز على الرئاسة والمغانم، يطيش العقل وتصبح القضية حياة أو موتاً.. وهكذا يقتل السلطان فلذة كبده أو شقيقه ويؤسس على قومه في سبيل التمسك بالحكم، وهو ما أدى في النهاية إلى انهيار الدولة الفاطمية.

وإحدى «المحطات» التي توقف عندها جمال بدوي ما يمثل الأدب المرتقز الذي يخون شعبه وهو يصعق فنه في خدمة أولياء التمسك الحاكم المستبد، ويتجسد في الشاعر هبة الهمشي الذي عاش زمنًا طويلًا في ركاب الفاطميين منافقًا مرتزقا مادحًا هجاء. وتكون سطور مصارعة شاعر لكل العهود، وإن تساءل بعض القراء ألم يكن الشاعر ابن هاشم الأندلسي أولى في هذا المجال بالتقديم، وهو الذي لا يزال يضرب به المثل في الانحلال والسقوط والضيور، عندما خاطب المعز لدين الله الفاطمي بقوله، ما شئت لا ما شأيت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار !!

الفاطميون



بقوله، «بعد وفاة كافر، تعرضت البلاد لحنة اقتصادية، واشتدت عليها الصلابة. والشعوب إذا بلغت حد اليأس وتكالب عليها المفسدون، فضت يدها من الحاكم المحلي، ومن يدها إلى المقتد حتى لو كان أجنبيًا». (ص ٤٣).



ويكذب الكثيرون إلى اليوم مزاعم المواقم في اتصال نسيهم بعلي بن أبي طالب، ويؤيد من الشكوك أن أغلب أعمالهم تناقض مواقف ابن عم النبي. وقد حفلت صفحاتهم بالقسوة والعنف والقتل التي بلغت ذروتها في عهد الحاكم بأمر الله، الذي ولغ منذ صباه في سبك الدماء وأعمل سيمه في رقاب وزرائه وكل من يقض عليه وما أكثرهم. ويبلغ افتراؤه على الإسلام درجة الإلحاد وإعلان نفسه الهيا. «إن كبيرة الكبار التي ارتكبها الحاكم، هي اعاءه الألوهية.. وعرايته الدعوات الإلحادية التي هبت على مصر من جانب دعاة الفرس والإسماعيليين الذين وجدوا في شخصية الحاكم واضطرابه العقلي، فرصة سانحة للكشف عن أفراسهم الخبيثة في هدم الإسلام، وصارت مصر مهدأ خصمياً

بن إسماعيل الدرزي - أحد مرتزقة الحكم الفاطمي - الذي لا يزال أصحابه يؤمنون إلى اليوم بدرجة الحاكم بأمر الله! لكن عمليات غزو الفواطم للصعيرين قائمة على الإلهاء والخدماء والشعارات فحسب بل اعتمدت أيضاً على الفكر الفلسفي والعقائدي المقيوه الذي تبلور في «دار الحكمة» بعد إنشاء الأزهر. «إن نظام الحكم الفاطمي كان أشبه بجمعية سرية هدفها هدم الإسلام من داخله شهيدة إقامة الدعوة الإسماعيلية التي تستمد أصولها من

لطائفة من الدعاة السريين، والدعوات المذهبية والإلحادية المخرفة. وكان الحاكم من وراء هذه الدعوات برعاه ويرقب تطوراتها حتى استأثرت في أواخر عهده إلى دعوة جريئة إلى «الوهية»، تخصصت هذه التيارات الخفية عن عاصفة دموية مروعة اختتم بها ذلك العهد الحافل بمنسوق الفساجات والأحداث الصجية. (ص ٥٩).

ولعل أشهر الحركات الإلحادية التي اكبنت تآليه الحاكم بأمر الله ظهور المذهب الدرزي نسبة إلى منشه محمد

EL SAWY
CULTURAL
CENTER

الفاطميون
Khan El Sakia

Ramadan's Event Program
برنامج شهر رمضان العظيم



الوقت	البرنامج	الوقت	البرنامج
١٥:٠٠	الفاطمية	١٥:٠٠	الفاطمية
١٦:٠٠	الفاطمية	١٦:٠٠	الفاطمية
١٧:٠٠	الفاطمية	١٧:٠٠	الفاطمية
١٨:٠٠	الفاطمية	١٨:٠٠	الفاطمية
١٩:٠٠	الفاطمية	١٩:٠٠	الفاطمية
٢٠:٠٠	الفاطمية	٢٠:٠٠	الفاطمية
٢١:٠٠	الفاطمية	٢١:٠٠	الفاطمية
٢٢:٠٠	الفاطمية	٢٢:٠٠	الفاطمية
٢٣:٠٠	الفاطمية	٢٣:٠٠	الفاطمية
٢٤:٠٠	الفاطمية	٢٤:٠٠	الفاطمية
٢٥:٠٠	الفاطمية	٢٥:٠٠	الفاطمية
٢٦:٠٠	الفاطمية	٢٦:٠٠	الفاطمية
٢٧:٠٠	الفاطمية	٢٧:٠٠	الفاطمية
٢٨:٠٠	الفاطمية	٢٨:٠٠	الفاطمية
٢٩:٠٠	الفاطمية	٢٩:٠٠	الفاطمية
٣٠:٠٠	الفاطمية	٣٠:٠٠	الفاطمية
٣١:٠٠	الفاطمية	٣١:٠٠	الفاطمية
٣٢:٠٠	الفاطمية	٣٢:٠٠	الفاطمية
٣٣:٠٠	الفاطمية	٣٣:٠٠	الفاطمية
٣٤:٠٠	الفاطمية	٣٤:٠٠	الفاطمية
٣٥:٠٠	الفاطمية	٣٥:٠٠	الفاطمية
٣٦:٠٠	الفاطمية	٣٦:٠٠	الفاطمية
٣٧:٠٠	الفاطمية	٣٧:٠٠	الفاطمية
٣٨:٠٠	الفاطمية	٣٨:٠٠	الفاطمية
٣٩:٠٠	الفاطمية	٣٩:٠٠	الفاطمية
٤٠:٠٠	الفاطمية	٤٠:٠٠	الفاطمية
٤١:٠٠	الفاطمية	٤١:٠٠	الفاطمية
٤٢:٠٠	الفاطمية	٤٢:٠٠	الفاطمية
٤٣:٠٠	الفاطمية	٤٣:٠٠	الفاطمية
٤٤:٠٠	الفاطمية	٤٤:٠٠	الفاطمية
٤٥:٠٠	الفاطمية	٤٥:٠٠	الفاطمية
٤٦:٠٠	الفاطمية	٤٦:٠٠	الفاطمية
٤٧:٠٠	الفاطمية	٤٧:٠٠	الفاطمية
٤٨:٠٠	الفاطمية	٤٨:٠٠	الفاطمية
٤٩:٠٠	الفاطمية	٤٩:٠٠	الفاطمية
٥٠:٠٠	الفاطمية	٥٠:٠٠	الفاطمية
٥١:٠٠	الفاطمية	٥١:٠٠	الفاطمية
٥٢:٠٠	الفاطمية	٥٢:٠٠	الفاطمية
٥٣:٠٠	الفاطمية	٥٣:٠٠	الفاطمية
٥٤:٠٠	الفاطمية	٥٤:٠٠	الفاطمية
٥٥:٠٠	الفاطمية	٥٥:٠٠	الفاطمية
٥٦:٠٠	الفاطمية	٥٦:٠٠	الفاطمية
٥٧:٠٠	الفاطمية	٥٧:٠٠	الفاطمية
٥٨:٠٠	الفاطمية	٥٨:٠٠	الفاطمية
٥٩:٠٠	الفاطمية	٥٩:٠٠	الفاطمية
٦٠:٠٠	الفاطمية	٦٠:٠٠	الفاطمية
٦١:٠٠	الفاطمية	٦١:٠٠	الفاطمية
٦٢:٠٠	الفاطمية	٦٢:٠٠	الفاطمية
٦٣:٠٠	الفاطمية	٦٣:٠٠	الفاطمية
٦٤:٠٠	الفاطمية	٦٤:٠٠	الفاطمية
٦٥:٠٠	الفاطمية	٦٥:٠٠	الفاطمية
٦٦:٠٠	الفاطمية	٦٦:٠٠	الفاطمية
٦٧:٠٠	الفاطمية	٦٧:٠٠	الفاطمية
٦٨:٠٠	الفاطمية	٦٨:٠٠	الفاطمية
٦٩:٠٠	الفاطمية	٦٩:٠٠	الفاطمية
٧٠:٠٠	الفاطمية	٧٠:٠٠	الفاطمية
٧١:٠٠	الفاطمية	٧١:٠٠	الفاطمية
٧٢:٠٠	الفاطمية	٧٢:٠٠	الفاطمية
٧٣:٠٠	الفاطمية	٧٣:٠٠	الفاطمية
٧٤:٠٠	الفاطمية	٧٤:٠٠	الفاطمية
٧٥:٠٠	الفاطمية	٧٥:٠٠	الفاطمية
٧٦:٠٠	الفاطمية	٧٦:٠٠	الفاطمية
٧٧:٠٠	الفاطمية	٧٧:٠٠	الفاطمية
٧٨:٠٠	الفاطمية	٧٨:٠٠	الفاطمية
٧٩:٠٠	الفاطمية	٧٩:٠٠	الفاطمية
٨٠:٠٠	الفاطمية	٨٠:٠٠	الفاطمية
٨١:٠٠	الفاطمية	٨١:٠٠	الفاطمية
٨٢:٠٠	الفاطمية	٨٢:٠٠	الفاطمية
٨٣:٠٠	الفاطمية	٨٣:٠٠	الفاطمية
٨٤:٠٠	الفاطمية	٨٤:٠٠	الفاطمية
٨٥:٠٠	الفاطمية	٨٥:٠٠	الفاطمية
٨٦:٠٠	الفاطمية	٨٦:٠٠	الفاطمية
٨٧:٠٠	الفاطمية	٨٧:٠٠	الفاطمية
٨٨:٠٠	الفاطمية	٨٨:٠٠	الفاطمية
٨٩:٠٠	الفاطمية	٨٩:٠٠	الفاطمية
٩٠:٠٠	الفاطمية	٩٠:٠٠	الفاطمية
٩١:٠٠	الفاطمية	٩١:٠٠	الفاطمية
٩٢:٠٠	الفاطمية	٩٢:٠٠	الفاطمية
٩٣:٠٠	الفاطمية	٩٣:٠٠	الفاطمية
٩٤:٠٠	الفاطمية	٩٤:٠٠	الفاطمية
٩٥:٠٠	الفاطمية	٩٥:٠٠	الفاطمية
٩٦:٠٠	الفاطمية	٩٦:٠٠	الفاطمية
٩٧:٠٠	الفاطمية	٩٧:٠٠	الفاطمية
٩٨:٠٠	الفاطمية	٩٨:٠٠	الفاطمية
٩٩:٠٠	الفاطمية	٩٩:٠٠	الفاطمية
١٠٠:٠٠	الفاطمية	١٠٠:٠٠	الفاطمية

Sponsored by

موبينيل

IBM

الوقت	البرنامج	الوقت	البرنامج
١٥:٠٠	الفاطمية	١٥:٠٠	الفاطمية
١٦:٠٠	الفاطمية	١٦:٠٠	الفاطمية
١٧:٠٠	الفاطمية	١٧:٠٠	الفاطمية
١٨:٠٠	الفاطمية	١٨:٠٠	الفاطمية
١٩:٠٠	الفاطمية	١٩:٠٠	الفاطمية
٢٠:٠٠	الفاطمية	٢٠:٠٠	الفاطمية
٢١:٠٠	الفاطمية	٢١:٠٠	الفاطمية
٢٢:٠٠	الفاطمية	٢٢:٠٠	الفاطمية
٢٣:٠٠	الفاطمية	٢٣:٠٠	الفاطمية
٢٤:٠٠	الفاطمية	٢٤:٠٠	الفاطمية
٢٥:٠٠	الفاطمية	٢٥:٠٠	الفاطمية
٢٦:٠٠	الفاطمية	٢٦:٠٠	الفاطمية
٢٧:٠٠	الفاطمية	٢٧:٠٠	الفاطمية
٢٨:٠٠	الفاطمية	٢٨:٠٠	الفاطمية
٢٩:٠٠	الفاطمية	٢٩:٠٠	الفاطمية
٣٠:٠٠	الفاطمية	٣٠:٠٠	الفاطمية
٣١:٠٠	الفاطمية	٣١:٠٠	الفاطمية
٣٢:٠٠	الفاطمية	٣٢:٠٠	الفاطمية
٣٣:٠٠	الفاطمية	٣٣:٠٠	الفاطمية
٣٤:٠٠	الفاطمية	٣٤:٠٠	الفاطمية
٣٥:٠٠	الفاطمية	٣٥:٠٠	الفاطمية
٣٦:٠٠	الفاطمية	٣٦:٠٠	الفاطمية
٣٧:٠٠	الفاطمية	٣٧:٠٠	الفاطمية
٣٨:٠٠	الفاطمية	٣٨:٠٠	الفاطمية
٣٩:٠٠	الفاطمية	٣٩:٠٠	الفاطمية
٤٠:٠٠	الفاطمية	٤٠:٠٠	الفاطمية
٤١:٠٠	الفاطمية	٤١:٠٠	الفاطمية
٤٢:٠٠	الفاطمية	٤٢:٠٠	الفاطمية
٤٣:٠٠	الفاطمية	٤٣:٠٠	الفاطمية
٤٤:٠٠	الفاطمية	٤٤:٠٠	الفاطمية
٤٥:٠٠	الفاطمية	٤٥:٠٠	الفاطمية
٤٦:٠٠	الفاطمية	٤٦:٠٠	الفاطمية
٤٧:٠٠	الفاطمية	٤٧:٠٠	الفاطمية
٤٨:٠٠	الفاطمية	٤٨:٠٠	الفاطمية
٤٩:٠٠	الفاطمية	٤٩:٠٠	الفاطمية
٥٠:٠٠	الفاطمية	٥٠:٠٠	الفاطمية
٥١:٠٠	الفاطمية	٥١:٠٠	الفاطمية
٥٢:٠٠	الفاطمية	٥٢:٠٠	الفاطمية
٥٣:٠٠	الفاطمية	٥٣:٠٠	الفاطمية
٥٤:٠٠	الفاطمية	٥٤:٠٠	الفاطمية
٥٥:٠٠	الفاطمية	٥٥:٠٠	الفاطمية
٥٦:٠٠	الفاطمية	٥٦:٠٠	الفاطمية
٥٧:٠٠	الفاطمية	٥٧:٠٠	الفاطمية
٥٨:٠٠	الفاطمية	٥٨:٠٠	الفاطمية
٥٩:٠٠	الفاطمية	٥٩:٠٠	الفاطمية
٦٠:٠٠	الفاطمية	٦٠:٠٠	الفاطمية
٦١:٠٠	الفاطمية	٦١:٠٠	الفاطمية
٦٢:٠٠	الفاطمية	٦٢:٠٠	الفاطمية
٦٣:٠٠	الفاطمية	٦٣:٠٠	الفاطمية
٦٤:٠٠	الفاطمية	٦٤:٠٠	الفاطمية
٦٥:٠٠	الفاطمية	٦٥:٠٠	الفاطمية
٦٦:٠٠	الفاطمية	٦٦:٠٠	الفاطمية
٦٧:٠٠	الفاطمية	٦٧:٠٠	الفاطمية
٦٨:٠٠	الفاطمية	٦٨:٠٠	الفاطمية
٦٩:٠٠	الفاطمية	٦٩:٠٠	الفاطمية
٧٠:٠٠	الفاطمية	٧٠:٠٠	الفاطمية
٧١:٠٠	الفاطمية	٧١:٠٠	الفاطمية
٧٢:٠٠	الفاطمية	٧٢:٠٠	الفاطمية
٧٣:٠٠	الفاطمية	٧٣:٠٠	الفاطمية
٧٤:٠٠	الفاطمية	٧٤:٠٠	الفاطمية
٧٥:٠٠	الفاطمية	٧٥:٠٠	الفاطمية
٧٦:٠٠	الفاطمية	٧٦:٠٠	الفاطمية
٧٧:٠٠	الفاطمية	٧٧:٠٠	الفاطمية
٧٨:٠٠	الفاطمية	٧٨:٠٠	الفاطمية
٧٩:٠٠	الفاطمية	٧٩:٠٠	الفاطمية
٨٠:٠٠	الفاطمية	٨٠:٠٠	الفاطمية
٨١:٠٠	الفاطمية	٨١:٠٠	الفاطمية
٨٢:٠٠	الفاطمية	٨٢:٠٠	الفاطمية
٨٣:٠٠	الفاطمية	٨٣:٠٠	الفاطمية
٨٤:٠٠	الفاطمية	٨٤:٠٠	الفاطمية
٨٥:٠٠	الفاطمية	٨٥:٠٠	الفاطمية
٨٦:٠٠	الفاطمية	٨٦:٠٠	الفاطمية
٨٧:٠٠	الفاطمية	٨٧:٠٠	الفاطمية
٨٨:٠٠	الفاطمية	٨٨:٠٠	الفاطمية
٨٩:٠٠	الفاطمية	٨٩:٠٠	الفاطمية
٩٠:٠٠	الفاطمية	٩٠:٠٠	الفاطمية
٩١:٠٠	الفاطمية	٩١:٠٠	الفاطمية
٩٢:٠٠	الفاطمية	٩٢:٠٠	الفاطمية
٩٣:٠٠	الفاطمية	٩٣:٠٠	الفاطمية
٩٤:٠٠	الفاطمية	٩٤:٠٠	الفاطمية
٩٥:٠٠	الفاطمية	٩٥:٠٠	الفاطمية
٩٦:٠٠	الفاطمية	٩٦:٠٠	الفاطمية
٩٧:٠٠	الفاطمية	٩٧:٠٠	الفاطمية
٩٨:٠٠	الفاطمية	٩٨:٠٠	الفاطمية
٩٩:٠٠	الفاطمية	٩٩:٠٠	الفاطمية
١٠٠:٠٠	الفاطمية	١٠٠:٠٠	الفاطمية

التميز هو أسلوبنا الوثيقة الرائدة

أرباحك معنا ممكن تصل إلى
١٤٥ جنيه سنويا لكل ألف جنيه

من مبلغ التأمين تدفع في نهاية مدة التأمين
طبقا لآخر معدل لتوزيع الأرباح

وفي حالة الوفاة (لا قدر الله)
يستحق لك مبلغ التأمين
بالإضافة إلى ما يخص الوثيقة
من أرباح حتى تاريخ الوفاة

مهما كان سنك
ومهما كان دخلك
هتلاقى الوثيقة
اللي تناسبك

- الإدارة المركزية ٤٤ ش النحاس - الجيزة ت: ٢/٣٥٥٣٥٠
- منطقتنا القاهرة ٧ ش طلعت حرب - القاهرة ت: ٢/٣٩٣٢١٠٠
- الإسكندرية ١٦ طريق المرسية ت: ٣٠/٤٨٤٧٢٥
- القاهرة ١٤ ش ميدان عرابي - الإسماعيلية ت: ١٤/٩١٥١٥٧
- شرق الدلتا ٨ ش الجيش - برج المحافظة - المنصورة ت: ٤٠/٢٣٢١٢٠٩١
- وسط وغرب الدلتا ٢٥٥ ش الجبل - طنطا ت: ٤٠/٣٣٢١٢٠٨٥
- شمال ووسط قبلي أرض سلطان - ش طه حسين - المنيا ت: ٨١/٣٣١١٢٠٨٥
- جنوب قبلي ١٤ عمارة مصر للتأمين طريق أسسوط - سموهات ت: ٩٣/٣٢٢١٧٤



مصر التأمين

البريد الإلكتروني: ٢٠٠٠/١٠٠٠/١٠٠٠



www.misrins.com
misrins@mistrins.com

فنى غصابة الفكرة .. الأسس

محمد المهدي

■ هناك أسطورة أفريقية تقول إن الأسد (البشائر) كان يستعرض قوته في كل مكان... وحينما لصا الحيوانات لا يجتمع دفع الإناثة اليومية لم يحضر الميل (العائل) الذي يحفظ سيرة الإنسان والأجيال عبر الزمان. ثار الأسد وقال: إذا كان الميل يخطأ بخرطومه فانا أستطيع أن ألعنه بقضمة واحدة... وإذا كان ممعيا ينقل فلانا فانا أستطيع أن أشله بلعنة من مخالبى. وإذا كان وثقا لخصامته فانا أستطيع أن أجرحه من ذيله إلى الأرض. تطورت الأحداث والتضيق الأسد والفيل، هجم الأسد على خرطوم الفيل بأذيابه فلم تنفرض في لحمه، وهجم على قدمه الضخمة بمخالبه فلم تصل (لا تلمس) جلده. وتقدم أخيرا إلى ذيل الفيل في محاولة لجرحه ولإلغائه فتحرك الفيل في وفار جرحه معه الأسد... فر الأسد لاصنا ساحتها. ضحكنا الحيوانات وتوقفن عن دفع الإناثة.

أهل أوروبا يشبهون علاقتهما بأمركا بعلاقة الأسد بالفيل. الصداقة القائمة في أمور السياسة والاقتصاد، أما الشكافة فهو موضوع آخر. يستعرض فيه الأسد الأمريكى، ويتولى الفيل الأوروبي، ولأن الصداقة لا يندى أن تستمر بينهما، ولأن القوة لا تحل عدسة الشكافة عند الأمريكى، لذلك لم أجد أمرين... إما الاستهانة أو الصخرة من المنجزات التى تذكر بأصول الأوروبي، أو خلق قاعدة ثقافية أو مبدأ فلسفى يناقش الواقع الحاضر تحت شعار البحث عن الحلول العملية، أو الاهتمام بالعلوم العملية التى باتت تحكم في قدرات العالم الحديث. وعقد النقص هذه هى التى جعلت الفيل الغربى (ديجول) يرفض الالتجاءات الأمريكية من السياسات الدبلوماسية، إلى شرة الأخبار الإنجليزية..

وكان يعتبر الإنجليزي في جزيرتهم ملحقين بالأمريكيين فلما أصورا على الانزلاق فى جزيرة تعتبر نفسها الأصل وأوروبا على الضرع. كان يعتبر الإنجليزي مصابين بعقدة العظمة. رفضوا الالتحاق بأوروبا، ولكن تحت شعار وهم المصطوفة الثقافية على أمريكا، فبقوا أن يكونوا ديلا لأمريكا. وكان تاريخ إنجلترا يدرس فى المدارس الأمريكية كمادة مستقلة إلى أواخر القرن ١٩ رغم مرور أكثر من مائة عام على استقلال أمريكا عن إنجلترا. وفى أوائل القرن العشرين بدأ الوعي القومى الأمريكى على تدريس التاريخ، وإن ظلت المصطوفة الثقافية لإنجلترا، إلى أن لجأ الأمريكى إلى الحلول الخاصة.

وهى الاستهانة بالماضى، أو خلق نسط خاص يعتمد فقط على الحاضر، وإن ظل الفيل الأوروبي متوقفاً وثقا. والاستهانة بالتاريخ أو محاولة التخلص من الماضى صاحبت بعض الثورات. الثورة الفرنسية أرادت التخلص من التاريخ السابق، وكذلك الثورة الروسية توعدت الأولى عن مرقفها، وانتهت دراسة التاريخ فى فرنسا إلى موضوعية جاءت فى تقرير عام ١٩٢٠ عن تدريس التاريخ يقول:

إن يكتب التاريخ بصيرة فى الحكم على امته نتيجة المقارنة أحوالها بأحوال غيرها من الدول. وإن يعلمه أن يولى الأمم الأخرى ما هى جديرة به من الاحترام، وأن يوسع أفقه العقلى، وأخيرا يوسع له عن طريق الملم بأحوال بلاده، وهدل العالم وأجابه كفرنسى وكإسبان، وعملت الدولة السوفيتية عن عزل التاريخ عن التلاميذ عام ١٩٣٣ وقبلت مبدأ الصوة لدراسة التاريخ وتدرسه بالتسلسل عوضا عن المجردات التى كانت تدرس من خلال علم الاجتماع.

وتعرض التاريخ لهزة أخرى أيام هتلر وموسولنى. وفى نفس العام الذى عادت فيه روسيا إلى التاريخ التسلسل عام ١٩٣٣، وإن هتلر منطقة قتلانا. إن الموضوعية هى أحد الأوهام العديدة التى تطوى عليها الليبرالية، إننا لا نعالج التاريخ مجردين عن الهوى، ولكننا سنعالجه كألمان. إننا لا نعينا المبرر للحقائق الموضوعية. إننا نكتب تاريخا للألمان. أما موسولنى فقد ألقى تدريس التاريخ من أمامه إلى حين كتابة التاريخ على الصورة الوبانية. وأصبحت هذه النتيجة كل الدكتاتوريات.

علم التاريخ كان دائما موضع نزاع، اعتبره البعض أبنا للعلوم. وأقدم العلوم.

والمناصب الرسمية، والسفراء ورجال التعليم. سجل النبوة التلفزيون، وعدة إذاعات، وعدد كبير من الصحفيين. ويكنى أن أذكر أن عدد القوف فقط فى القاعة بلغ ٢٠٠ مشاركا.

أدار النبوة المؤرخ المعروف (الان ديكو ALAIN DECAUX) وله سلسلة دراسات تاريخية هامة منشورة، أو لتلفزيون، ودرامية. كان السبب فى عقد النبوة، السبب المباشر الذى فجر الأزمة برامسا لتلفزيونيا أدنى من محطة أوروبا رقم (١) دار فيه حوار مع طلبة تتراوح أعمارها ما بين ١٢ إلى ١٥ حول معلومات أولية عن التاريخ الفرنسى.. سأل الدافع: هل تعرف من فى جان دارك؟ نعم... إنها امرأة كانت... لا أعرف. وحرب الجزال هل سمعت عنها؟ لا.

هل تعرف كانت ضد من؟ كانت الجزال ضد... لا أعرف. أذكر لنا معركة انتصر فيها نابليون؟

وتقول. ١٥١٥ ماذا يعنى لك هذا التاريخ؟ القرن الخامس عشر. وكما هو معروف (زمر) قرم فيها نابليون الهزيمة الساحقة، وعام ١٥١٥ دارت فيه معركة هامة انتصر فيها الفرنسيون بعد أن تسبب إلى النصر ١٥ كما ذكر الطالب، ولكن للفرن ١٦ كما هو واضح.

أثارت إجابات الطلبة الذعر وجرى التساؤل، ماذا حدث لسبوت تعليم التاريخ فى فرنسا ما معسر هذا الخلل؟ هل هو التسبب العام؟ هل هو إهمال التاريخ؟ وإذا كان له مصدر أو خلال الأنظمة الأمريكية فى التعليم القائم على الدمج والتبسيط، والعصميات والاختيار من متعدد أو تجاهل المواد النظرية لحساب المواد العملية.

بدأ النبوة (الان ديكو) بالحدث عن الاهتمام بالماد بالتاريخ، وكيف أنه نشر عام ١٩٦٢ مقالا حول تعليم التاريخ آثار ضجة لم يحدنها أى مقال آخر كتبه فى حياته. هذا الاهتمام بالماد بالتاريخ وتدرسه يجعلنا ننشبه لاهميتى فى وجدان العام. فالإتجاهات السياسية المعاصرة ما هى إلا حصيلة تراكمت تاريخية سابقة لا يمكن تجاهلها. وبالتالى لا يمكن أن تترك تدريس التاريخ لصدفة أو الفهم... وللاحظ أن التكمين ينتقل من المرحلة الأولى من التعليم إلى الثانية دون الوصول إلى

وقال آخرون إن ملاحظة حشرة وهى تتحرك تعطى من الحكمة أكثر مما يعطى التاريخ اليونانى والرومانى القديم. وتخوف منه البعض، أو احتسرس فى تدريسه، أو فى محاولة تزويد الأطفال كم الشبا بأحداثه. طالب البعض بجعله مادة حية يتولاها المؤرخ الخلاق، ووصلوا به إلى حد التركيب الدرامى، أو الروالى، كما يقدمه الآن الروالى أمين معلوف، أو الروالية رضوى عاشور. وفى الستينيات من القرن الماضى نشر عالم الرياضيات المعروف (برتراند راسل) بحثا مهما لا يعتبر فيه التاريخ علما بل فنا. على المؤرخ أن يقرأ ويقرأ كل ما تصل إليه معارفه حول الفترة المراد تقديمها، ثم يستبعد المصادر ويبدأ فى الكتابة معتمدا على إحياء وحيثيات الحدث التى نسجت خيوطه فى ذهنه.

التبسيط على الطريقة الأمريكية

وفى أبريل عام ١٩٨٠ دعيت لندوة هامة عقدها مجلة هستوريا (HISTORIA) الفرنسية فى باريس بمناسبة عيد المولد ٤٠٠ تحت عنوان (الفرنسيون وتعليم التاريخ). ودارت فى مجملها حول الصراع بين المزاج الأوروبي أو الفيل الأوروبي القوي، والمزاج الأمريكى أو الأسد الأمريكى التهور فى غاية الفكر الغربى. شارك فيها بالمناقشة تسعة علماء تاريخ، مع الشبون من وزراء التعليم السابقين (إدجار فور EDGAR FAURE) (ميشيل دبريه MICHEL DEBRE) تولى سابقا رئاسة الوزراء. مع مشاركة وزير التعليم آنذاك (كريستيان بولوك CHRISTIAN BEULLAC) (CHRISTIAN) وعده آخر كبير من رجال الفكر والثقافة.



بعد أحداث ١٩٦٨ ظهرت محاولتان ضد التاريخ. الأولى تقول بأنه لم يعد هناك ما يستحق العناية أو الرعاية فى التاريخ. والثانية تنادى بالتعديل أو إعفاء المراحل الأولى من دراسة التاريخ لصعوبة إدراك أهميته



الأمريكي والفيل الأوروبي!

في أوائل القرن العشرين بدأ الوعي القومي الأمريكي في تدريس التاريخ، إلى أن لجأ الأمريكيون إلى الحلول الخاصة، وهي الاستهانة بالماضي، أو خلق نمط خاص يعتمد فقط على الحاضر

تحديد واضح لأحداث التاريخ أو سنوات وقوعها، أو دور الشخصيات فيها، هذه الطريقة توقع التلميذ في محجرات ولا تربطه بالواقع ولا تثير أيضا خياله، وفي استفتاء أجرى حول أهمية تدريس التاريخ أقر ٨٢٪ بأهميته و ١٦٪ طلبوا أن تخصص له دراسة خاصة، ٢٧٪ طالبوا أن يكون مادة إجبارية إلى آخر مراحل التعليم، وفي النهاية تحمس ٢٧٪ لضرورة العناية الخاصة والتركيز على تدريس التاريخ لأن الأحداث الحالية وسطوة القطب الواحد ما هي إلا نتيجة لخطوات الماضي.

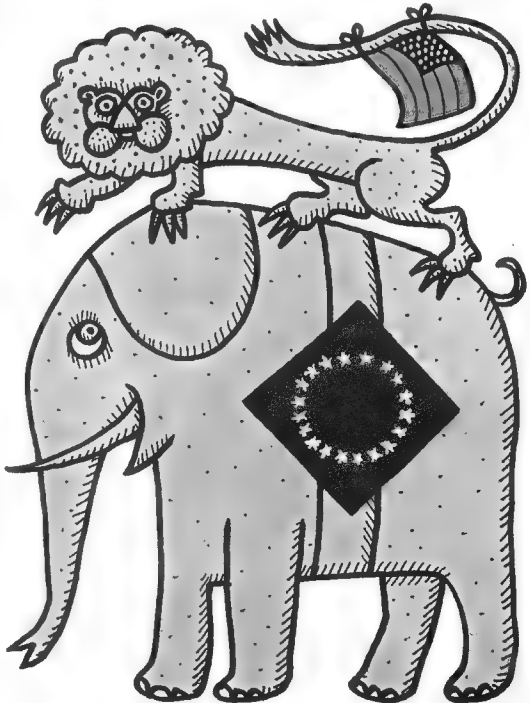
وعلى ميشيل دوريه في حديثه الذي تلى الآن ديكو فقال:

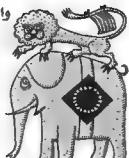
إننا لا ندرس بإمكانية المشاركة، نقدر ما نقوم باستدعاء المشاركة نفسها، هذه المشاركة تقوم بدور التثبيط فقط، يقصد الاهتمام بالجانب التجريدي دون الواقعي، وهذا يعني أن الطالب يخرج من المدرسة وليس لديه معلومات محددة عن تاريخه، وفي المراحل المتقدمة من التعليم لا يمرض الطالب التاريخ لحد ما مما يوقعه في الفسوس وعدم الاحساس بتتابع الأحداث، كما أننا نهمل التاريخ القومي لحساب الدعوة العالمية.

وبعد أحداث ١٩٦٨ (الاضطرابات الداخلية وترك ديجول الحكم) ظهرت محاولتان ضد التاريخ، الأولى تقول بأنه لم يعد هناك ما يستحق الصيانة أو الرعاية في التاريخ، والثانية تنادي بالتعديل أو إعفاء المراحل الأولى من دراسة التاريخ لصعوبة إدراك أهميته، ثم ظهرت دعوة جديدة تقول بأن المشاعر العامة تنجح الآن إلى العالمية، لذلك يجب طرح المواقف القومية جانباً، واعتبر (دوريه) أن هذه الدعوة هي الخطر الدعوات.

وتحدث (بيير جويبر PIERRE GOUBERT) أستاذ التاريخ في السربون فقال: إن ما حدث من تعديل في تدريس التاريخ أو دمج في مواد أخرى بدأ منذ عام ١٩٦٩. إن هذا الاتجاه هو الذي ألقى تدريس التاريخ في الواقع، وتمجيب من كيفية قبول تعديل تدريس التاريخ مع أنه لم يحدث بالتأييد في استفتاء أجرى منذ عشرة أعوام (من تاريخ عقد الدعوة) إلا بنسبة بين ١٠ أو ٢٠ فقط، ولكنه عاد ووضع يده على الحلة - كما ذكر - وهي الأخذ بالأنظمة الأمريكية التي استهانت بالتاريخ والتي صارت هي نفسها موضع مراجعة شديدة.

وقال البروفيسور (جان





يقول شوفونيون ماذا لو فقدنا الإحساس بقيمة التاريخ؟ أو غرقنا في ظُروف الحاضر؟ ليست هذه خطوات واضحة نحو (الأمركة) ..

أمركة التفكير الفرنسي



والله إني أديكو الجملة الأخيرة
لنفسه بالتفكير بكتاب (القياصرة
القادمون) لؤله أموري - د. رينكون.
فماذا عن هذا الكتاب ولبوسه
التاريخية؟

القياصرة القادمون

كتاب (القياصرة القادمون) صدر في
الستينيات من القرن الماضي، ويعتمد في
قراءته للتاريخ على فكرة الدوران أو صعود
الحضارات وهبوطها، ويستمد من التالى
النظرية المتعصرة الفائلة بأن حضارات
البشرية جميعا صبت في مضادة الحرب،
فهى القيمة هى النهاية (كما صورها فيما
يعد فوكوياما) وهى الإبداع المتكامل.
التاريخ في نظر (رينكون) لبضات تقيض
وتبنيص، والانقباض هو لحظة الإبداع،
ولحظة الانقباض هى إلفران للثقافة الأصلية،
ولحظة الانبساط هى لحظة توريخ هذه
الثقافة إلى أنحاء ومجىة وتحويلها إلى
حضارة. فالثقافة هى إلفران للثقافة الأصلية،
الفردية البديعة فى كافة الأنسطة
الإبداعية للإنسان، والحضارة لها صفة
الجمعية، والانتشار، والخصبة. المصلي.
ويطابق هذه القاعدة على صوب الأرض
البديعة قديمها وحديثها.

كيف أبدعت ثقافة؟ كيف تحولت إلى
حضارة؟ كيف بدعت؟
فى موضوع حديثنا يرى رينكون فى
أوروبا مثبلة واضحة لحضارة اليونان
القديمة، ويرى فى أمريكا مثبلة حضارة
الرومان القديمة. أوروبا عصر النهضة من
١٣ إلى ١٥ م أعادت ثقافة اليونان
بوصافات الإبداع وأيضاً القصص (تجرع
عادة رينيسانس رينيسانس RENAISSANCE
بنوضه وترجمتها الثقبة التى تصحح
عن مغزاها هو إعادة الميلاد، والمقصود
إعادة ميلاد الحضارة اليونانية) وتظهر
أمريكا وتطورها كجوهراً أعاد دور اليونان
قديما هى مفهوم دينى، علمى، فسكى.
ويستمر فى قرأته للتاريخ فى يرى أن
استمراره هذه الحضارة بنفس الأوصاف
الديمية سيئته إلى نفس المصير.
القياصرة ثم العنكياتورية. وأهلبان
الإمبراطورية الجديدة أى
أمريكا بيد فريد ميسنى أفيديا ونهيديا
للعالم. لأن قيصر الجديد يتحكم فى قوة
مستمره مدخله المجد على رؤوس الجميع.
والصديق.

كانت بلاد اليونان مزدهرة قبل ميلاد
المسيح بـ ٧٠٠ سنة، ديانات وأدياناً
بعد ميلاد المسيح بألف عام. وكما أعطت
اليونان إبداعاً عسى يبد
(يوزيديوس وسفوكليس، وستروفا)

الاهتمام بالحاضر أو الجنالى. الانعزال أو
الحلية يتهران الذعر. ولكن تحقيق
الذات شيء لا يختلف عليه أحد.... إذن
لماذا لا يسمى الطالبا لتحقيق ذاته عبر
تاريخه، كمثل ما يحاول تحقيق ذاته عبر
فريق كرة القدم؟ الخطوات الطبيعية هى
تقسيم من المعرفة الأقل، إلى المعرفة
الأكثر. ولكن يجب الاحتراز من
تبسيص التاريخ. النتيجة الطبيعية
لذلك هى نفور الطالب من هذه المادة
فى المستوى العام. وفى مستوى القوى
الوطنية.

وتحدث (إيجار فور) - وزير التعليم
السابق فوضع للتاريخ ثلاث سمات هى:
الاهتمام فى أدوات البحث، وتمنية
قدرة النقد خاصة نقد الجنورففسها. هنا
يأتى دور الأرشيف والمكتبة، والوثائق
الصورة الحية.

التاريخ يعتمد على قاعدة فنيها
الماضى، ومعرفة الماضى مهمة فى إدراك
أبعاد الحاضر. الماضى لا يعطينا تركيب
جاذبة قابلة للتطبيق. إنه يعطينا إدراكاً
معقلاً للحاضر بوعى.

التاريخ يشكل شخصية الفرد.
يؤهم بداتكة إضافية، إننا نمش فى عصر
أصاب الفرد بالخلل، ويستطيع
التاريخ أن يعيد توازنه. وأدركم بقول
الفيلسوف جان كلاكوا - حقيقة التفكير
(الماضى) هى بما تعد (فى المستقبل) ..
انتهت التمدد بحيث كريسنان بولاك،
وزير التعليم آنذاك) تعرض فيه
للمشاكل المعلمين من زيادة عدد التلاميذ
وقلة مدرسى التاريخ. وأعلن عدة قرارات
الخذه بناء على ما وضعته آنذاك. فبدأ
من مناقشة دور التاريخ فى التربية
القومية، إلى ما يجمل الأزمة آنذاك.
والتى استمرت وأحدثت الآن... وهى
ضرورة التوازن بين ميراث تاريخ يجب
الحفاظ عليه، وحاضر سياسى يكاد
يفرض التقييد للتاريخ.

ظروف الحاضر أو الجنالى. الانعزال أو
الحلية يتهران الذعر. ولكن تحقيق
الذات شيء لا يختلف عليه أحد.... إذن
لماذا لا يسمى الطالبا لتحقيق ذاته عبر
تاريخه، كمثل ما يحاول تحقيق ذاته عبر
فريق كرة القدم؟ الخطوات الطبيعية هى
تقسيم من المعرفة الأقل، إلى المعرفة
الأكثر. ولكن يجب الاحتراز من
تبسيص التاريخ. النتيجة الطبيعية
لذلك هى نفور الطالب من هذه المادة
فى المستوى العام. وفى مستوى القوى
الوطنية.

هنا قال مقدم الندوة (الآن ديكو) إنه
تلقى تعليقات مكتوبة بعضها يقول أن
دعوة لإلغاء التاريخ مضارة شيوعية. وقالت
تلميحات أخرى (لها مضارة أمريكية.
وقالت ثالثة إنها مؤامرة جيسكاردية
(نسبة إلى جيسكار ديستان).

وتحدث البروفيسور (إيمانويل لو روى
LADURIE) فى الكوليدى دى هراسن
فقال:

إن القضية فى رأيه ليست
سياسية. إن الذاكرة لا تصب بالثورية أو
الرجعية، إنها التفكير بطريقة جمعية
لما تلتقى إليه. التاريخ تلتاق أجيال ومن
المهم معرفة الأزمات التى مرت بها
الأجيال من قرن لآخر. إن الطالبون
الأسود الذى مر بأوروبا عام ١٩١٨ لأجد
بالاهتمام فى أمهاده من معركة مارينان
عام ١٥١٥ (انتصر فيها فرانسو الأول على
السيورسيز). وفى تدريس التاريخ لا
يجب ترك جانب لحساب الآخر. التاريخ
أحداث وشخصيات وتواريخ وظواهر
اجتماعية. إن الطالب لديه الاستعداد
لاهتمام بـ ١٤ بقدر ما لديه
الاستعداد لمعرفة أحوال الفلاح فى
عصره. إن التعارض هنا صطنع.
الاساطير اليونانية والرومانية تثير
فضول الطفل، وفى سن الثانية عشرة
يصير أكثر اهتماماً بالبطولات
والشخصيات الكبيرة، ولا يؤثر هذا من
يصور البعض على تفكيره فى سن
الثلاثين فيصير فاشستها. وفى سن
الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة يبدأ فى

تيلار (JEANTULARD) المتخصص فى
المرحلة الثانوية، فى التاريخ فى
مراحل التعليم يجب أن يعتمد على
التسجيل المحدد. واللاحظ أن بعض
الأراء العربية التى وردت عند بعض
المؤرخين ما يزال لها صدق فى مراحل
التعليم، أو أنها أصابت بعض الأحداث
التاريخية بالسيونية. فكيف يمكن قبول
قول المؤرخ (لافيس LAVISSE) ... (فى
ملكية يوليوس زاد عدد العمال، وبالتالي
صاروا أكثر استقراراً). أو قوله (بعد عام
١٨٤٨ بدأت الماسى العالمية، وبالتالي فإن
أسباب الثورات الهامة فى بعض الأحيان
ليست لها صلة بأياهاها هذه). وإذا كانت
بعض الأحداث الطبيعية أو الشخصيات
الكبيرة لم تصنع وقوع الوبس أو الماسى
التاريخية، فإن الواجب يقتضى الحرص
على عدم تجميد المعاهيم فى أذهان
الطلبة. وكيف نتوقع أن يفهم التلاميذ
هذه العبارة (إن الأفان كانوا يباعون مع
الأرض فى القرن ١٣) ما لم تكن هناك
معلومات تشرح نظام الرقيق فى القرن
١٣. إن الضاعدة يجب أن تسمى حتى
تشرح أهمية فى المرحلة الحديثة
الأنوى.

نحو الأمركة

وتحدث النائب الاشتراكى (جان بيير
شوفونيون JEAN PIERRE
CHEVENEMENT) عن حجج الناعين
إلى إلغاء التاريخ قائلا: أولاً الاهتمام
بتدريس التكنولوجيا المصرية، لأنها;
الانتفا ودراسة العلوم الاجتماعية مع
التاريخ. ثانياً: قللة عدد المتخرجين من
الفرور النظرية فى التاريخ، فى عام ١٩٧٢
كان هناك ٢٢٥ تخصصاً عالمياً فى التاريخ.
فى عام ١٩٧٩ تقلص العدد إلى ٤٨ فقط.
ناقش الناصح من زاوية سياسية فقال: إن
محاولة تقليص التاريخ القومى لحساب
التاريخ العالمى أو الاقتصاد العالمى هو فى
الحقيقة محاولة رأسمالية أكثر منها
دولية. هذه المحاولة التى تغطي أولوية
لأحداث المعاصرة أو اللغة العالمية لا
يفيدها لا مرفق سياسى حازم يستقيم
به التاريخ الفرنسى على صفات الكبر.
الفرنسية. هذه المحاولة إلفاقا الدائبة
صب الأفراد فى قوالب مكررة تحت شعار
ثقافة حديثة فى محاولة تسمى لصحة
قل على خلاف ما تدعو إليه من عالمية
فى الطاهر.

وتسالم النائب: ماذا لو ارتبطت فكرة
إلغاء التاريخ بسياسة إلفكيره؟
يقول شوفونيون: ماذا لو فخذنا
الإحساس بقيمة التاريخ؟ أو غرقنا فى

۵۱ وصحات فضل

تناول الأبناء أجدادهم بالنقد والتشريح، وربما بالاستهانة، أو الاحتقار فقال (جون آدمز) الرئيس الثاني لأمريكا (يجب على أولادى أن يدرسوا الرياضيات والفلسفة والجغرافيا، والتاريخ الطبيعى والبحرية، ليعطوا لثقافتهم حق دراسة النصب، الشعر، الموسيقى، العمارة،



كتاب الزاوية



رجل

عبقرية محمد

عالم يتطلع إلى نبي.. وأمة تتطلع إلى نبي، ومدينة تتطلع إلى نبي، وقبيلة وبيت وأبوان أصلع ما يكونان لإنجاب ذلك النبي.

ثم ما هو ذا رجل لا يشركه رجل آخر في صفاته ومقدماته، ولا يدانيه رجل آخر في مناقبه الفضلى التي هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة في المدينة.. وفي الجزيرة، وفي العالم بأسره.

نبيل عريق النسب وليس بالوضع الخامل، فيصغر قدره في أمة الأنساب والأحساب..

فقير.. وليس بالفنى المترف فيطفيه بأس النبلاء والأغنياء، ويقلق قلبه ما يقلق القلوب من جمش القوة واليسار.

يتيم بين رحماء.. فليس هو بالمدلل الذي يقتل فيه التذليل ملكة الجد والإرادة والاستقلال، وليس هو بالمهجور المنبوذ الذي تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح، وفضيلة العطف على الآخرين.

خبير بكل ما يختاره العرب من ضروب العيش في البادية والحاضرة، تربى في الصحراء وألف المدينة، ورعى القطعان واشتغل بالتجارة وشهد الحروب والأحلاف، وأقرب من السراة ولم يتعد عن الفقراء.

فهو خلاصة الكفاية العربية في خير ما تكون عليه الكفاية العربية..

أصلح رجل من أصلح بيت في أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة، على غير علم من الدنيا التي ترقبها..

كانت سيطرة المرأة الأمريكية بطبيعتها المحافظة، وكانت في المجتمع الروماني قد غزت عالم السياسة، شهدت المؤتمرات وأخذت من الحرية ما يعادل الرجل. وتحدثت حوات المطلق بشكل فاضح واهتزت سلطة رب الأسرة الاستبدادي. وكان الزوج الخنوع المستسلم لزوجته قد غدا هملًا شخصية مألوفة مبتدئة في المسرحيات الهزلية.

وفي مجال الإبداع الأدبي والفني لم تكن روما كما لم تكن أمريكا، إلا تقليدا وإنتاجا ضخما بالجملة، وتنمية لا تم إبداعه في أوروبا. ولما كان المجتمع الأمريكي يسما يسوى بين الجميع دون اليخ من الأصل، مع حسابته بالكوم دون الكيف، لذلك ارتفع شأن النول، وأصبح مقياس النجاح، فدخلك هو الذي يحدد اقتراكك أو ابتعادك من الناس، من هنا كان زيف استقلالية المرأة، فهي استقلالية موهونة بقهرتها الحالية وليس مساواتها كإنسان بالرجل. من هنا كانت مأساة من الشيوخوخة أو المعاشي.. فهي تمنى عجز الإنسان عن العمل، أو عدم قيمته لأنه لم يدرج من صفاته على ما يعرف بالحياة الثقافية كالأوروبي واعتبراها جزءا مكمل لحياة. وكان الرومان يمتدحون الشيوخوخة والحجز مهولة، واستقرت عندهم فكرة احترام كبار السن، وجعلوا لذلك موضعا ميمنا.

وكما حاول الرومان بقتل قيصر إعادة الجمهورية ولكنهم فشلوا... حاول الأمريكيون بعد رؤوفات الحد من سلطان الرئيس. ولكن كانت المشكلة ليست رغبة الرئيس في السلطة، بقدر ما كانت رغبة الناخب في التكال على السلطة التي تحقق له ذاته دون تعديل أو نقد. لقد بدأت القصة بدعوة المساواة بين جماعة مهاجرة ترفض أن تسكن من أشكال السلطة التقليدية إلا سلطان القدرة على العمل والإنتاج.. وكان الإيمان في المساواة فيما بينهم معناه إضعاف الترح الهرمي، وإضعاف التدرج الهرمي أضف بدوره السلطة الرقابية المتخصصة (الكونجرس). وأضاف الكونجرس معناه الاعتماد على الصلة المباشرة بين الرئيس والجمهور... والتكامل على السلطة التي

السلطة عند الفرد الحاكم... ويمنى ازدياد سلطة الرئيس الأمريكي، ازدياد سلطة القائد العام الذي يتحكم في قوة يمكن أن تدمر العالم. وتأسيسا على ما ذكره (رينكون)... تكون المأساة حينما يصل إلى القيصرية الأمريكية شخصية ضعيفة، وألأسوا أن يصل إليها شخصية نافذة.

وقبل وصول (روزفالد ريجان) إلى السلطة عام ١٩٨٠ كان الحديث يجري بشكل تلقائي عن نفاثته.. يلهو بالقطارات، يصحب بنفسه على شاشة التلفزيون، يجهل كل ما يجري في العالم الخارجي، تكتب له الخطبة القصيرة، يشهر من التصرحات السريعة يدهش من حوله إذا تورط في تعليق، يطلق (بوب هوب) عليه النكات، وعلق الممثل (الراحل مارلون براندو) على انتخاذه قائلا... إنني أعرفه تماما وأعرف محدودية ثقافته فهو لا يعرف كيف يفرق بين الضفدع على زر الإضاءة، والزر النوبي.

البيت نفس الصورة التي قدمت من (بوش) الأب عند انتخابه وتأكدت بصورة أكثر وضوحا من بوش الابن؟ ونعود لكتاب (القيصرية القادمون) فزاره يقول أن لدى الأمريكي ذرة ضئيلة، ولكنها لا تظهر في صورة جماعية لتزعمته الفردية. وهي ذرة لا ترفض في الوقت نفسه الدخول في قالب الجماعة، أو قبول القيصرية... الأمريكي يطلب المساواة، ويريد في الوقت نفسه واحد منهم، ليس بأفصلهم يتولى المسؤولية... يسخرن منه وينادونه باسمه، ويستبشرون بانتصاراته كاستنائه الرومان بأبطالهم.

يريد الرئيس موقفا بامتيازات خاصة في مقابل تحمل الأعباء، ولكنه لا يقطن إلى أن فكرة الائتلاف تؤدي إلى زيادة نفوذه على الجميع، وإذا زاد نفوذه أصبح من الصعب انتزاعه، وقد يطالب الجميع أنفسهم ببقائه، وتكون هذه قمة القيصرية... نوعا من التكال الجماعة على الفرد تيسل المشاكل، ويأتى بالترياق، لتكسب لا يدرنكون أنه قد يأتي أيضا بكارثة.

ولكلها دلائل تشير إلى أن نبوءة (رينكون) في كتابه قد تحققت. ونعود لنسوة (ديكو) حول الدعوة الأمريكية لإلغاء التاريخ، مقرونة بفكرة صراع الفيل الأوروبي مع الأسد الأمريكي، أو النموذج الأوروبي الهيليني مع النموذج الأمريكي الروماني.

قد تخدعنا الوقائع الأخيرة من مصالحة بينهما بعد مؤتمر الثمانية، أو بعد احتفالات مرور ٦٠ عاما على تحرير أمريكا لغربنا أو لأوروبا بكاملها من الحكم الهتلري، وقد شارك في الاحتفالات الثاني نصها. المصالح لن تنم بين أوروبا وأمريكا.

إنه قدر تاريخي، إنها إمالة فقط لمدى العرض... القصة مكروية ولأن التاريخ لا يبعد نفسه، فإنها أيضا عبثة متسببة.. وهذه حكمة حضارية. ■

دار الشروق

تتوفايق الحكيمة

الأخلاق الكسابة



الأخلاق الكسابة

عولمة فضائية.. التلفزة عابرة

جان شابي



القنوات مجموعة من حوالي ١٥ قناة حققت مكانة عالية تعود إلى اتساع انتشارها أو طبيعة محتواها.

من بين تلك النخبة أول قناة عابرة للحدود انطلقت ولاتزال تعمل وهي قناة تي في ٥ (فرانكوفونية) التي تديرها قنوات عامة من فرنسا، بلجيكا، وسويسرا. صنعت هذه القناة التاريخ عندما بدأت البث إلى أوروبا عام ١٩٨٤ عبر القمر الصناعي 2Fi أول الأقمار الصناعية الأوروبية. في العام التالي بدأت شبكة أخبار إن إن CNN الأمريكية بها إلى عموم أوروبا، وتبعها قناة إم تي في في عام ١٩٨٧. في عام ١٩٨٩ انطلقت شبكات قنوات، ديسكفري Discovery، شبكة التسميات الوثائقية الأمريكية، يورو سبور Eurosport، القناة الرياضية التي أطلقها EBU اتحاد الإذاعات الأوروبية، إلى عموم أوروبا، وقناة SKY الإخبارية BSKYB،

كاتب هذا المقال باحث أكاديمي ومحاضر دائم في قسم الاجتماع - جامعة سيتي البريطانية - في لندن. والمقال دراسة تبحث العلاقة بين شبكات التلفزة العالمية، عابرة الحدود القومية، وإجراءات العولمة وتشكيل النظام العالمي الجديد وإلباسه الزى السائد (الموضة). وتستند الدراسة إلى عشرات المراجع والمؤلفات والإحصاءات الصادرة عالمياً منذ منتصف الثمانينيات وحتى عام ٢٠٠٢. وتستفيد من ٤٠ مقابلة شخصية أجراها الباحث على مدار سنتين مع قيادات تنفيذية عاملة في شبكات التلفزة العالمية.

الحدود

■ حققت قنوات التلفزة عابرة الحدود، خلال العقدين الماضيين، تطوراً ملحوظاً عبر العالم: هي جنوب آسيا تحدث شبكات تلفزة مثل ستار تي في Star TV وزوي، Zee، إذاعات الدولة نجاح وفتحت أبواب سوق التلفزة. وفي الشرق الأوسط، رفعت قنوات فضائية مثل إم بي سي MBC مستوى التغطية الإخبارية وأثارت الصوت المستقل لقناة الجزيرة قلق الحكومات. وفي أمريكا الشمالية وأوروبا، أحدثت إن إن CNN، على سبيل المثال، تحولاً في التغطية الإخبارية العالمية وتدفق أخبار الكون.

لقد كان لقنوات التلفزة عابرة الحدود انعكاسات متبينة في العديد من أسواق الإعلام لكنها طرحت في تطورها قضايا مهمة تتعلق بالعولمة. قدمت صيغة لتلفزيونية غير مناطقية في ملامحها الرئيسية وتختلف عن الصيغة الخاصة بالقنوات القومية. كما أن



الموجهة إلى عموم الإقليم الأوروبي. في عام ١٩٩١ انطلقت آر تي Arte وفق معاهدة فرنسية ألمانية بإشاعة قناة ثقافية. وفي عام ١٩٩٢ بدأت يورونيوز Euronews ١١ عضو (من ضمنها إن EBU، وتبعها شبكة أفلام وبرامج، كارتون رسوم متحركة، قناة للأطفال تدار من قبل نظام تلفزيون الإذاعة. وفي عام ١٩٩٥ بدأت BBC بها الأولى إلى عموم أوروبا عبر بي بي سي برايم BBC Prime. وهي قناة تلفزيونية، وبسبب بي بي سي ورلد BBC World، القناة الإخبارية. في العام نفسه بدأت CNBC، قناة أخبار المال والأعمال، بها إلى أوروبا، وتبعها، عام ١٩٩٦ قناة بلومبيرج Bloomberg، شركة معلومات التمويل التي تتخذ من نيويورك مقراً لها. وفي العام نفسه بدأت فوكس كيدز Fox Kids، قناة الأطفال، عملياتها الأوروبية. وانطلقت قناة ناشيونال جيوغرافيك National Geographic إرسالها من لندن في عام ١٩٩٧.

وعبر السنوات، خاضعت هذه القنوات من توزيعها ومحتوى معظمها لعمليات لعل أوروبا. وبين عامي ١٩٩٧ و٢٠٠٢ ارتفع معدل توزيعها من ٣٣.٢ إلى ٤٣.٢ مليون جهاز استقبال عبر الإقليم. حققت بذلك نسبة نمو قدرها ٤٣.٢ بالمائة على مدار

Port. وهناك تجارب عمرها قصير إذاعات عامة تشمل تي في يورو TV Eurp التي أطلقتها الـ BBC، هيئة الإذاعة البريطانية، وأوروبا تي في Europe TV التي أطلقها EBU، اتحاد الإذاعات الأوروبية.

ما يسمى بالمرحلة الثانية بدأ منتصف التسعينيات عندما تحسنت في أوروبا اتفاق التلفزة عابرة الحدود، بشكل ملحوظ. في ذلك الوقت كانت صناعة التلفزة قد نضجت وتوحدت، القادمون الجدد، مثل ديليو إنش سميت التي حاولت دخول صناعة التلفزة من طريق عموم أوروبا، المسحور من السوق. والإذاعات جيدة التأسيس، التي أسست تقدير صمودها التلفزة العالمية تراجعت إلى حدود أوطانها أو طورت مشاريع جديدة. وخلال تلك الفترة تطورت قنوات التلفزة عابرة الحدود بثبات واتسع عددها من ١٥ قناة في عام ١٩٩١ إلى ما يقدر بـ ١٠٨ قنوات في عام ٢٠٠٠. رغم المنافسة الشديدة من العديد من القنوات القومية (الكل "السليكة"، والفضائية) تخصصت معظم القنوات عابرة الحدود في نوعيات ملائمة من البرامج تتراوح ما بين نوعيات الأطفال والأفلام السينمائية والرياضة. من بين هذه

تتخطى تلك الحدود. ويحلل القسم الثالث إسهام هذه القنوات التلفزيونية في إجراءات العولمة على أربعة محاور رئيسية: للأنشطة، الإعلام، الموسيقى، السياسة، والتمويل.

مرحلة الانطلاق

هناك فترتان بارزتان في تاريخ التلفزة عابرة الحدود. الفترة الأولى من المرحلة الاستهلاكية والتي اعتمدت من بداية الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات، وخلالها خاضت صناعة التلفزة تجارب لنماذج متعددة، وعانت القنوات عابرة الحدود من صعوبات، ولم تستمر معظم القنوات التي انطلقت خلال تلك الفترة لأكثر من بضعة أعوام. من بين تلك القنوات قناة سوبر Super Channel، التي بدأت عبر شركتين: أي تي في ITV وفيرجن Virgin، النسخة الأوروبية لقناة سكاي Sky التي تمتلكها مجموعة ميرود للصحافة العالمية، إضافة إلى قناتين متخصصتين: أوليتهما ديليو إنش سميت WH Smith، دار التوزيع البريطانية، وهما: لايف ستايل Life style وسكرين روت Screen

تغطيها عابرة الحدود، وجميعها موزعة على عمليات وكذلك عمليات إنتاجها العالي، كل ذلك جعلها تنسج العلاقة ما بين الإرسال والنوثة. الأما. لم تكيف التلفزة عابرة الحدود بسهولة مع العولمة، لكنها ساعدت في إلباس النظام العالمي الجديد الزى السائد (الموضة). ساعدت هذه القنوات إجراءات العولمة بأن شكلت مناطق تعدت تبعد الثقافة والتمويل والسياسة. حققت إضافات على صعيد تدفق المعلومات، وقدمت شبكات اتصال ونظم تبادل تقود إلى إحداث عمليات دمج على نطاق عالمي.

يلحق القسم الأول، من الدراسة، تطور التلفزة متخفية الحدود القومية. في أوروبا على مدار العقدين الماضيين. ويقدم القسم الثاني شرحاً لكيفية اختلاف التلفزة عابرة الحدود عن التلفزة القومية، وتطورها لتصبح إذاعية

عن: الجريدة العالمية للدراسات الإعلامية
The International Journal for
Communication Studies

ترجمة: جمال إسماعيل

الحدود والنظم العالمى الجديد

التوقيت المحلى لضمان استمرار بث الأخبار والموايد التسميلية وشراط الموسيقى والفديو. لقد تم قبلى البث التليزيونى على مدار ٢٤ ساعة من أجل عرض اساليب حياة بشر يعيشون فى مراكز كونية مثل لندن وليويروك ويعملون بالليل والنهار. وتسمح التغذية المستمرة للإذاعات العالمية بعبور مناطق الزمن بأسلوب أكثر جودة. لا يوجد اختلاف يذكر بين برامج

أسواق التلفزة الأوروبية لكنها تصل إلى ما لا يقل عن ٣٠ منطقة. وتقدم فوكس كيز وورسويتون تغطيات أكثر اتساعاً وتبثان على ٥٦ و ٥٥ منطقة، على التوالي، وأكثر من ١٥ لغة مختلفة. المجموعة الثالثة من شبكات التلفزة العابرة الحدود تبت داخل أوروبا وعبر العالم. ويعد نظام تقنية بها إلى عموم أوروبا جزءاً من تغطية كونية تتضمن أرض الشرق الأوسط، جنوب آسيا، آسيا الباسيفيكية، الأمريكتين، وأحياناً أفريقيا. ثمانى شبكات حققت هذا الإنجاز من بينها إم تي فى MTV وسى إن إن CNN وديسكفرى Discovery، وأصبحت متاحة فى أكثر من ١٥٠ دولة (انظر الجدول رقم ٢). تستخدم هذه الشبكات إلى يصل إلى

علاماتها التجارية عالمية. ويؤسس المزور الذى لعبته هذه الشبكات فى تسهيل التجارة العالمية لأول اتصال بالعقولة. ولكن هناك عوامل أخرى كثيرة جعلت منها الجزء المتمم لإجراءات العقولة.

تلفزة لا ترتبط ببارش

لشبكات التلفزة العابرة الحدود علاقة بالزمان والمكان تختلف كلية عن تلك التى لتقنوات التلفزة المرتبطة ببارش. وتقليدياً ارتبطت التلفزة بحدود الأرض القومية. كما ارتبط التمويل، وخاصة فى إذاعات الخدمة العامة، بالشاهد الداخلي. شبكات التلفزة العابرة الحدود تحبت تلك العلاقة الثابتة بين التلفزة والدولة، الأمة، وأصبحت تصل إلى مشاهدين عبر الحدود. ولتحقيق هذا الوصول، يمكن تمييز ثلاثة أنماط من

الفترة المشار إليها (انظر الجدول رقم ١). وأقل توزيع لـ ١٦ قناة للذات تبت إلى كل أوروبا بلغ فى عام ٢٠٠٢ أكثر من ضعف حجم التوزيع فى أسواق التلفزة القومية الأوروبية عدا ألمانيا. ففي عام ٢٠٠١ كان هناك ٢١.٧ مليون جهاز استقبال منزلى فى إيطاليا، ٩.٢٢ مليون فى فرنسا ٢٥ مليون فى بريطانيا، و ٣٧.١ مليون فى ألمانيا. وتشير تقديرات إلى وجود ٣٣ مليون جهاز تليفزيون منزلى فى أوروبا (بما إلى ذلك دول شرق أوروبا) بينها ١٠٧ ملايين منزلة بإمكانية الدخول إلى قنوات الكبل، والأقمار الصناعية. وهكذا تكون قنوات عموم أوروبا تبت براسمها إلى خمس أجهزة الاستقبال المنزلية فى كل أوروبا وما يقرب من نصف عدد الأجهزة المرتبطة بالكبل والأقمار الصناعية. ويعد سنوات من نقص الموارد المالية، تظهر معظم القنوات العابرة الحدود، حالياً، هوية معقولة إلى الاستثمار، كبرت عائدات



١٠٠

ثمانى محطات تغذية متناثرة لتغطية الكرة الأرضية. ولدى CNN العالمية و٦٧.٥ و ٨ محطات محلية، على التوالي، وبعثت اتفاقيات توزيع شاملة. وتستخدم TV5 ٢٩ قناة عبر ١٠ أقاليم ٥٠٠٠ شبكة كبل، وكسكية، عبر العالم. سى إن إن CNN الدولية فى تسمتج، تكتيك، من ٢٣ قمر صناعي لتغطية العالم. وبإطلاقها فى عام ١٩٨٥ كانت أول قناة كونية عندما أصبحت متاحة عبر العالم ٢٤ ساعة فى اليوم. وفى أغسطس عام ١٩٩٨، وعبر قمر صناعى سوفيتى، وصلت إلى أفريقيا، الشرق الأوسط، شبه القارة الهندية، وجنوب شرق آسيا.

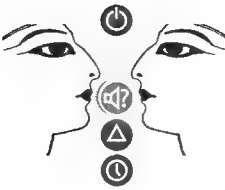
شبكات التلفزة العابرة الحدود اقل ارتباطاً من التلفزة القومية بالتوقيت المحدد. تعتمد برامج التلفزة القومية على توقيتات الشاهد فى منطقة بعينها. وتتصلط ما بين ساعات النهار وبرامج وقتها الأولى وإعادة البث والعروض المالية قليلة التكلفة. وقد تكيف الإذاعات الكونية ببرامجها حسب التوقيتات المحلية لكنها تراسى فى الأساس، بترابها ببارش ساعتين بعد

التغطية، وأحدة متعددة المناطق، وأخرى لعموم الإقليم، والثالثة كونية. القنوات متعددة المناطق تبت - على الأغلب، فى منطقتين أو ست مناطق. وقد سارت محطات البث على هذا النموذج لتأهلاً لتلك مصادر نشرتها على مستوى عموم الإقليم أو تخشى عدم توافر مصنعات وموارد كافية لتغطية أوسع. الأمثلة على ذلك تشمل آر تى آر، القناة الثقافية الرفيعة المستوى التى انطلقت ببناء على معاهدة وقعت فى الثمانى من أكتوبر عام ١٩٩٠ بين فرنسا وألمانيا. تحاول آر تى توسيع استقباليها عالمياً لكن توريها يظل مركزة فى أربع دول: فرنسا، ألمانيا، بلجيكا، وسويسرا. فى فرنسا يتم البث عبر اقناة الأرضية الخاصة، من الساعة مساء وحتى الثالثة صباحاً، وهذا يسمح لإرسالها بالوصول إلى ٢.٨ فى المائة من حصص المشاهدين، وهذه نسبة عالية لقناة عابرة الحدود. قنوات عموم أوروبا تغطى كل أوروبا، وتشمل يورو نيوز Euronews، يورو سبور Eurosport (التي تدار الآن بواسطة TFI، الإذاعة التجارية الفرنسية)، Mezzo، قناة الموسيقى الكلاسيكية، وفوكس كيز Fox Kids. هذه القنوات لا تتوافر فى كل سوق من

التوزيع واتسعت إمكانيات جذب الإعلان. كانت قيمة سوق الإعلان الأوروبية قدرت بـ ٣١.٤ مليون يورو عام ١٩٩٨. بعد أربعة عشر عاماً ارتفعت هذه القيمة إلى ٦٢.٨ مليون يورو، بزيادة ٩٠ ضعف. هذا التوسع يأتى بإيجابية مع تئاسى إجمالى الإنفاق على الإعلان فى أوروبا خلال فترة مشابهة (المرمى فيها من ١١.٩ بليون يورو عام ١٩٩١، إلى ٢٩.٥ بليون يورو عام ٢٠٠٠ بزيادة ٢.٥ ضعف، وفى بداية التسعينيات كتب ريتشارد كوكينز يقول: «إن المشاهدين عبر الحدود لا يهتمون إلا بقلة من المعلنين نظراً لقلة ما يباع عالمياً من سلع، اليوم نرى تزايداً فى مبيعات أعداد متنامية من المعلنين على شاشات قنوات عموم أوروبا لا يعبون عالميون مثل نوكيا، فودافون، أبل، الهند الصينى، وبيوتريسمال ميوزيك. وتتيح الحملات الإعلانية عابرة الحدود لهذه الشركات أن تحقق رسالة متشابهة ثابتة للعلامات التجارية لمتجانيها على مستوى إقليمي يضمن تئاسى العلم بها ويضعها فى تريباط ٣ أسواق الإقليم. لقد قدمت شبكات التلفزة العابرة الحدود، إلى الشركات متعددة الجنسيات الصناعية إلى توسيع مبيعاتها فى الخارج، ساعة عرض نموذجية جعلت

BBC العالمية أو ديسكفرى فى الساعة الثالثة صباحاً، والثالثة مساء، فى أى بقعة فى العالم. لكن عمليات البث ٢٤ ساعة فى شبكات الأخبار العالمية تسمح تغطية أنية تقدم. وتستطيع سى إن إن وى بى سى تغطية أزمات العالم وصراعاته مثل حدوثها. بينما تقدم CNBC وبيوميرج التقارير المتتابعة عن أسواق المال الكونية. واللائق أن CNN صنعت الذروة خلال حرب الخليج لما قدمته من تقارير أنية، على مدار الساعة كل يوم من موقع الأحداث.

وتستند القنوات العابرة الحدود، فى اختلافها عن التلفزة القومية إلى أسس مقادها أنها تقدم شكلاً من البث لا يرتبط بأرضي. مشاهدون من جنسيات متعددة، والتغطية تمتد عبر الحدود، والبرامج صممت كي تعبر مناطق التوقيتات. تتكيف هذه القنوات مع طبيعة العصر بنفس العلاقة بين المكان والتلفزة التى تجلب. تقليدياً، عبر تاريخ الإذاعة، وتصيب عمليات المصح



تحتوي على عناوين مثل Batman
والرجل العنكبوت، توم وجيري،
وFlintstones أحجار الصوت.

موسيقى كوكبية

تشتهر صناعة الموسيقى العالمية بأنها صناعة «مغلقة»، إذ تسيطر عليها حفنة من الشركات مثل BMG، مجموعة شركات بيرتلسمان للموسيقى، EMI، مجموعة وارنر للموسيقى، سوني للمنوعات الموسيقية، ويونيفرسال الموسيقية هذه الشركات تسيطر على ٨٠ بالمائة من مبيعات التسجيلات عالمياً وتمتلك أهم التسجيلات ويعيش في متجحات هذه الشركات أشهر الفنانين العالميين. وخلال أقل من عقدين أصبحت MTV آخر أثير متغيراً داخل هذا الحقل.

بدأت إم إم تي في، بها داخل الولايات المتحدة عام ١٩٨١. وفي عام ١٩٨٧ أطلقت أول قناة لعموم الإقليم في أوروبا، وبدايةً بها إلى أمريكا اللاتينية على يد التسمينيات، وإلى آسيا في منتصفها. وفي عام ٢٠٠٣ أصبحت أكبر شبكة لتلفزيون العالم، بفضل إذ تناهض شبكة MTV ٢٨٠ مليون باحث استقبال منزلياً من أنحاء العالم. ويعيش ٨٠ بالمائة من مشاهديها خارج الولايات المتحدة، وتوزع الشبكة في ٨٠ بالمائة من دول العالم. كان مصدر الدخل الأساسي للشبكة في بدايتها - يأتي من عمليات البث عبر الكابل، وساهم المرد في تقديم إنتاج متميز النوعية - لكن «الخدمة» من بدايتها تشابهت إلى حد كبير مع ما تقدمه قنواتها الأمريكية إذ لم تبدل الشركة الشكل الكلاسيكي للشبكات مع النطق المحلي. وقد عاين أن ما تقدمه، وكذلك أطقم المذيعين - كان أمريكي الكلاسيكي، لجزيري اللغة. بثت الشبكة وكما قلنا بشعار تسويق واحد مفاده «كوكب واحد - موسيقى واحدة. لكن، وفي بداية التسعينيات، وعندما بدأت صناعة المشاهدة تتكاثف لحساب بعض المأخضين المحليين مع انتشار قنوات «الكابل» في مناطق رئيسية مثل ألمانيا وفرنسا، راحت الشبكة تعيد النظر في استراتيجيتها وقررت الإدارة أن تكيف بها إلى عموم أوروبا مع أذواق الأسواق المحلية وأطلقت تحت مسمى إم إم تي في الأوروبية اليوم شبكة إقليمية لها ست قنوات تخدم فرنسا، إسبانيا، هولندا، وسويسرا، وإسبانيا. وثلاث قنوات تغطي الدول متحدثة الألمانية (ألمانيا)، النمسا، وقسم من سويسرا)، دول اسكندنافيا، والمملكة

الشركة التي تتخذ من باريس مقراً لها وتدير ست قنوات تلفزيونية متميزة: سيني سينما Cinemas، سيني كلاسيك Cineclassics، بلايني Planete، وبلايني فيوتشر Planete future (للاطفال) والبرامج التسميلية، سيزون Seasons (نشاطات خارجية) وقنال جيمي Jimmy (للشباب والخيال والمسلسلات). ويتراوح التوزيع الأوروبي للقنوات ما بين متطيقين وست مناطق، بقيت الشركة الأخيرة في شركات الصف الثاني، والتي تحتل المرتبة الحادية عشرة من ناحية العائدات، NBC الأمريكية مالكة الاسم في قناة ناشونال جرافيك ومديره CNBC شبكة الكابل والأعمال العالمية، مع مؤشر داوجونز.



تسهم قنوات التلفزة عابرة الحدود في دفع صناعة الإعلام على نطاق عالمي لأن في ذلك حالة جمعة للشركات ومجموعات الإعلام المسيطرة بالفعل. وتدرج المؤسسات الإعلامية المابرة للحدود ضمن الشركات القليلة التي لديها مصادر تمويل، خبرة إدارية، مكتبة عرض تلفزيونية، وتسهيلات جمع الأموال. لكنها من إدارة قناة تلفزيونية على نطاق متعدد الجنسيات، وهي تستثمر في التلفزة عابرة الحدود لثريتها في التوسع عالمياً وزيادة نسبة عائدات السوق الخارجية في إجمالي العائدات. وتقدم هذه القنوات مصادر دخل إضافية إلى الشركات التي تملك محتيات مثل فيلمية رسوم متحركة، مسلسلات أفلام وغيرها. ولقد ظل نظام تحرير الإذاعي مهمل وفي ظل الاستراتيجية منذ منتصف التسعينيات وعرض مواد فيلمية متميزة عبر قنواتها عابرة للحدود. إذ تعتمد قناة كيرنر للاطفال النمساوية الكلاسيكية على نظام استرو-ماتيو ماير، التي تضم ٧٠ من الأفلام الروائية من بينها كلاسيكيات Casablanca، «الارباضاء» من The Wind، «هوب من العرج»، وتمتصيد شبكة الرسوم المتحركة من Warner bros «راخوان وارنر، التي

كما تجلب شبكة فيولكس إس إن إن Phoenix CNN بالغة الصعوبة من هولنج كوكج، وهي ملكية مشتركة بين ستار تي في والوكيل، لو تشينج لي. وتمتلك فياكوم Viacom، ثالث شركة إعلام في العالم، شبكتين للتلفزة الموسيقية، إم تي في وشقيقتها VH1 في إنش وإن، ستهدفان سوق الكبار، ونيكلوديون Nickelodeon، وهي قناة للأطفال. كنال بلس Canal Plus التابعة لفيغندي يونيفرسال Vivendi Universal، أكبر تلفيزيون أوروبي مدفوع، ويث ١١.٣ مليون مشترك في أسواق أوروبية. فرنسا، إسبانيا، دول الاتحاد الجرماني (هولندا، ولوكسمبورج)، دول إسكندنافيا، وبولندا. وكهنة قبر صناعي لحمل كنال بلس بعض قنوات كلفر ثالث لكنها تبت أيضاً العديد من قنواتها. أضف إلى ذلك أن فيغندي عندما اشترت يونيفرسال في عام ٢٠٠٠ ورثت منها عدة قنوات عابرة الحدود لذلك ثبت من المنفعة نفسها قناتاً للأفلام السينمائية، عبر ستديو يونيفرسال والشارح رقم ١٢، إلى أوروبا. في عام ٢٠٠١ حققت «لاجارديري» Lagardere للإعلام، والتي هي جزء من مجمع صناعي فرنسي كبير إجمالي مبيعات يقرب ٨.٧ بليون من الدولارات الأمريكية. ويمكن اعتبارها أصغر شركات الصف الأول وهي دار نشر رائدة في أوروبا تصدر ناشري الكتب ومجلات الصنوعة وتصدر ٢٢٢ مطبوعة وتوزع في ٣٠ دولة. وشكلت الشركة في فرنسا، ثاني أهم مجموعة إذاعية لديها ثلاث شبكات قومية وتدير بعض أمد قنوات تلفزة الكبل، اسكندنافيا، والأفلام السينمائية. كما أنها أول منتج أوروبي يصنع ريمبات القنوات ذات الصناعات الخاصة. ومن بين القنوات التي شكلها لا جارديري قناتان عبريات للحدود، إم إس إم MCM، قناة التلفزة الموسيقية الأولى في فرنسا وليجيكيا والتي لها تقديمية مايو تمتد إلى وسط شرق أوروبا، وقناة ميوزي Mezzo الرائدة في لفزة الموسيقى الكلاسيكية والناطقة في ٢٦ منطقة أوروبية. تسيطر فيغندي يونيفرسال، ولاجارديري للإعلام، على ٥٤ بالمائة من مائتي شيماتيكس Multimedias.

العالم، في العديد من المجالات، في صالح أنظمة عالمية. وتشمل عولة هذه المجالات العديد من العمليات التي من ضمنها بزوع شبكات والأنظمة قابضة وتشبيك، التحالفات. والتي تستلزم أيضاً بزوع النطقات متعددة الجنسيات، أو، والعالية وريث اللاعبين ببعضهم البعض، وتعتبر شبكات اتصال. ويرتبط الطرح هنا من فرضية أن قنوات التلفزة عابرة الحدود هي جزء لا يستهان به ضمن عملية العولة، ولها التأثير على قطاعات متعددة في المجتمع. إنها تصيف إلى تدفق المعلومات الكونية شبكات اتصال والأنظمة تبادل من شأنها زيادة القدرة على إحداث ترابط، ولقد أخضعت للبحث والدراسة كيفية تشابك قنوات التلفزة عابرة الحدود مع أربعة نظم كوكبية: الإعلام، الموسيقى، السياسة، والتمويل.

صناعة الإعلام الكونية

وصفت صناعة الإعلام الكونية بأنها ثنائية القطب، تتربع في المجموعة الأولى ثمانى مؤسسات إعلامية عابرة للحدود، تندمج رأسيًا وتحتل أسطحتها إلى طاعات الكرة الأرضية وتطال معظم قطاعات الإعلام. الصف الثاني يشمل شركات متعددة الجنسيات لها مبيعات إقليمية قوية، أو باع عالمي، لكنها متخصصة في سوق ملاحة. لدى مؤسسات الصف الأول الإعلامية عائدات تقارب ١٩.٧ بليون دولار أمريكي. ويستأندة بيرتلسمان، مؤسسة، جميعها يلعب دوراً قيادياً في التلفزة عابرة الحدود القومية، كما أن الكثير من القنوات عابرة الحدود ودات الريادة العالمية تكون بين أيديها (انظر جدول رقم ٢). ويدير نظام «تيرنر الرائدة» أحد فروع مجموعة وارنر وأمريكا أون لاين. قناتين للمنوعات: شبكة كارتون، رسوم متحركة، وهي قناة الأعمال الرائدة في أوروبا وتبرنر للأفلام الكلاسيكية، التي أعيد إطلاقها مؤخراً. في عام ١٩٩٦ امتص وارنر نظام «تيرنر» واشترى أيضاً أكبر شبكة لفزة إخبارية في العالم، إس إن إن. والتي ذات يوم استقت قناة خاصة بإذاعة بيروني تبت في مناطق أوروبية عديدة، أصبحت مالكة لمعظم أسهم فوكس كير مندي يناير ٢٠٠١، مؤسسة الأخبار التي باعته كير إلى بيروني احتلت بسكاى نيوز (التي تعمل من خلال فرعها البرطاني في سكاى بي B Sky B) ولها مصالحي مشتركة مع قنوات جورجيا، كما تدير عدة قناتون للثقافات العربية في أوروبا. تجلب قناة ستار بلس Star Plus من الهند، التي تديرها عبر فرعها ستار تي في، Star TV.

المتحدة وأيرلندا. تتضمن هذه القنوات العديد من العروض التي تنتج محلياً وتصدر شاشاتها وجوه محلية لمتابعيها ومقدمي البرامج، وتحلل الدراما المحلية ٩٠ بالمائة من إجمالي ما يقدم من دراما. ورغم أن هذه القنوات تضع النطق المحلي في اعتبارها إلا أنها لا تستمعين إلى تكون في محليها المناقش المحلي، ويقدر عدد القنوات الموسيقية في أوروبا بحوالي ١٠٠ قناة، ويتضمن هذا العدد قناة Viva في ألمانيا وأجزاء من وسط أوروبا، قنوات إيماب Bmap في المملكة المتحدة، (أكثر الألبومات مبيعاً وانتشاراً)، وشبكة إم سي إم التي تبث عبر أوروبا لكنها أكثر انتشاراً في فرنسا وليجيكيا، وفي مواجهة هذا التزايد القوي قررت إدارة إم سي إم تحافظ قنواتها الإقليمية والمحلية على جاذبيتها العائلية وقبول مسلول تفضيئاً للشريحة الأم في لندن إن المشاهد يسعى إلى إم سي إم لأنها تحظى ببثتها، أو بريق، أمريكي، عالمي، ومن بين الحاسن التي تتمتع بها، شبكة كويني للتلفزة الموسيقية، أنها تملك اتصالات جيدة بنجوم الموسيقى المحلية، وفي عام ٢٠٠٢ قدمت عدة برامج تسجيلية عبر قنواتها من الحياة الخاصة والفنية وأسلوب معيشة نجوم موسيقى Hip Hop الأمريكية، كما أنتجت فيلم الأسبوري، التسجيلي عن الحياة العائلية للمغني الأمريكي Ozzy Osbourne. وتحرص على بث المسابقات التلفزيونية مع التجموع وتنظم المسابقات والمهرجانات لهم في مختلف المدن الأوروبية وتبثها على قنواتها وتسهم في حملات الترويج الأوروبية للفنانين الأمريكيين وتسجيلاتهم الجديدة عبر مسابقات جريدها معهم في أماكن تواجدهم ويقوم بذلك بدور البصر بينهم وبين الأسواق الخارجية. هكذا أصبح للشبكة علاقات قوية بأشهر الموسيقي العالمي وأصبح موقعاً عالمياً في هذه الصناعة عندما عرفت كيف تعمل إلى المشاهد المحلي، وتكيف مع ثقافات محلية، كما استطاعت تغليف الموسيقى العالمية بالنطق المحلي، إنها شبكة عالمية ذات صيغيات محلية قادرة على عولة صناعة الموسيقى.

عمولة العالمية

بنات السياسة تتحول، وبطرق متعددة منذ الحرب العالمية الثانية. أصبحت العلاقات السياسية الاقتصادية بين الدول أكثر متانة وتضامناً عبر شبكة من المعاهدات والاتفاقات. ظهر نظام عالمي تحكمه

الأمم المتحدة ومنظمات حكومية دولية (IGO) مثل منظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي. هذه المؤسسات ساعدت في تأسيس أنظمة دولية (أو مجموعة قواعد) في مجالات تتراوح ما بين حقوق الإنسان والاتصالات. تزايد استخدام الحكومة، بالحكومات، التي تضم منظمات دولية وقومية، حكومية وغير حكومية، في قضايا عالمية مثل المخدرات والهجرة والتلوث. وخلال العقدين الماضيين طورت شبكاتان عالميتان: BBC العالمية و CNN الدولية، كل ما من شأنه موازنة النظام العالمي الباز، وحققنا تغطية كويتية وأصبح بإمكانهما خسر أطعم مصادر وجمع أخبار على نطاق العالم لضمان تغطية أدنى للأحداث العالمية المهمة. وفي عام ٢٠٠٣ كان لدى CNN الدولية ١١ مركزاً للأخبار، ١١ في الولايات المتحدة، ١٠ في أوروبا، ٤ في الشرق الأوسط، ٤ في أفريقيا، ٩ في آسيا، وفي أمريكا اللاتينية. كما طورت شبكة عالمية من قنوات الإقليمية ومحلية لها تمهيلات CNN الإخبارية الخاصة بها. أعادت CNN هيكلية التغطية للشبكة العالمية على المستويات الإقليمية وفي ستة برامج منفصلة: أمريكا الشمالية، أوروبا، الشرق الأوسط، أفريقيا، آسيا الباسيفيكية، جنوب آسيا، وأمريكا اللاتينية. ما يقرب من نصف البث الإصويي كله البرامج يتم إنتاجه محلياً، وهو يعادل ٥٠ ساعة بـ وتستخدم هذه التقنية من ثلاثة مراكز إخبارية متمدة كلية وتعمل خارج الولايات المتحدة، في هونغ كونج، المكسيك، وتلندن. ولتعتمد BBC العالمية على ٥٨ من مراكز الأخبار خارج هذه المنطقة الإخبارية، قد أضافتها في مناطق متفرقة من العالم. وتستفيد القناة من مراكز تغطية تغطي أوروبا، أفريقيا، جنوب آسيا، والشرق الأوسط، عبر برنامج سات Panam sat ويؤثل سات

Eutel sat. ويتمثل مفهوم إي بي سي في إذاعة الأخبار نفسها إلى الجميع مع التوزيع في برامج شؤون العامة، الأفلام والبرامج الترفيهية، وبرامج أسلوب العيشة. وعلى خلاف ما سارت عليه الـ BBC، كان لـ CNN سلسلة مشاريع مشتركة مع شركاء محليين في دول منها إسبانيا وتركيا حيث يتم إنتاج ما يبت من كل من مدريد وأستنبول مستعينة بالفنيين والإعلاميين والمهارات المحلية. كما تستفيد شبكة CNN الإخبارية العالمية من التسهيلات الوفيرة لفرعها المحلي في الحصول على أخبار ما كانت تحصل عليها بصحولة. وقد أثبتت هذه الفائدة خلال العزرات الأخيرة التي ضربت شمال غرب تركيا عام ١٩٩٩. وكانت اطمم CNN التركيبة المحلية أول من تواجدت في موقع الأحداث، كما كان للقنوات الإقليمية والمحلية مدخل على مصادر وأطعم أخبار CNN ولدت هذه الخبرة دورها في أحداث ١١ سبتمبر.



وتلك من BBC و CNN وضعه الفريد في التعامل مع تعقيدات السياسات العالمية وتغطية نشاطات الأمم المتحدة. وقد CNN أول شبكة تقيم مركز أخبار في مقر المنظمة الدولية للبث التقارير الإخبارية المنظمة من أعضائها. وتعتمد التسهيلات المكروسة لأطقمها الإخبارية القدرة على تحقيق السبق الإخباري العالي، وتقديم خدمة متميزة لبناء مفهوم عالمي، للأحداث العالمية المهمة، يوسع الزاوية التي تحد ملامح معالجة الأخبار العالمية في الإذاعات الأرضية. وبالمثل ما تتضمن التغطيات تقارير إخبارية وعرضاً لوجهات نظر مختلف الأطراف ساهمة بذلك للصحفيين والمحللين الطارئ التحقيقات العالمية للأحداث. لقد صممت إي بي سي العالمية



خلال الحرب في أفغانستان عام ٢٠٠٢،

نصح كوك بول، وزير خارجية الولايات المتحدة،

رئيسه ونائب الرئيس بالابتعاد عن مشاهدة CNN

بسبب الضغوط الإضافية الناجمة عن

استمرار التغطية الإخبارية للحرب



وسى إن إن الدولية نوعيات من البرامج فضيئت لكن تتناسب مع مشاهدتي محمدي الجسمانية. وبالإضافة إلى ثغرات الأخبار التي تبث على رأس الساعة. تضم البرامج الإخبارية لـ BBC العالمية تغطيات لعالم المال والأعمال والبيئة والرياضة وبرامج التقارير الإخبارية للمراسلين والمحققين الصحفيين وشهود العيان والبرامج التحليلية مثل برنامج عالم سيمبسون الذي يقدمه جون سيمبسون محرر الشؤون العالمية في هيئة الإذاعة البريطانية. إضافة إلى المحصلات الفهرامية مثل مسلسل عالم الدرامى الكرس لتناول المكاسات العالمية في حياة المشر وعروض المناقشات والمقالات التلفزيونية التي تناقش قضايا الساعة وبعض البرامج الإخبارية الخاصة عن وسعاً متلفذين على المسرح العالمي ولديهم القدرة على إضفاء الفهم الكوني على الأحداث المحلية. أما CNN فقد أطلقت في أكتوبر ١٩٨٧ نشرة إخبارية عالمية باسم «العالم اليوم» تتضمن التقارير الإخبارية التي تذاق لأول مرة من خلال حشد من المرسلين والعلميين. وبثت اليوم حصداً من البرامج الإخبارية السياسية والاقتصادية والرياضية والتسجيلية والأدبية من موقع الأحداث. إن ما تقدمه قنوات الأخبار العالمية يمثل أيضاً إضافة قيمة على شبكة المعلومات التي تلعب دوراً متزايداً في البلاوسمية العالمية. وتعتمد قيادات سياسية ودبلوماسية وأعضاء في منظمات عالمية على هذه القنوات كمصادر للأخبار الموثوقة. وخلال الحرب في أفغانستان عام ٢٠٠٢، نصح كوك بول، وزير خارجية الولايات المتحدة، رئيسه ونائب الرئيس بالابتعاد عن مشاهدة CNN الضغوط الإضافية الناجمة عن استمرار التغطية الإخبارية للحرب. كما تساعد شبكات الأخبار العالمية المشاهد على التأقلم مع تعقيدات السياسات العالمية. فالتدقيق المستمر للمعلومات المستندة إلى مصادر إخبارية قوية، في إطار منظور عالمي للأحداث، يمد المشاهد بأفضل التحليل يمكنه من فهم أفضل للأحداث العالمية. وهناك رغبة متنامية لتلقى الأخبار العالمية. كما أن كل الشبكات التلفزيونية عابرة الحدود حققت المزيد من الشهية منذ أحداث ١١ سبتمبر.

التمويل العالمي

تحيط بالتمويل العالمي حقائق كثيرة تشمل تنامي المبعج لأسواق المال القوية ما بين بعضها البعض، التوسع في تدفق

المال العالي، وعجلة المؤسسات المالية مثل البنوك وبورصات الأوراق المالية والأسهم والسندات. كاتبت أنشطة التمويل العالية تتطلب دائماً أنظمة معلومات عالية، تقدم - عادة - من متخصصين في المعلومات مثل وكالة رويترز للأخبار. اليوم نجد أن فنانين تليفزيونيين تقدمان أخبار المال والأعمال، وأوجدنا تسهيلات لأطقم جمع الأخبار لتغطية قطاع التمويل العالي. فبعد عام ١٩٨١ تقدم قناة بلومبيرج، معلومات مالية إلى موالر التجارة ومحلى السوق، وقد أضافت التليفزيون كوسيلة أكثر تأثيراً لتقديم خدماتها، وذلك في بداية التسعينيات. بدأت بلومبيرج البث من نيويورك وتوسعت عالمياً بإطلاق قنوات تلفزة ب ٧ لغات حول العالم منها ٥ في ألمانيا، إسبانيا، وإيطاليا، جميعها يتمتع باستقلالية ولكن بتسويق مع مكتب لندن، لتقديم الأخبار العالمية، بيانات السوق. جديد المال في الأسواق، أخبار آنية، وأبناء الطقس، وتسمين الأخبار بأكثر من ألف من الصحفيين الذين يشقون في أنحاء العالم، وتستفيد المؤسسات الأوروبية من استوديوهات التلفزة في لندن، فرانكفورت، ميلانو، باريس، ومسدريد. كذلك نصبت الشبكة ٤ كاميرا لتليفزيونية في بنوك ومراكز أخبار مالية حول العالم، ولديها ١٠٠ كاميرا أخرى في مناطق متفرقة.

وتغطي CNBC، أول شبكة عالمية لأخبار المال والأعمال، بانتشار عالمي واسع يمتد عبر ثلاثة أقاليم لتغطية التغطيات إلى أمريكا الشمالية، آسيا، أوروبا. وبدأ مؤشر داو جونز عمليات تلفزة داخل الولايات المتحدة في عام ١٩٨٧، وانتقل إلى آسيا في عام ١٩٩٣. وبدأ البث الأوروبي عام ١٩٩٥. بعد ذلك تعاونت النصحيت كاتبت داو جونز مع CNBC وتغير اسمها من أخبار الأعمال في آسيا وأخبار الأعمال في أوروبا، إلى CNBC، آسيا وأوروبا، وتستفيد شبكة البث الأوروبية اليوم من التسهيلات المقدمة لأطقم الأخبار داخل هيكل CNBC في آسيا وأمريكا الشمالية، وكذلك من الشريكتين الأم اللتين تديران مشروعات إعلامية خاصة، وتقدم صحيفة دول سترية، التابعة لداو جونز وخدماته الإخبارية، إلى CNBC لتغطية لا تنافس لأسواق المال العالمية. ومثل بلومبيرج، يوجد لدى CNBC مراسلون لدى جميع مراكز التجارة الرئيسية وكاميرات لبث المباشر من منصات التبادل التجاري، وعندما تكون هناك

جدول ١

حجم التوزيع. لتولت الكامل. ١٦ قناة لتلفزة رئيسية لعموم أوروبا
١٩٩٧، ٢٠٠٢ بليون جهاز تليفزيون منزلي

القناة	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢
Arte	-	٧٩,٩	٦٦,٩	٦١,٩	٦٥,٠	٦٥,٠
بي بي سي بريم	-	-	-	٨,٦	١٥,٥	١٥,٥
بي بي سي العالمية	٢٥,١	٣٣,١	٣٣,٣	٣٣,٣	٩٤,١	٩٤,١
بلومبيرج	٢٧,٧	٢٧,٧	١٠,٣	٦١,٦	٣٠,١	٣٧,٦
شبكة الرسوم المتحركة	-	-	-	٦١,٠	٦١,٠	٦١,٠
Cartoon Network	١٢,٠	٦١,٠	٦١,٧	٢٢,٩	١٠,٢	١١,٩
سي إن إن الأوروبية	٥٩,٩	٦٧,٨	٦٨,٨	٣٣,٢	٨١,٠	٨١,٧
CNN Europe	٧,٠	١٩,٣	٢٠,٤	٢٦,٦	٣١,٤	٣٦,٩
Discovery	٧١,٩	٧٥,٦	٨٠,٣	٨٨,٣	٩٣,٠	٩٥,٣
Eurosport	٣,٤	٦٢,٣	٦٢,٩	٦٢,٠	١٤,٠	١٨,٩
Euronews	-	-	-	١٥,٤	٣٣,١	٣١,٠
فوكس كيدز	٤٤,٠	٥٨,٨	٧٩,١	٨٣,٦	٤٥,٣	٩٢,٨
إم تي في	١,٠	١١,٩	١٥,٣	١٩,٢	٢٢,٨	٢٦,٩
ناشيونال جيوغرافيك	-	-	٢٨,٩	١٨,٦	٢٢,٧	٢٤,٠
National Geographic	٤٥,٥	٥٥,٧	٥٧,٦	٦٦,١	٩٨,٠	٧١,٤
سكاى نيوز	-	-	٢,٣	١٣,١	١٩,١	١٨,٥
تي في ٥	٣٣,٣	٤٤,٠	٤٠,٧	٣٩,١	٤٥,٣	٤٧,٧
VH١	-	-	-	-	-	-
معدل التوزيع	-	-	-	-	-	-

جدول ٢

التوزيع العالي والأوروبي مجموعة قنوات عالية ولعموم أوروبا لعام ٢٠٠٢
(بلايين من أجهزة الاستقبال المنزلي)

القناة	التوزيع الأوروبي	التوزيع العالي
بي بي سي العالمية	١٩	٩٤
بلومبيرج	٣٨	٧٥
سي إن إن العالمية	٧٧	١٧٢
سي إن إن	٥٥	١٨٠
ديسكفري	٣٥	٢٢٢
إم تي في	٩٤	٣٨٢
MTV	٩٤	١٦٩
TV5	١٩	١٠٢
في إنش ٨	١٩	١٠٢

جدول ٣

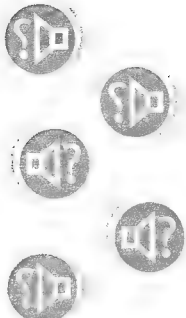
أنشطة التلفزة العابرة الحدود في أوروبا والتجمعات الإعلامية الرئيسية في العالم

الترتيب العالي لعائدات الإعلام	عائدات الإعلام بالبلون دولار عام ٢٠٠١	المصالح في قنوات الكفزة العابرة الحدود
أمريكا لاين آف تيم واير (١)	٤٠,٣	شبكة رسوم متحركة، سي إن إن، أفلام تيرنر الكلاسيكية
والت ديزني (٢)	٢٥,٣	فيزي، فوكس كينز
فيافوك (٣)	٢٤	إم تي في، فيكفوبون، في إنش وان
هيرتسمان (٤)	١٧,٦	-
فيغيميدي يونيوسرغال (٥)	١٥,٥	فانال بلغم، ستديو يونيوسرغال، الفشار ١٣، سينماز، سينيتالاسيه، ملائيم، سوزوس، جيم جيل
سوس (٦)	١٤,٩	سوتي تي في آسيا
مؤسسة الأخبار (٧)	١٣,٠	سكاى نيوز، ناشيونال جيوغرافيك، ستار بلغم، فيفوكس سي إن إن
لاچارديري للإعلام (٨)	٧,٨	إم سي، ميوز، سينماز، سينلاسك، سوزوس، بلائم، فانال جيمي
إي بي سي (١١)	٥,٨	سي إن إن، ناشيونال جيوغرافيك

أخبار مهمة تبث CNBC تقارير مراسلها عبر الهواء مباشرة وخلال دقائق من وقوع الحدث تقدم المعلومات الأولية، ويذهب جيمري بينك Jeremy Pink، وهو مسؤول لعمليتي في الشبكة، إلى القول بأن CNBC تستطيع رفع سعر السهم إلى خاتمة بلايين الدولارات عندما تبث أخبار مهمة، وتحتفظ CNBC بقدرات تقنية على مستوى عموم الإقليم تغطي أوروبا وأعادت هيكلتها مع إعادة هيكله القذراع المالي في الإقليم على مدار العقد الماضي، ولم تعد الاتصالات تتم بين دولة ودولة ولكن بين قطاع مالي وآخر استناداً إلى أسس توحيد تحكم كل أوروبا.

إلى عجلة التمويل، والربط بين أسواق المال، أوجبت التوسع العالي في تسهيلات أطقم الأخبار والتغطيات على مدار الساعة. وحقت بلومبيرج، وبي إن إن، استخدام الأشمل لشبكتهما كي يواكب، وعلى مدار الساعة أنشطة بورصات الأوراق المالية والأسهم، وتبدأ CNN الأوروبية لتغطيتها لأسواق الأوروبية في الصباح الباكر عبر برنامج Before the Bell، قبل أن يقد الناقوس، الذي يستعرض أهم أخبار البند التجارية والأسواق الجديدة حول القارة، ويستمر في المتابعة إلى ما بعد منتصف اليوم، وتقدم CNBC برنامج لها عرضاً بالرسوم الإيضاحية وأعاداء الجرافيكس، حول أداء بورصات الأسهم والأوراق المالية في مختلف دول أوروبا، حيث يشير اللون الأحمر إلى انخفاض السهم، والأخضر إلى ارتفاعه. تنتقل إلى تغطية الولايات المتحدة في الساعة الرابعة مساءً لتابعة بورصة نيويورك، وتعود إلى أوروبا بعد نصف ساعة لاحقة لتغطية إغلاق بورصة لندن، ثم فرانكفورت، وفي المساء تعود إلى الولايات المتحدة لتغطية إغلاق بورصة الساحل الشرقي، وفي منتصف الليل تنتقل إلى آسيا لتغطية افتتاح بورصتها. وبعد تتبع أخبار التجارة هناك تعود CNBC ثانية إلى البث المباشر من لندن، في الساعة الخامسة صباحاً تعرض أهم ما في اليوم من أخبار التجارة.

أسواق لا تعرف الحدود وتلفزة تتابع أحوال العالم دون تقييد بوقت أو حدود. تغطي الزمان والمكان، وتسهم في بناء نظام عالمي جديد، وقد تبدي التلفزة مخططة الحدود جميع مراكز التجارة الرئيسية وكاميرات لبث المباشر من منصات التبادل التجاري، وعندما تكون هناك



■ لجرد التذكرة بالتعبيرات الكبيرة التي حدثت في المجال الإعلامي، تلقى الضوء على عدة أحداث لجأت فيها إلى الإعلام الوطني والخارجي خلال الفترة الزمنية الأخيرة التي تزيد قليلا على ربع القرن. فخطى التغييرات التي طرأت على أساليب وصول التلقى لبعض الأحداث التي جرت في الفترة من عام ١٩٨١ إلى عام ٢٠٠٤.

في السادس من أكتوبر عام ١٩٨١ اغتيل الرئيس محمد أنور السادات، كنا نحن المصريين، نشابع الاستعراض العسكري السنوي الذي كان يقام بمناسبة انتصار أكتوبر المجيد، عندما انطلقت رصاصات، وتوقف الإرسال التلفزيوني المفرة، فأحسنا أن شيئا ما حدث. وبعد فترة، أحسنا أنها ثقيلة وممتدة، عاد الإرسال، بأننا نشهدا حماسيا لفنانة فائدة كاملة ثم تلاه قراءة ممتدة آيات من الكتاب الكريم، بناء على هذه المؤشرات، يتقن المصريون من خطورة ما حدث ولكي كان عليهم تحمل ساعات الانتظار الشديدة الصعبة حتى يفارق إعلامهم من رفوفه الرسمية، ويتلقفهم بحقيقة ما حدث.

حينذاك، لم يمتلك، نحن المصريين، إلا إدارة مؤشرات الراديو وتكرار إدارتها، اتصور أننا ركنا جميعا على ثلاث محطات إذاعية عالية هي الـ بي، سي، وصوت أمريكا وصوت كارلو. وذلك لمحاولة التعرف على حقيقة الأحداث وتقدير أبعادها، حيث إن الإذاعات المصرية كانت تبث هي الأخرى آيات من الكتاب الكريم دون أن تشير إلى الحدث وستدلياته السياسية، كما فلقين على وطننا وشعبنا. كنا نبحث عن الخبر الجلل، فبالإضافة إلى أن الوصول إلى الحقائق الوطنية يشكل أحد الحقوق الأساسية لنا كمواطنين، فهو واجب كل مصري محب لوطنه.

عندما لم يسمعنا إعلامنا الوطني، لم ننتظره، تركناه واتجهنا إلى الإعلام العالي.

حتى عام ١٩٨١ كان للإعلام المرئي الوطني سيادته على كل أرض الوطن. في حين كان للإعلام السمعي بمناه الوطني والعالي، فكان البعد العالي الإذاعي المبدأ الأساسي والبعيد سرعة للوصول بالخبر إلى المستمع الذي هو في حائطنا هذه المواطن المصري، أما الإعلام المطبوع من صحف ومجلات، فكان يحتاج إلى الوقت اللازم والممتد ليصل بالخبر والوراء والتحليل إلى يد القارئ في اليوم التالي على الأقل.

وجاء عام ١٩٩١ عندما شنت قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة

الأمريكية وهي محطة الـ سي، إن إن استمرت الـ سي، إن إن، تمت إرسالها المباشر عن حرب الخليج الثانية على مدار الأربع والعشرين ساعة على شاشات كل أجهزة التليفزيون العربية، سلا اشتراك تقديري وإلا احتياجه من المتفرج إلى طبق استقبال فضائي.

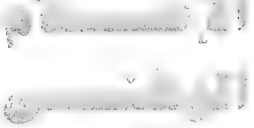
هذا الحديت المستجد، أحدث تحولا نوعيا في علاقة المتفرج والمستمع والقارئ المصري بالخبر وبالأحداث المرتجيب هذا التحول النوعي لم يأت بالظهور إلى المتفرج بسرعة ومصدافية فحسب، وإنما جاء بالأحداث ذاته إلى المتفرج وهو مستقل على مقعده وجالس بين أهل بيته. جاء هذا الجديد بالحدث لحظة وقوعه ويحجمه الطيعي، وتجمد التحول بشكل هائل عندما كان الخبر الأول الذي قدمه هو واقعة حرب شرسة نشنها قوات دولية على جيش عربي محتل لبلد عربي آخر. ويتنمى البلد الغازي والآخر المغزو إلى مجموعة بلدان منابع الانشط العربي.

وربما كانت هذه هي المرة الأولى التي تصبح فيها الحرب مادة للفرح والمتعة وكأنها فيلم سينمائي أو مسلسل أمريكي، للكش، أي الأعلام ومسلسلات الحركة والغمف.

وبجانب هذا المستجد الذي حسدته الـ سي، إن إن، لابد من ذكر أن قسم الإذاعة البريطانية الذي يثب بالغة العربية والمعروف بالـ بي، سي، استغل الفرصة ودش مشروعه للإرسال الممتد لأربع وعشرين ساعة، كانت حرب الخليج الثانية فرصة لتقديم هذه الخدمة الإعلامية الجديدة بحجة الامتداد للإرسال لنقل تفاصيل المعارك الدائرة في الحرب. وبالتالي حقق القسم العربي للـ بي، سي، دوا هائلا من المستمع العربي بسبب كم ساعات الإرسال ونوعيته المهنية المتميزة.

ثم جاء الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ ليعاها المتفرج وهو يتابع شاشات التليفزيون في بيته، مشهد لأحد أبراج نيويورك وهو مشتعل من جانب نصفه العلوي، بدأ بث الحدث بعد دقيقة واحدة من وقوعه، ثم بعد حوالي ربع ساعة استطاع المتفرج أن يشاهد الطائرة الثانية وهي تصطدم بالبرج الثاني. تستمر متابعة المشاهد للأحداث الكبير الذي لحق بأحد رموز الرأسمالية الأمريكية المعلقة على الأطلنط، لم يتلوه المتفرج إلى جريدة اليوم التالي ليعلم منها تفاصيل الحدث، كان يعرضه جيد، لأنه شاهد وقوعه، فركز على تحليلها وتوقعات نتائجها.

أما الأحداث الكبيرة



وسيط أعاصير الفضاء العالي

أمينة شافيق

**بات إعلامنا كالجيش الذي يزيد
عدد جنراته على عدد جنوده. في حين أن
الإعلام الغربي لا يضم إلا الجنود القادرين على
ملء الساحة الجوارية والفكرية**

الأمريكية حربها على الجيش العراقي المحتل للكويت، حتى هذا العام كانت الإذاعات الثلاث، الـ بي، سي، وصوت أمريكا وصوت كارلو، لا تزال المصادر الأساسية السريعة للحصول على المعلومات والأخبار المتعلقة بحرب الخليج، ولكن بدت وسائل الإعلام المطبوعة أكثر تنوعا. حيث بدأت بعض الصحف الممولة خليجيا تنصدر طبعاتها



وطنية صلبة يصعب اختراقها أو التسلل منها. ويتعبّر آخر. عندما كانت الحدود الوطنية لوسائل الإعلام والاتصال مثل الحدود الوطنية للدولة ذات قوة صلبة. أما الآن فحدودها كحدود الأوطان مسامية رخوة تسمح بمرور الأفكار والآراء والأخبار كما تسمح حدود الوطن بمرور السلم والمال والأفراد.

وهنا تكمن الخطورة، لأن كل هذه الأفكار والآراء والأخبار تتجه إلى عقل المواطن حيثما كان، حتى لو كان هذا المواطن من أبناء إحدى الجزر النائية في أعماق المحيطات الهاسية.

والإعلام ليس مجرد تقنية حديثة تتحضر مهمتها في انتقال الكلمة أو الصورة وإنما هو في الأساس فكر وضغون يتجهان إلى عقل ووجدان الإنسان، يجعل الإعلام ما يجري من حركة المجتمع والعالمين على حركة سياسية واجتماعية، كما يشارك في تطوير هذه الحركة لصالح تقدم المجتمع وفي ذات الوقت يحضن ويحمي بكل الوسائل ما هو قيم وأصناف تدفع من الديمقراطية والعدل والساواة والتسامح وقبول الآخر، ويستعمل الإعلام في خلق أوسع الحوارات الفكرية عبر فضائيا اجتماعية بحيث يحقق أكبر مشاركة فيها للتوصل إلى أصعب الحلول. ولذا إن اتابع هذه الحقيقة في تلك الأدوات الإعلامية المطبوعة أو الحرجية أو السمعية التي تنسك في كونها أدوات إعلامية حسيمة، بالدور الذي تلعبه في راسخها الحواري.

لا نغني بذلك تلك الخلفيات
العربية التي تأتي في بعض المصاحبات
العربية التي لا يمكن فهمها أو
متابعتها وإنما غني تلك الحوارات
التي تحمل إلى وسائل الإعلام عموم
الناس وقضاياها ومشاكلها وتطرحها
من جوانبها المتعددة لكي شفافية
وصراحة كما لا غنى عن تلك الرسائل
الإعلامية الموجبة إلى فئات الناس
التي لوكننا غني تلك الرسائل التي تحدث
إلى عقل البشر السياسي والاجتماعي
والتي تهدي في النهاية إلى الانعاض
وبدرجة وعيهم بمصالحهم الوطنية
والاقتصادية وإلى دعم كل القيم
الإنسانية الجادة التي لا بد أن تتسلح
بها الإنسان.

في التاريخ القديم كانت الأفكار والأراء تنقل في الأساس من خلال الكتاب المنسوخ بالأيدي وفي مرحلة لاحقة، كانت تنقل بواسطة الكتاب المطبوع وذلك بعد اختراع أوروبا للطباعة في القرن الخامس عشر. ولكن ظلت

يرعى إليها القارئ والمستمع والمشاهد، يسأل الإنسان إلى العالم وأحداثه ثم يعلّق تقنية أخرى غزت بيوت الملايين من منا وسوف تغزو بيوت العديدين الآخرين في المستقبل القريب. باتت شبكة المعلومات العالمية كتاباً مفتوحاً وموسوعة مجانية أمام كل البشر القادرين على شراء أدواتها، كذلك أمام الآلاف الساعين إليها عبر «مقاصي التمت»، والتجمعات التي باتت تفتقد في أعدادها يوماً بعد يوم.

تجاوزت شبكة المعلومات العالمية حدود الأثير والفضاء والهواتف طبعية، لأنها لم تقدم الحدث عبر القارات والمحيطات. ولا تطور الحوارات، والكوتبة، هذه أو الموضحة أو عن أحدث برامج خفض الوزن والرفاهية، فحسب وإنما تحول إلى الأساس، في ألعاب الأمم، حول ما يهيم البشر من اهتمامات سياسية وثقافية واجتماعية. كل في وطنه وهي أولادنا الآخرين.



الخلاصة هي أن العقل الإنساني يقع الآن تحت مؤثرات إعلامية عامة لم تكن حينما كانت مخططة الإعلام الوطني المحلي منذ ما يقرب من قرن من الزمان. عندما وقع حادث اغتيال الرئيس السادات في العرض العسكري، حينئذ لم كانت له ساحة وطنية من سيانسة المؤثرات الوطنية المحلية حسب، أو الأكثر دقة، عندما كانت وسائل الإعلام والاتصال التي تقدم الخبر والمعلومة تتاح لها، فإذن، كما بلد، لما جده

أو حتى تفاصيل مسابقات الجمال والمباريات الرياضية. تأت كل الأحداث، ضيوفاً معروضين، على المشاهد الجالس وسط أسرته في منزله في حي وطني راقٍ في لندن أو جوهانسبيرج أو الريايط أو في قرية صغيرة تعيش على الاقتصاد الزراعي في مصر أو سوريا أو الهند أو جمهورية جورجيا الأسبوية.



قد امتد التأثير لهو أعظم، عندما قدمه هذا العضو لكل مشاهدي الحدث، الحوارات السياسية التي دارت بينه وبين الحزبين والعمال إبان انتخابات عام ١٩٧٧ البرلمانية عندما أثار توني بليز زعيم حزب العمال والفرع حينذاك الرئاسة الوزارية، المادة الرابعة من القانون الأساسي للحزب وهي الملكية الخاصة لمبدأ التأميم، ونقل الملكية الخاصة إلى الملكية العامة، ثم عندما قدم القضاء تفاصيل محاكمة ميل كيلنتون أوغلا، حاكم فضيحة ريس الولايات المتحدة الأمريكية مع مونيكيا ليونسكي وما أعاد ذلك من تحقيق مبلن تأميمه ملايين البشر، ثم من المناقشات البرلمانية الخاصة والحامية التي جرت داخل الجمعية العمومية البرلمانية والتي هبطت حينها توني بليز ليسر الوزراء البرلماني على أسنانه، اشتركا في الغزو على العراق ثم على أنه في هذه الحرب، والعديد والعديد من الأحداث السياسية التي تأخذ المشاهد وتوقده إلى عقد المناقشات بما يحدث هنا وما يسور (هناك).

هذا ما يقع يوميا بالنسبة للحدث الذي يأتي إلينا عبر الأثير أو الفضاء أو الورقة المكتوبة. لكن توجد أحداث أخرى



في أقطار عربية، خاصة تلك

البلدان المائكة للسيولة المالية العالية، استمر

الإعلام إما حكومياً أو مملوكاً من أفراد يهتمون

إلى الأسر المالكة للسلطة والثروة في البلاد

بلدان أخرى يمتلك هذه الوسـ

التالية الواقعة ابرجى ديوبور، فلم تَحْجُ
 هذه الأحداث إلى الاستعداد للدخول إلى
 البيت كل منا. فقد كانت المصنّعات قد
 أفلتت الفضائل التي لطعت ومن كل البلدان
 والافارات، وباتت الألبان تسمى
 الهندا استسبالاً إلى الصناعات وأنها
 جزء من الهندا البشائير وأبكرها
 العلوى. صنعت الأطباق غاية واسعة على
 الأرض كل ناحية. لم تَحْجُ حدود
 العلوم لتصل إلى مراكز المحاسبات
 وتحتوي إلى عدد لا يأس به في تشرى كما
 كانت الطيارات خصوصية المنازل لتفرض
 المفاهيم والنوادي والصفات والأماكن
 الاجتماعية العامة وأصبح المقدم
 على الطيارات الإعلامية إلى استيعاب
 أن يقارن بينها وبالتالي يستكمل الخبر
 كل حاشية.

لقد عايشنا تفاصيل غزو التحالف
الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية
أفغانستان، وتذكر ذلك المشهد الدرامي
لرأسل فضائية، الجزيرة، وهو يتابع
سقوط الصواريخ على البنايات المهتدة،
في الأصل، في كابول وفي ذات الوقت
يتابع سقوط زميله المصور عن أعلى
المنارة، حيث سمعنا الصراخ.

ثم تابعتا مفاوضات العزف الأنجلو
أميركي للعراق. شاهدنا الصواريخ وهي
تصيب البنايات الواحدة تلو الأخرى.
شاهدنا الجنود وهم تستعمل في أحياء
بعيدة. كما تقارن بين بيئات والخيالات
وزعم الإعلام العراقي السباق وبين الواقع
العسكري الجديد الذي تنشله الهجمات
العسكرية الأنجلو أمريكية.

الخلاصة أننا لم نعد ننتظر جريمة
الصباح أو المنشورة الإذاعية أو
التلفزيونية المحلية لتنتقل منها
الجحيم.

أصبح الخبر يدخل إلينا لحظة وقوعه ويخشد خصوصيتنا ويتحول إلى حدث منزلي يشغل كل أفراد الأسرة ويحتل مكانا ومساحة في اهتماماتها ونقاشاتها، باتت عارة، حبر عاجل، عبارة نعبرها جيدا كمتفرجين.

ولم يعد الإعلام الفضائي الواسع الانتشار، بكل تقنياته الحديثة المتلاحقة واستعاراته وإسماهاه التي تسعى إلى الاختصاص بحيث تصعب على متناول شرائح جديدة من المواطنين في كل مكان، يخلق بين أداكوت أحزاب كثيرة صراعاً بارزاً في إكسار أو حركة مقاومة شعبية تسقط رئيس جمهورية جورجيا لتجرب انتخابات جديدة في البلاد أو حدثت هزات في جزيرة المالديف وأوسميسية أو حدثت قطار في الهند أو تراكبوا شاهد لعمال التي أضحى زلزال شمال إيران



الحيز الأصغر لوسائل الإعلام والاتصال كإعلام قائم على أساس المشروع الخاص المالك مساحة من الحرية الاستقلالية التنظيمية والأصغر الاستقلالية الإدارية المعلنه، ولو طاهرها، عن الحائسين على سدة الحكم العربي. وعندما ينظر عالمنا لهذه المنظومة الإعلامية العربية من قاعدتي الاستقلالية أو التبعية فإن النظرة تصبح أكثر نقداً وانتقاداً عندما نجد هذا التقسيم على أرضية التحولات الاقتصادية الحديثة التي جرت خلال ربع القرن الأخير والتي انتقلت فيها أعداد من الوحدات الإنتاجية من الملكية العامة إلى الملكية الخاصة، في عدد كبير من الأقطار العربية تمت خصخصة الاقتصاد دون إجراء خصخصة حقيقية لحاليين آخرين أساسيين الأول هو المجال السياسي والثاني هو المجال الإعلامي. وفي أقطار عربية أخرى، خاصة تلك البلدان المائكة لسياسة المالية العالية، استمر الإعلام أو حكومتها أو، وفي أكثر الأحوال، مملوكة من أفراد ينتمون إلى الأسر المائكة للسياسة والسلطة والثروة في البلاد. وفي بلدان أخرى يستملك هذه الوسائل أفراد قرييون من السلطة وتكتله السياسية.

وفي الحالتين استمر الإعلام مبروطاً، ومقيداً، بمقاعد السلطة ويمن هم جالسون على سدةها.



الثالثة هي أن الإعلام المصري يعمل ويمارس نشاطه وسط إعلام عربي رسمي تباين في قدراته الاقتصادية وتنقسم إلى دول تلك السيولة وأخرى لا تملكها، فإن الإعلام يقع تحت ذات التقسيمات. يوجد إعلام عربي مملوك لدول عربية غنية وبالتالي ينعكس هذا الشراء في عدد المطبوعات التي تصدرها وصلى نوع وقامة إخراجها. كما ينعكس على عدد الصصاليات التي تنطلق حاملة عليها ونشيدها الوطنيين. ويوجد إعلام عربي مملوك لدول عربية فقيرة، فينعكس هذا الفقر على قدراته في إصدار المطبوعات وفي عدد الصصاليات التي تبثها وعلى نوعية برامجها. فالواقع الاقتصادي لك بلد عربي ينعكس على آله، إعلامها الرسمي السائد وسواء كان موجهاً للداخل أو للخارج.



يوعى وإدراك، في أعمالهم بحيث يسهون في سرعة إنجازها نتاج. وبحالة التوضيح، المجتمع المصري مثلاً يمر الآن بمرحلة تقتضى استكمال مرحلة الحديث التي بدأت منذ قرنين من الزمان. مرحلة تحديث، امتدت حلقاتها طويلاً دون إنجازها. كما أنه وبحكم الظروف العالمية والإقليمية المحيطة به والمترتبة فيه، يحتاج المصريون إلى مساندة هذا التحديث بأفكار وقيم وأنساق الحدائة. فتحديث الاقتصاد والمؤسسات والهيكل والعلاقات لابد من مصاحبة بحدائة فكرية تعترف بقيم الديمقراطية والمساواة والعدل والحرية وقبول الآخر والتخلف والتمساح معه بحيث تصبح هذه القيم جزءاً من الوجدان الإنساني المصري لدى الجميع. يبدأ من الحكام ونهاية بالحوكمين. وفي الإعلام المصري دور، الأصيل، في تحقيق التحديث وفي نشر قيم وأنساق الحدائة.

الثانية هي أن الإعلام المصري كمتال، سواء اعتزنا أو لم نفتخر، ينظر إليه عالمياً كجزء من منظومة إعلامية عربية كبرى، لها ما عليها ما عليها. يمثل جانب كبير منها توجهها حكومياً سطوياً مباشرًا لا يحتضن إلى الاستقلالية الرسمية سواء استندت على إرادة سياسية أو لم تستند. ويقت هذا الإعلام من هذه السياسات الموقف السلبى دون محاولة معارضتها أو حتى نقدها وتقييمها. تستخدم السلطات هذا الإعلام، بحرفنة عربية ساذجة، لدى إصفاها في حالة الصفا كما تستخدمه لدى اعتدائها في حالة الغباء. وهو الجانب المثل لأغلبية وسائل الإعلام العربية ومنها أجهزة الإعلام المصرية المقصورة والمسموعة والمرئية.

ثم يأتي الجواب الآخر الذى يمثل

وجعلت من كل المشاهدين، بعض النظر عن مستواهم التعليمي، أصحاب حق أصيل ليس في الحصول على المعلومة والخبر حصص، وإنما في رؤية الخبر والمعلومة لحظة وقوعهما، من لا يستطيع الحصول عليهما باللفات النادرة أو النقصية... إلى آخر هذه التجمعات. والأهم والأكثر أهمية، من لم يستطيع الحصول عليهما من إعلام بلاده يمكنه الحصول عليهما من الإعلام الخارجى.



في النهاية بات الحدث والخبر والمعلومة ملكاً لكل البشر الساكنين هذا الكوكب الذى هو الأرض. إلا أن شكل هذه النهاية السعيدة موقعاً ديمقراطياً أصيلاً لابد من أن يشاركه فيه إعلامنا الوطنى (المصري كمتال) على أن يشاركه في إشراعه وتطوريه؟

وفي هذا الشأن لابد من ذكر نقاط أساسية تمثل وجهة نظر من هذه المشاركة.

الأولى هي أن الإعلام المقصود والمسموع والمرئي لا يحقق نجاحاته إلا إذا كان انعكاساً لفكر اجتماعى جمعى محدّد. يترجم الإعلاميون هذا الفكر إلى رسالة جيدة التكوين المهنى ويسعون إلى التعبير عنها ونشرها وكسب المؤيدين لها وطرح آراءه المعارضين لها. إذا كان المجتمع يمر من مرحلة تطور إلى أخرى أكثر رفقا وتقدما، يقوم الإعلام والإعلاميون القائلون عليه بحمل رسالة التطور هذه،

حركة الانتقال هذه محدودة في إطار عند البشر الممكنين بمفاتيح اللغات التي تولّف بها الكتب الحاملة للمعكر والرأى. إلى أن قام الإعلام الحديث القادى بمترجمة الكتاب إلى كل اللغات المحلية. ومع اتساع حركة الترجمة انتشرت الأفكار بمحض الشيء ولكن استمرت تأثيراتها في حدود المعارف بمفاتيح القراءة والأطلاع. قديما، كان عدد هؤلاء القادرين على القراءة قليلا. ثم اتسع عددهم مع انتشار التعليم الذى مات الآن حقا إنسانيا بعد أن كاسد الحقوق الواردة في الإعلان العالى لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨، ثم ازادت حركة انتقال الأفكار والآراء مع صدور الماكينة التي يتابعها القراء من الصحف اليومية والمجلات والدوريات.

ولكن استمر الكلمة المكتوبة ملكا لتدوين تعلموا القراءة ويستطيعون شراء الكتاب والجريدة والمجلة والديورية، تصور انهم لا يزالون يملكون هذا العالم وخاصة في عالمنا النامى الفقير وتحتديا في بلدنا، مصر.

والجاءنا إلى البت الإذاعى فسوف نجد أكثر انتشارا من الإعلام المطبوع وذلك لانخفاض أسعار أجهزة الراديو بالإضافة إلى سهولة تحريكها، تحديثا بعد اختراع الترانزستور ومطاراته الصغيرة. من كحافظة مصرية حدودية كحافظة مطروح، يقال أن الراديو هو صديق المرأة البدوية. تستطيع هذه الرفيقية المطروحية حمل جهاز الترانزستور إلى أي مكان شتد إليه اغنامها للرعى، تستمع إلى إذاعة مطروح إذا أرادت أو عمت أن تدور المؤثر إلى أي إذاعة عالمية.

تذكر جميعا تلك الثقلة الإعلامية الكبيرة التي أحدثها انتشار الترانزستور بدءا من العقد الستينى خاصة بعد أن انتجت الدولة المصرية من خلال القطاع العام الإلكتروني أجهزة ترانزستور شعبية، كان الملاعون المصريون يحملون أجهزةهم إلى حقولهم بعد أن صمموا لها أعطية نسجية خاصة تحميها من الأثرية

التي نرى عليه الآن هذا الحداث بخصوص تلك النقلة الجديدة الفضائية الهائلة التي تقدم الحدث الذي يتناهد ويتابعه المتفرج المتمسكة لكل الشرائع، الأمية والمتعلمة ونصف المتعلمة والمتلفة. وهي نقلة تعتبر، في واقفها الجامع هذا، نقلة إنسانية ديمقراطية لأنها ساوت بين البشر



من الأهمية مكان إحداث نقلة في الإعلام المصري بعد أن تحققت «المرحلة الأولى» التي يشار إليها كمرحلة أنجز الإعلام الوطنى فيها انتشاره في شكل مساحات زمنية وترددات فضائية عديدة

62 *Journal of Management Education* 36(1)



المصري لا يجد من يبين إيمانه من هو قادر على إعداد وإدارة هذه الجوارب على أياتى التحديد المتخصص والأساسي والمستمر الذى يتطلبه الإعلام، كعامل حيوى فى إعادة تأهيل الكثير من الإعلاميين المصريين الحاليين

وهى مجال الحديث عن الإعلاميين المصريين. أود أن أشير إلى أن كل المصالحات الغربية تتمتع بميزة، اعتبرها جديدة علينا ولم نأخذها فى اعتبارنا، وربما لم نلتفت إليها، وهى أن هذه المصالحات تعكس ما فى مجتمعاتها من تنوع إثنى، نجد على شاطئها قارنتا للإعلامية أصول أفريقية وأمريكية لاتينية أو آسيوية وحتى من أصول عربية، بمعنى أن الإعاصيات العاصرات فى هذه المصالحات الغربية لسن جميعا شقراوات متماثلات ذات شعر أصفر منهد، بل جدهن علامات، متشوات من حيث لون البشرة وأشعر ومن حيث تفاصيل ملامح الوجه بحيث يمكن استنتاج جديهن العرقية على سهولة ويسر، لا يميزن للجمال العصى بقدر شتمهن بالقدرات الثقافية والعلمانية العالية التى تقطى على بساطة اللبس إلى ترتيبه كل واحدة منهن. كما يميزن بألقاب اللغة التى جوههن غير الفاتنة وهى يناقش ضيوفهن، كل جدية وعلم، فى القضية الفلسطينية أو العراقية أو الصراع فى دارون.

وينطبق ذات على المرشحين العاملين لهذه العرقية، إبان العز الأنطو اميركى للفرار كان مراسل إحدى المصالحات الأوروبية المتحدثة بالإنجليزية شأيا فى الثلاثينيات من عمره من أصل صومالى.

فى سعيها إلى إحداث «القلة السوعية» التى يريدتها إعلامنا فلادن أن تهدف دائما إلى الحديث إلى عقل القارئ والمتشبع والمشهد المصرى. فهدفتنا فى كل توجهاتها هو عقل الإنسان المصرى، لا أريد لحديثنا معه أن يكون صادقا متنوعا شفافا وسريعا وممتعا، إذا أخطأنا هذا الهدف فسوي مستمر المتلقى المصرى يدبر جهاز مؤثر المحطات إلى أى مصدر يقدم له الخبر والمعلومة، فى حجمها وزمانها الصحيحين، تاركا إياها من البرامج الفنية والأفلام الروائية ومسلسلات شهر رمضان الكريم. ■

والفنية والرياضية التى تحقق للإنسان القارئ والمتشبع أو المشاهد، بكل شرائحه الاجتماعية والثقافية، إشباعا ثقافيا وإدراكا واعيا بمحيطه الحلى والعالى.

فالجديدة لا تتعارض مع الإبداع أو مع العنصر الرافدة التى تأس العقل والوجدان معا.



ولاشك أن إحداث هذه «القلة السوعية» يحتاج إلى توجيه عناية هائلة للكوادر البشرية الإعلامية المتنوعة التخصصات والقائمة على كل مراحل العمل الإعلامى، وهى الكوادر التى ستصوغ هذه «القلة السوعية»، وتقود تعميلها، كعمل يوصى، يقدم للمتلقى، ولذا أن نتابع بعض المصالحات الغربية والعربية ما لتبيان حجم الجهد الذى يحتاجه إعلاميون من أجل إنجاح هذه القلة السوعية.

فمنذ بداية هذا المقال تحدثنا عن الإعلام ليس فقط كقضية حديثة أو كمسألة زمنية ممتدة وإنما كمفكر يلحظ ويدبر حوله الجدل والحوار والتناقضات، وهو عمل يقوم به فى الأساس إعلاميون متمكنون من فكرهم ومن لغتهم ومن معلوماتهم ومن رسالتهم التى يقدمون بها للمتلقى المصرى أو العربى أو الأجنبى.

فالحادث الآن هو أن جهاز التلفزيون يتجه إلى إعلاميين من خارج كوادره الأساسية فى حالة سعيه إلى تقديم برامج حوارية متخصصة فى حين أن أجهزة الفضائيات العربية والعربية تأسد هذه البرامج إلى إعلاميين من داخل جهازها، بما يعنى أن جهاز التلفزيون

الثانية، من الإعلاميين، الذى يرجوه هو أن نجعلهم يعملون ك«الكتيبة الأولى» التى تستطيع أن تحقق المحلية الحقيقية للإعلام أى أن يصبح الإعلام الحلى مرآة حقيقية لهذا الواقع الحلى، يجد فيه الإنسان المصرى كل ما يحتاجه من معرفة حبرية وتحليلية تخصص محيطه الأقرب إليه.

فى هذا المجال لا بد للممولين عن الإعلام أن يقدموا دعما أكبر للإعلام السموع وللإعلاميين القائمين عليه سواء كان ذلك على المستوى الحلى أو المركزى، فى دراسة أجرتها إذاعة أسوان منذ عامين، ونشرت نتائجها، سجلت فيه 56% من عينة الشباب الأوسانى أنهم يستمعون لبرامج إذاعة أسوان بانتظام. هذا الاتجاه إلى أن المراتب الرتبية لا تزال شديدة التمسك بالمراديو وما يثبت فيه خاصة إذا كانت ربة بيت تنتمى إلى الشريحة الاجتماعية البسيطة. وهى الشريحة التى تحتاجها فى عملية نشر القيم الإنسانية الجادة التى تحتاجها مرحلتا الاستقلال والتحديث والحداثة. فإعلام السموع لا يزال الأكثر انتشارا بالرغم من كل الضجيج الذى يحدده الإعلام المرئى، وخاصة فى بلاد لا تزال الأمية تفت حائلها بين الإنسان وبين الكلمة المطبوعة.

ولذا سعيها بالفعل إلى إحداث هذه «القلة السوعية»، فلا يجب أن تصوران قيم الديمقراطية والحرية وطرح الرأى والرأى الآخر والعدل والتسامح والمساواة مع التنوع الإثنى والنوعى واللبسى، قيم تتعارض مع كون الإعلام علما وفنا أى علم واحد، لا بد أن يؤسس على العلم والمعرفة والإبداع والتنوع والتعدد والمهارة المهنية التى تجعل منه سلة من المواد السياسية والاجتماعية والثقافية

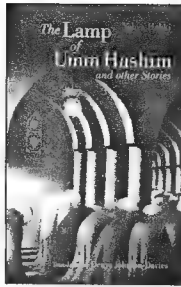
يمكن أن يقدم الكثيره فى هذا المجال إذا تحول بالفعل إلى منبر عام لكل المصريين بحيث يسهم فى بناء مناح اجتماعى ديمقراطى حقيقى لا صورى كما يحدث الآن فى مناسبات عديدة. فالحال، على سبيل المثال أن المعارضة المصرية لا تدعى إلى الإعلام المرئى والسموع لمناقشة القضايا الداخلية، ولكننا ندعى عندما نريد الدولة استخدامها فى خلافاتها مع الآخرين وخاصة مع الإسرائيليين، فالديمقراطية والحرية التى نطالب بها الآخرين، لا بد أن تصبح فى المدام الأول منهاجها سياسيا واجتماعيا ثابتا فى تعاملنا الداخلى قبل أن نطالب به فى تعاملنا الخارجى، ولا فلا يتعامل مصنا العالم على أساس الجديدة والمصادفة.

ولذا سعيها إلى إحداث هذه «القلة السوعية» فى إعلامنا المصرى، تصوران بداية القلة لا بد أن تكون من القاعدة الإعلامية ذات الملائمة المتأخرة معوم الشعب المصرى، وهى تقديري أن هذه القلة السوعية، تبدأ بالإعلام الحلى الذى توجد بالفعل بمساحات مقبولة من محافظات مصر، وبمعنى بالإعلام الحلى، كل البحوثات كانت سواء صحيفة أو مجلة كما فعنى به القنوات التلفزيونية بالإضافة إلى الإذاعات المحلية التى تصدر أو تبت فى القامير مصر. فى كل محافظة توجد على الأقل مطبوعة تصدر من إدارة المحافظة. كما توجد إذاعة محلية بالإضافة إلى وجود خمسة مراكز لتلفزيونية تقدم خدمة لمجموعة محافظات متجاورة جغرافيا وهى الخدمة التلفزيونية التى تقدمها القنوات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة، وهى وسائل إعلام، بكل نوعها، تملك إمكانية التفاعل مع عموم المصريين فى كل المواقع التى يتواجد فيها أى إنسان مصرى لأنها الأقرب إليهم من حيث الطبيعة والموقع والمشاكل واللغة وحتى من حيث الإحساس والرؤية المستقبلية. وهى التى تملك القدرة على فتح مساحات واسعة لأراء عموم المصريين هؤلاء بحيث يجدون أنفسهم وكياناتهم فى إعلامهم الذى يملكونه فى القامير.

حتى الآن يعمل إعلامنا المطبوع والسموع والمرئى، فى المحافظات بإمكانيات تقنية متواضعة للغاية، وتحد هذه الإمكانيات المتواضعة من قدرته على الحركة داخل المحافظات التى يغطيها بحيث إن العاملين فيه يمارسون عملهم وكأنهم ك«الكتيبة



الإعلام السموع لا يزال الأكثر انتشارا بالرغم من كل الضجيج الذى يحدده الإعلام المرئى، وخاصة فى بلاد لا تزال الأمية تقف حائلا بين الإنسان وبين الكلمة المطبوعة



كنت صديقاً ليحيى حقي



دنيس جونسون ديفيس

إلى الشمال، للروائي السوداني العظيم صالح.

وهي بداية حياته العملية كمحام- حيث أصبح بعد سنوات دبلوماسياً يقضي أوقاتاً طويلة في العمل بالسلك الدبلوماسي في العالم العربي وأوروبا. عمل يحيى حقي لسنين في صعيد مصر، حيث اكتسب وعياً فخلط به مشاعر الحب للفلاحين الذين يعملون تحت وطأة الشمس الحارقة وطُرف العمل القاسية. وتعد قصة في سجن، من أطول الثلاثيات التي كتبت عن صعيد مصر في تاريخ القصة القصيرة، والتي صدرت في كتاب بعنوان الدم والطين. إن القصة، مثل العديد من كتاباته تتعامل مع شخصيات، بالرغم من كونها بمثابة المصعد الفقري للوطن، فإنها تظهر بشكل نادر للغاية في الأعمال الأدبية في مصر- في الحقيقة إن هذا الأمر ليس خاصاً بل نصيغاً للكثافة العربية وحدها، حيث إن الفلاحين يشكل عاملاً لا يتم الإشارة إليهم إلا بشكل نادر في الأدب العالمي.

إن حقي، على الرغم من ذلك يستحوذ بدرجة ملحوظة على صلة ودية بالفلاحين والمضطهدين، ويرتبط ذلك بقدرته على وصف شخصيات متواضعة من الحياة بطريقة تخلو من الشعور بالتفوق. ويمكن ملاحظة ذلك في قصة «أم العواجز»، والتي خلق فيها مناخاً غير متباين مع ذلك الذي في روايته القصيرة، وحيث، «الكورس»، في هذه القصة الحرافية يتكون من هذه الكتلة الضخمة من الزخم الإنساني الذي يصنع زحاما في الميدان حيث تدور الكثير من أحداث القصة.

وتظهر قصة القصيرة جداً «قصة في شكل التوبل»، تلك التي ظهرت في وقت مبكر للغاية، والتي فمت بترجمتها ونشرها على نطاق محلي في الأربعينيات، استعادت يحيى حقي لتبني أساليب جديدة من الحكى الروائي.

لدي تصديق لكثبات من الفلاحين، كما حدث في «قصة في سجن»، يرينا حقي كيف أن اللغة العامية يمكن أن تستخدم لإضفاء بعد رائع للكتابة الإبداعية، وبشكل خاص في جذلية الحوار. إن غالبية

العدد السبعون - نوفمبر ٢٠١٤ م

تلك الرواية محاولاته لإنجاز تصالح بين المعرفة العلمية التي حصل عليها في العرب والمعتقدات الخرافية التي تسمك بها أمه وسكان الحي الفقير الذي قرأ ن يمارس الطب فيه. لقد وصفت قنديل أم هاشم، بأنها عمل إبداعي متعمق فكرياً خاصة لدوى الثقافة الريفية حين صنورها. بنفس القدر تعاملت روايات أخرى صدرت في وقت لاحق مع أفكار مشابهة، أبرزها رواية توفيق الحكيم، عصافير من الشرق، وأخيراً أكثرها صراحة، موسم الهجرة

ويرحل إلى لندن بعد نصيبات مالية من قبل والده، لاستكمال دراسته في الطب ولأن الشباب قد أتى من خلفية اجتماعية محافظة، فإن الشاب يجد نفسه فريسة لتصرع بين المؤثرات الحديثة التي تعرض لها في بريطانيا، كملاقته الفرامية مع فتاة بريطانية التي تناقضت مع أسس تربيتة الدينية. عند عودته للقاهرة، تصاعد الصراع بشكل صارخ حينما كان عليه معالجة شكري هاتمة من عينيها، تلك كانت أمة عمه وخبيبته، وعلى هذا المثال

■ كان واحداً من تلك المجموعة الصغيرة التي أرست أسس النهضة الأدبية للأدب العربي في مصر مع منتصف القرن العشرين. لقد ضمت تلك المجموعة من الكتاب الذين شاركوا في هذه النهضة أسماء مثل الطالب المجد والأديب طه حسين، والكاتب المسرحي توفيق الحكيم، وزائد كتابة القصة القصيرة محمود تيمور، وبناطع الروائي نجيب محفوظ.

تعددت أعمال يحيى حقي ١٩٥- ١٩٩٠ لتتملأ كتباً كثيرة في القصة القصيرة والكتابات النقدية، متضمنة كتاباً موجزاً حول القصة القصيرة المصرية بعنوان «فجر القصة القصيرة». كان حقي تأثيراً نافذ في تشجيعه وعطائه للأجيال اللاحقة من الكتاب وذلك من خلال مناصباته الشخصية بهم وبحكم منصبه كرئيس لتحرير المجلة الشهرية «المجلة»، والتي تولى مهمة تحريرها بقدر عالٍ من النكا والموهبة الطبيعية والقدرة على التحليل.

تدليل أم هاشم، هي أطول أعمال يحيى حقي وأكثرها شهرة. وقد نشرت للمرة الأولى عام ١٩٤٤. لقد كانت تلك الرواية القصيرة العمل الإبداعي الأول الذي يصدر بالعربية لمعالجة الصعوبات النفسية التي يواجهها الطلبة العائدون للوطن بعد إرسالهم لأوروبا لاستكمال دراستهم. وعلى الرغم من أنها نشرت منذ أكثر من نصف قرن مضى، فلا زال يبعث قراءتها باستمتاع، بفضل الأفكار التي تدور حولها - كما لخصتها سطور كيلينج حول استحالة التقاء الشرق والغرب، تلك الأفكار التي لا تزال وثيقة الصلة بالواقع الذي نعيشه.

تدور الرواية القصيرة حول شاب

مقدمة كتاب

The Lamp of Umm Hashim and other Stories

(قنديل أم هاشم وقصص أخرى)

Translated by Denys Johnson-Davies

Carro, The AUC Press, 2004, 90pp

ترجمة: رانيا حلاف

وجاهات نصر ٦٤



كتاب الزاوية



عبقرية الداعي

عبقرية محمد

اتفقت أحوال العالم إذن على انتظار رسالة..

واتفقت أحوال محمد على ترشيحه لتلك الرسالة..

وكان من الممكن أن تتفق أحوال العالم وأحوال محمد،
ولا تتفق معها الوسائل التي تؤدي بها رسالته على أحسن
الوجه.

كان من الممكن أن ينتظر العالم الرسول، ثم لا يظهر
الرسول.

وكان من الممكن أن يظهر الرسول في البيت الصالح
وفي البيئة الصالحة، ثم لا تنهيا له الصفات التي يتم بها
أداء الرسالة.

ولكن الذي اتفق في رسالة محمد قد كان أعجب أعاجيب
الاتفاق، وكان المعجزة التي تفوق المعجزات.. لأنها مع
ضخامتها وتعدد أجزائها وتوافق تلك الأجزاء جميعها، مما
يقبله العقل قبولاً سائفاً بغير عت ولا استكراه..

فكان محمد مستكماً للصفات التي لا غنى عنها في
إنجاح كل رسالة عظيمة من رسائل التاريخ.
كانت له فصاحة اللسان واللفظ..

وكانت له القدرة على تأليف القلوب وجمع الثقة..
وكانت له قوة الإيمان بدعوته وغيرته البالغة على
نجاحها..

وهذه صفات للرسول غير أحوال الرسول.. ولكنها هي
التي عليها المدار في تبليغ الرسالة، ولو اتفقت فيما عداها
جميع الأحوال.

القصة تحكي بكلمات بطل المعصية وهو
واحد من الصحراء، مبيتة كيف أن الكاتب،
المعروف بأسلوبه المكثف والثرى باللغة
العربية الفصحى، كان قادراً على
توطيف اللغة العامية بحس خيالي
مماثل لذي يرسم بورتريه نابض بالحياة
لشخصية قد تكون غير قادرة تماماً
على التعبير عن نفسها بلغة أدبية. إن
درجة من الواقعية يمكن الوصول إليها
إذن بدرجة كان من المستحيل الوصول
إليها إذا ما استخدمت اللغة الفصحى
بشكل كامل في مثل هذا النوع من
القصص.

قد يتساءل البعض، من يتحدث
بلغة فصحى بخلاف الشخصيات في
معظم الروايات العربية؟ إنه أمر ذو
غزى، بالتأكيد أن توفيق الحكيم، وهو
من المساهمين الرواد في خلق الأدب
العربي الحديث، قد استغل أيضاً الثراء
العريض للغة العامية في مصر في
العديد من كتاباته، متضمنة الرواية
التي ترجمت تحت اسم Maze of Justice،
يمكن يوسف إدريس أيضاً، وهو
كاتب أصغر سناً كان قد لقي استحساناً
من حقى، من إراء العديد من قصصه
القصيرة مستمداً على تمكنه من اللغة
العامية. إذا كان المعيار الذي يحدد في
الاعتبار هو معيار جمالي صرف، فلا بد
أن اللغة العامية بالثرائك تشكل سلاحاً
إضافياً صمد ذخيرة كل من يكتب
بالغة العربية إن الكتاب كل على حدة
يجب بالطبع أن يتوصلوا إلى فئات
شخصية فيما يتعلق بهذا الأمر.

من بين أهم الكتاب في مصر نجد
أن نجيب محفوظ قد اتخذ موقفاً
متطرفاً حيث تجنب استخدام اللغة
العامية، رغم ذلك ورحمنا تحولت
رواياته إلى أعمال تلفزيونية، استعادت
شخصياته أصواتها الطبيعية.
على خلاف المعتاد، فإن يحيى حقى
الذي سلك حياته العملية خارج النطاق
الأكاديمي، كان يتمتع بمقرونية عالية
بين متداولي الأدب الكلاسيكي، في كل
من الشعر والنثر.

كان يحيى حقى يؤكد دوماً في
نصيحته للكتاب الناشئين على أهمية
امتلاك سطوة حقيقية للغة التي يسعى
الكاتب أن ينقل أفكاره عبرها. لقد كان
حزينا بسبب الانحدار المحسوس لمعرفة

الناس على كل المستويات باللغة العربية.
لقد طالب القامثون على السلطة
الثقافية بمواجهة حقيقة أن اللغة
العربية، على عكس اللغات الأوروبية،
تتميز بامتلاكها لشكلين مكتوب
ومتطوق، لقد شعر أن المشكلة تكمن في
حقيقة أن اللغة الفصحى كانت تدرس
وكانها لغة أجنبية.

كان يحيى حقى، بصفته الإنسانية،
محياً للسفر شرقاً وغرباً. لقد عاش خارج
مصر خلال سنوات عمله كدبلوماسي،
وقد استقال من العمل الدبلوماسي فقط
عند زواجه من امرأة فرنسية. لقد كانت
تلك زوجته الثانية، حيث توفيت زوجته
الشابة الأولى بشكل درامي بعد وضعها
لطمختها. وهكذا وبعد مشوار عمل
قصير في الحماة، تبعتها سنوات عديدة
في العمل الدبلوماسي، بدأ حقى في
تخصيص كل وقته في خلق اسم يحيى
حقى في عالم الأدب.



على الرغم من المارق في العمر،
أصبحت لنا وحقى صديقين خلال
السنوات بين ١٩٤٥ و ١٩٦٩ حينما كنت
أعيش بشكل دائم في القاهرة كمحاضر
في جامعة القاهرة، يبدو أننا رحلنا من
القاهرة معاً في الوقت ذاته تقريباً، حيث
إنني حينما اطلعت على بعض الأوراق
مؤخراً، وجدت خطأً منه قد أرسله إلى
حينما كنت في طوران. على رأس تلك
الرسالة كان مطبوعاً اسم السفارة
المصرية في باريس. لقد كتبت الرسالة
بكثير من الدقة واللفظة بأسلوب جزل
تمتدح فيه اللغتان العامية والفصحى،
كما اعتمد أن يكتب رسالته لأبيهته نبي.
لقد جمعت تلك الخطابات ونشرت تحت
عنوان «رسائل يحيى حقى لأبيهته»، وقد
كتب مقدمة هذا الكتاب نجيب
محفوظ، الذي كان صديقاً حميماً
ليحيى حقى حيث كان يحمل له قدراً
كبيراً من الإعجاب وكان يعمل في وقت
ما تحت رئاسته.

قبل رحيلي من القاهرة عام ١٩٩٤
ناقشت مع يحيى حقى رغبتى في نشر
كتاب عام مترجم للإنجليزية بهدف
إظهار كيفية ممارسة كتابة القصص

كتاب الزاوية



القائد البصير

عبقريّة محمد

لم يكن الإسلام إذن دين قتال ولم يكن النبي رجلاً مقاتلاً يطلب الحرب للحرب أو يطلبها وله مندوحة عنها، ولكنه مع هذا كان نعم القائد البصير إذا وجبت الحرب ودعته إليها المصلحة اللازمة، يعلم من فنونها بالإلهام ما لم يعلمه غيره بالدرس والمران، ويصيب في اختيار وقته وتسيير جيشه وترسيم خططه إصابة التوفيق وإصابة الحساب وإصابة الاستشارة، وقد يكون الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة تقتنر بآية الابتكار والإنشاء، لأن القيادة الحسنة هي القيادة التي تستفيد من خبرة الخبير كما تستفيد من شجاعة الشجاع، وهي التي تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام.

وقد كانت غزوة بدر هي التجربة الأولى للنبي - صلى الله عليه وسلم - في إدارة المعارك الكبيرة، فلم يأنف أن يستمع فيها إلى مشورة الحباب بن المنذر حين اقترح عليه الانتقال إلى غير المكان الذي نزل فيه، ثم وعى من تجربة واحدة ما قل أن يعيه القادة المنقطعون للحرب من تجارب شتى فلو تتبع - صلى الله عليه وسلم - ناقد عسكري من أساطين فن الحرب في العصر الحديث ليقترح وراء خطته مقترحاً أو ينبه إلى خطأ، لأعياء التعديل.

والأقرا مؤخرًا عن بداية حياة حقى، أنه ولد لأبوين متواضعين في حي فقير بالقاهرة، وأنه قد عانى من الصعوبات المادية لفترات طويلة، وخاصة في الفترة التي سبقت انتهاء حياته الطويلة. في فترة ما، تم اقتراح اسمه لنيل جائزة صدق حسين، ولكنه أصابه الريب من فكرة قبوله لهذه الجائزة واضطراره لصاحبة يد تلوثت بدماء المسلمين الأبرياء.



في الحقيقة، لقد ساعدته جائزة الملك فيصل للخروج من صفاقته المادية، على الرغم من أنه في ذلك الوقت لم يكن لائقاً من الناحية الصحية للتسفر إلى السويدية لاستلام الجائزة. المناسبة الأخيرة التي جعجتنا معاً كانت حينما طلب منه إلقاء كلمة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لدى فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب. لم يلق محاضرة في ذلك اليوم، ولكنه قام بالإجابة بأسلوب تلقائي غير معد مسبقاً لأسئلة أرسلت له على قطع صغيرة من الورق من الجمهور، وكانت الأسئلة تقرا لحق بصوت عال.

كان سؤالاً الشخصى يستفهم عن أمر محير بالنسبة لي، كيف أن الأدب المصرى يعكس قدرًا قليلًا من المرح والفكاهة. برغم أن المصريين قد اشتهروا بحسهم بالدعابة والفكاهة. لم يجب بالقدر الكافى على سؤالى ولكنه اتفق معى فى الراى، ربما لأنه، كما علمت فيما بعد، قد كتب مقالاً يأسى فيه للحسن المكتسب العام الذى يظهر فى الكثير من الكتابات المصرية الحديثة. أتذكر أن أحد الحاضرين سأله عما إذا كانت قد راودته فكرة أنه في يوم من الأيام قد يحصل على جائزة نوبل. ابتسم ابتسامته الساخرة تلك، قبل أن يجيبه بأنه لم يمت نفسه قط بمثل هذا الحلم، لأنه كان يعي جيداً أنه في مكان آخر في القاهرة، هناك شخص ما يكتب بدرجة عالية من الموهبة، والإخلاص والمثابرة بدرجة تفوقه شخصياً.

لقد كان دومًا أكثر الناس تواضعاً. ■

القصة في العالم العربى، لم يسبق أن طرح مثل هذا المشروع، وكان يمكن، كما شعرته، أن يضع الأدب العربى الحديث «على الخريطة»، وخاصة إذا ما قام نادر إنجليزى معروف بهذا العمل. بينما كنت أعيش خارج مصر، كنت أقوم بزيارات على فترات منتظمة للقاهرة، وفي كل مرة كنت أحرص على الاتصال ببيحيى حقى في كل مناسبة كان يهيئنى بابتسامة عابثة، مستفهماً، كمن يشارك في مؤامرة، ماذا أصاب كتابى الشهير عن القصة العربية، لقد كان لدينا سوا ذلك الشعور بأن هذا لم يكن سوى أمل كاذب. في الحقيقة، القضى تحقيق هذه الفكرة عشرين عاماً قبل أن انتهى من جمع المادة الكافية لمل هذا الكتاب، بعد ذلك كانت لا تزال تواجهنى مهمة شاقة أخرى، بالنسبة لشخص ليس لديه العلاقات الضرورية لإيجاد ناشر باللغة الإنجليزية لتوفر لديه الرغبة في الاضطلاع بمثل ذلك المشروع الاستثنائى، على الرغم من ذلك، جاء اليوم المنتظر، حينما تعرفت بشعر كبير من الحظ الطيب على شخص على صلة بشخص آخر في دار نشر جامعة أكسفورد. فقد تمت الموافقة على نشر الكتاب في إطار كونه منحة تعليمية. بشكل طيبعى، لم أبدأ أى اعتبار، بل كنت سعيداً أنني سأزف إلى يحيى حقى في زيارتى القادمة للقاهرة أنه لم يكن قادراً على نشر كتاب «القصة العربية القصصية الحديثة»، سوى دار نشر جامعة أكسفورد. وكأمر مسلم به، كان الكتاب يحتوى على قصة ليحيى.

كان يحيى حقى من ذلك الصنف من الناس الذى يحب الاعتراف بهس حوله، لقد طوق باهتمامه جميع من حوله من الناس من كل طبقات المجتمع، حتى أن رعايته تلك امتدت إلى الحيوانات. إن ذلك يمكن تلخيصه فى الكثير من أعماله الإبداعية، على سبيل المثال في وصمه لوهة كلب يسبب تسممه فى «قصة فى سجن» من بين الأقوال المأثورة والكتابات المذكورة فى كتابه لأبنته هذه القولة: «لا أعرف شيئاً يمكن أن يكمل إنسانية المرء مثل إكرام الحيوانات الخرساء».

لقد أصابتني الدهشة حينما علمت،

المستهلكون وجيوشهم

للطعام، الماء، والطاقة، والسياسات الاستهلاكية، بالإضافة إلى فصل يحاول أن يحدد لنا ملامح ومعنى (الحياة الطبية)، وقد شارك بكتابة هذا التقرير خبراء اختصاصيون، حاولوا - في مجمل إسهاماتهم - أن يجيبوا على سؤال مهم، هل بإمكاننا، نحن البشر، أن نحقق مجتمعاً إنسانياً أقل استهلاكاً؟ ويؤكد التقرير، في عمومته، على أن مثل هذا المجتمع ضرورة.

ويشير التقرير، في الفصل الأول، إلى أن عالمنا المعاصر ينتج ويستهلك بمعدل أكبر من مجمل ما أنتج واستهلك على مر تاريخ البشرية، إذ ينتج عمال الصناعة المعاصرين، في أسبوع واحد، ما كان نظرائهم، بالقرن الثامن عشر، ينتجون في أربع سنوات، أما من الاستهلاك، فيفكي أن تراجع إحصائية بسيطة، تقول أرقامها بأن قيمة الانفاق الاستهلاكي الخاص، أي ما أنفقه الأفراد على السلع والخدمات، تضاعف أربع مرات، في الأربعين سنة الأخيرة من القرن العشرين، ووصل إلى ٢٠ تريليون دولار، بالعام ٢٠٠٠.

ومن ملامح هذا العالم، أيضاً، أن حدود طبقة المستهلكين، التي كانت مقصورة، فيما مضى، على أغنياء العالم بأوروبا وأمريكا الشمالية واليابان، السبعة، ودخل فيها (أغنياء جدد)، ينتمون إلى الطبقات المتوسطة، في الصين والهند وكثير من الدول النامية، حتى أصبح تعداد هذه الطبقة بليوناً وبسبعائة مليون مستهلك عالمي (انظر الجدول رقم ١)، لهم اختياراتهم الخاصة من الطعام، ولا يكفون عن السفر والاتصال من مكان لآخر في الحياة الدنيا، بما يتفق وأسااليبهم في العيش؛ ثم إن السلوك الاستهلاكي قد تجاوز وظيفته الأساسية، وهي إشباع كل الرغبات، وتحقيق كل الأحلام في حياة رغبة هائلة، فأصبح هدفاً بحد ذاته.

كما أن هذا العالم المعاصر مليء بالمتناقضات، فبينما طبقة المستهلكين متممة، يصارع بليونان وثمانمائة مليون من سكان العالم، من أجل الاستمرار في الحياة، اعتماداً على دخل فردى لا يزيد على دولارين، في اليوم الواحد، وبين هؤلاء المعدمين، بليون إنسان لا يجدون سبيلاً إلى مياه تصلح للشرب (يجسد الجدول رقم ٢ المقاربات الشديدة بين أوجه

الذين ياملون أن يروها - يوماً ما - على مواهبهم!



وفي الذكرى الثلاثين لتأسيس هيئة (وورلد ووتش للإستيتيوت) - مرصد العالم -، ليهتم برصد توجهات مجتمع المستهلكين، وليخبرنا كيف نستهلكه، ولماذا، وتبعاً لخياراتنا الاستهلاكية على الحالة العامة للبيئة البشرية على الأرض، وعلى رفاهنا في الإنسانية، يشاركونا الحياة في هذا الكوكب المرهق. ويشرح هذا التقرير على فصول

المتحدة وغيرها من الأمم الغنية، هافت كل حدود، وتجاوزت قدرة الأرض على التحمل، وأحياناً، تهدد الحالة مستقيمة، وعلى سبيل المثال، لا يزال ٩٠٪ من الورق المستهلك في العالم يأتي على حساب أشجار الغابات، إذ تآكل صناعة الورق، في الوقت الراهن، خمس ما يستقطع من هذه الأشجار. أما المحزون السمكي العالمي، فقد جارت عليه شبكات الجر القاعية، التي تكتسح كل ما تقابله على قاع المحيط، فكانت النتيجة أن تهرض ٧٥٪ من مساحة مسامك العالم المهمة لاهترازات في محرونها، مما يعني تناقص إنتاجيتها مستقبلاً بشكل يؤثر على كل من يفرطون في استهلاك الأسماك، وأولئك

■ يبلغ تعداد مجتمع المستهلكين في العالم بليوناً وبسبعائة مليون آدمي، إنه المجتمع المسئول عن الصعوط الوالفة على الأنظمة البيئية، بما ينتج عنها من مستودعات فمامة متصخمة، واستنزاف للموارد الطبيعية، وانتشار لظاهرة البدانة، بكل دولاتها، بين عدد كبير ممن ينتمون لهذا المجتمع. إن شهية مجتمع المستهلكين تزدرد كل العرص لتحسين أحوال الحياة، لصالح اغنياء العالم وقرائه، على السواء؛ فأعضاء هذا المجتمع يفرطون في استهلاك السلع والخدمات على نحو يصرب عرض الحاصلات بكل مفهوم لعمى الاستدامة؛ فذلك السيلوك الاستهلاكي الجامع يديس في طريقه كل شيء، وييسى إلى حياة المستهلكين أنفسهم، ويجعل العالم يهقد أثرانه الطبيعي، ويتربح. وفي مقابل هذا المجتمع المنتم، يوجد مجتمع آخر من الجوعى والفقراء والمشردين، يبلغ تعداده بليونين وثمانمائة مليون إنسان إن أحداً لا يمكنه إنكار أن الاستهلاك ضرورى لإقامة الصناعات وتنشيط حركة التجارة، وخلق فرص عمل جديدة، ولكن زيادته بهذا المعدل غير المسبوق، كقيلة بتقويض أسس أنظمة الأرض الطبيعية، التي تعتمد عليها حياة كل البشر، مما يجعل العقراء أشد برؤساً

إن هذا المجتمع الاستهلاكي يقوم على، ويديم - بالولت داته - ما يمكن تسميته بالمنتجات الاتلافية، مثل صناعات السيارات، ومرابى الدواجر، وصناعات الأخشاب، وبالرغم من قوة هذه العلاقة، فمن الممكن مدافعها، إذا تبنى قطاع الأعمال والحكومات ومؤسسات المجتمع المدني خططها لتشجيع المنتجات الأقل خطراً على البيئة.

وكما سبق أن أشرنا، فإن للاستهلاك فوائد؛ ولكن معدلاته الحالية، وبخاصة عند كبار المستهلكين، هي، في الولايات

State of the World 2004 - Special Focus 'The Consumer Society' (تقرير حالة العالم ٢٠٠٤، نظرة خاصة إلى توجهات مجتمع المستهلكين) World Watch Institute January 2004 - 245 pages.



بينما طبقة المستهلكين متخمة، يصارع بليونان وثمانمائة مليون من سكان العالم، من أجل الاستمرار في الحياة، اعتماداً على دخل فردى لا يزيد على دولارين، في اليوم الواحد



...معدة العالم في خطر

رجب سعد السيد

من التقرير أن (الطعام) من يعانون (عور الطائفة) في العالم أقل من ذلك بكثير، فهم لا يتعلمون - في الغالب - إلى نمط الحياة الأوروبية أو الأمريكية، بل يرزقهم قدر من الطائفة يفي بحاجتهم الضرورية من الضوء، ليا مونا ويتعلموا، ويوضحون، المياه، يشربوا ويرزقوا لقمة استهلاك أغنياء العالم وفقرائه من (السقف) إذا فكروا في حاجة كهربية تحفظ أطمعهم؛ فالذين شاسع بين استهلاك أغنياء العالم وفقرائه من الطائفة، لا يستهلك الفقراء أقل من الأغنياء بمقدار ٢٥ مرة. إننا نحدث هنا عن (أغنياء مسرفين)، بينما يوجد أغنياء يستهلكون الطائفة بعير إفرات، ويمشون (حياة طيبة) - ولغة مثلاً - واضحا على ذلك، البهايا، والنتروجي؛ حيث يرتفع مستوى معيشة الأفراد، بينما يقل كثيراً معدل استهلاك الفرد من الطائفة عن نظيره الأمريكي.

وعلى كل حال، فإن بيد الحكومات أن تفعل الكثير من أجل استدامة الطائفة وتحضرها، أو بمعنى آخر، تنظيف وترشيد إنتاجها واستهلاكها، صونا لواردها، وحماية البيئة فيمكنها - على سبيل المثال - تبني سياسات للحفاظ تعتمد على قوانين حارمة ومعايير قياسية، تدعم الالتزام، وتعرض الضرب على المخالفين. كذلك، يمكن للأفراد أن يؤثروا في قضايا الطائفة، بمراجعة القرارات الجماعية، التي يتخذونها كمستهلكين، فلا يقبلوا على المنتجات والخدمات التي تستهلك كميات كبيرة من الطائفة، كما يمكنهم كراي عام، وكأعضاء في مؤسسات المجتمع المدني التأثير على مراكز صنع سياسات إنتاج واستهلاك الطائفة، ويتناول التقرير، في الفصل الثالث، مسائل إنتاج واستهلاك المياه العذبة، وهي مسائل حاكمية في خطط التنمية؛ فالجمع الأمن، الذي يتوخى أن يتوفر لبرامج التنمية فيه عنصر الاستدامة، هو الذي يصمي لتلبية احتياجات أفراد من المياه، دون أن يجور على الأنظمة البيئية؛ ويرى محصر هذا الفصل من التقرير أن هذا الهدف قابل للتحقق، بتنظيم الجهود، في مواجهة تحديات حقيقية...

لقد تعاملت تأثير البشر على أنظمة وموارد المياه

القرن العشرين تطورا كبيرا في كفاءة استخدام الطائفة، وكان ذلك أجدر بأن يخفف، من الضغط على مصادرها؛ غير أن ذلك لم يحدث، إذ صاحب ذلك التطور تبدلات هائلة في أساليب -حياة- طبقة المستهلكين المحاصرين، فازداد لهما للطائفة، لتتبع سيارات أكثر وكبر وأسرع، ولتتميز في منازل لا تتوقف فيها أجهزة التكييف وغيرها من أجهزة منزلية كهربية، من العمل؛ ومن جانب آخر، أصبحت موارد الطائفة بالعالم محدودة القدرات، ولم تعد قادرة - حسب التقرير - على أن تحقق لكل إنسان في العالم رغبته في أن يعيش بأسلوب حياة الفرد الأمريكي أو الأوروبي متوسط الحال. حسنا، لقد غاب عن محصر هذا الفصل

استهلاكنا، وإعادة ترتيب أولوياتنا الاستهلاكية، فلا يكون تركيزنا على إنتاج هائل الحجم من سلع تفرق الأسواق، بل يسبقه توجه إلى تحقيق حياة أفضل، تأسسها على نوعية الفضل، وليس أكثر، من السلع والخدمات، تتضائل أضرارها البيئية.



ويشدد التقرير الفصل الثاني لاستهلاك الطائفة؛ فلا أحد يستغنى عنها، فليها تقوم كل عمليات إنتاج ومقومات الحياة، من طعام وشراب وملبس وسكن. وقد شهد النصف الثاني من



من حقنا. بل من واجبنا إزاء أنفسنا وإزاء بيتنا. أن نتحقق من أن ما نأكله خال من المواد الحافظة للشبوة، ومن المبيدات والهرمونات ومضادات الحيوية؛ وهي كلها كيماويات تضر بصحة البشر وسلامة البيئة

إنفاق الأغنياء وتكلفة تلبية احتياجات فقراء العالم). كما أن توزيع المستهلكين في العالم يضيف إلى هذه التناقضات ما يؤكد؛ فالمستهلكون الأغنياء في الشمال الأمريكي والغرب الأوروبي، وهم لا يمثلون إلا ١٢٪ من تعداد سكان العالم، يبلغ نصيبهم ٦٠٪ من مجمل الإنفاق الاستهلاكي العالمي، بينما لا تزيد نسبة إنفاق ٣٣٪ من سكان العالم، وهم فقراء جنوب آسيا وجنوب الصحراء وفي إفريقيا، على ٢،٣٪. وتأثير للشفة والاستقرار أن هؤلاء الفقراء، الذين لا يقدرون على الإنفاق الاستهلاكي، يعيشون في بلاد غنية بالموارد الطبيعية، التي تنسرب إلى أغنياء عالم غلاة المستهلكين عبر حركة تجارة عالمية متزايدة، بمباركة أنظمة إدارة (وعائية) يضرها الفساد، ويجبرينا، هنا، أن نتوقف لتراجع مقولة ريت إلبا من الغرب - وليس كل ما يأتي من الغرب يسير القليل - (الاستدامة)، أو أي ترجمة تشاء للاصطلاح الأعجمي (Sustainability)، والذي يعني، في ظاهره، تقنين أو ترشيد استهلاك الموارد الطبيعية، حتى لا نضف قدراتها الإنتاجية، لتخدمنا بالوقت الراهن، وننظف محتفظة بقدرتها على خدمة أجيال تالية؛ ولغة شواهد كثيرة تكشف ما وراء هذا المفهوم؛ ففي وجود الأنظمة الإدارية الفاسدة، والحيثيات من التجار، تنسرب هذه الموارد، تستفيد أنماط الاستهلاك في الدول الغنية، التي تملك شراء منتجات هذه الموارد الطبيعية، ومعها ضماير تفر من القاشمين على إدارتها، مستترين وراء فكرة الاستدامة، التي هي، في واقع الأمر، كيست أكثر من (سقف)، لا يجب على مؤسسات التنمية الوطنية تجاوزها، ولا تهتم بالإساءة للأنظمة البيئية ومواردها الطبيعية.

إن من حق هؤلاء الفقراء أن يجدوا ما ينقلوه على سلع وخدمات تحسن أحوالهم المعيشية؛ أما أن تستمر الصورة على ما هي عليه، وإن يعضى العالم بهذا المسار المحتل، فهذا أمر مخزى بالخطر، وذلك لأن الأنظمة البيئية الطبيعية لا يمكنها أن تتحمل أكثر هذا الوضع الذي ترسخ في القرن العشرين، وبات يمثل تحديا حقيقيا للبشرية في القرن الحالي.

ويخلص هذا الفصل إلى أننا نحن البشر بحاجة لإعادة النظر في أساليب





معظم الأنظمة الاقتصادية في العالم الصانع لا يهتم بإنتاج السلع معمرة بقدر اهتمامه بالمسلع الوتيرة، أي تلك التي تستخدم مرة واحدة ثم تبطل، ليعود المستهلك - حين يحتاج إليها مجدداً - ليشتريها مرة ثانية، وثالثة... إلخ. ويساعد على إقرار هذا النمط الاستهلاكي سهولة إنتاج كميات ضخمة من تلك السلع، وانخفاض ثمنها نسبياً، ومن جهة أخرى، فقد عمل السلوك الاستهلاكي الجامع على ترسيخ هذا التوجه الاقتصادي، كما غذاه رغبة دائمة في تحقيق معدلات متزايدة من النمو الاقتصادي. وقد أدى ذلك كله لسحب البضيرة إلى شحها هو بنية سحيقة، فتحت نميش في عالم آخر جانب من سكانه على استغلال موارد، لم يجاروا عليها؛ ومن ناحية أخرى، فإن التلوث يضر بهواء ومياه الأرض، تضع أهل الأرض أمام تحدٍ بالغ الصعوبة، فهم مطالبون بتخفيف وطأة ضغوطهم على الموارد الطبيعية المتاحة، كما يستدعي أن يبادر الأغنياء بالاستقانة من بعض مظاهر الرشد والرفاهية، لينخفض استهلاكهم من الطاقة والمعاد الأولية المختلفة بمقدار ١٠٪ في العقود القليلة القادمة؛ ولعلنا نجد من يشاركنا التشكك في احتمال أن يتحقق ذلك.

ويكتسب لنا الفصل السادس من نوع (الإنفاق) الاستهلاكي، يلعب دوراً حاسماً في رسم ملامح خريطة الاستهلاك العالمي، هو (الإنفاق الحكومي، أو المؤسساتي)؛ إذ تبين أن مجمل ما تنفقه الشركات، والإدارات الحكومية، والمنظمات الدولية، والجامعات، وما شابه ذلك من مؤسسات ومؤسسات، على السلع والخدمات، يشكل الخدمات في السنة الواحدة، ما يفوق الناتج الإجمالي المحلي لعدة دول، وفي بعض الدول الصناعية الكبرى، تبلغ قيمة المشتريات الحكومية ٢٨٪ من قيمة ناتجها الإجمالي المحلي؛ وقد اشترت حكومات دول الاتحاد الأوروبي، بإجماع ٢٠٠١، بضائع وخدمات زادت قيمتها على تريليون دولار؛ ما يوازي ٧٤٪ من الناتج الإجمالي لتلك الدول، وتبلغ هذه النسبة، في دول أمريكا الشمالية، ١٨٪، وتزداد قيمتها الفعلية على ٢ تريليون دولار في السنة؛ كما بلغ إنفاق الأمم المتحدة على السلع والخدمات التي

حالة وفاة سنوياً، بالإضافة إلى مصاريف الرعاية الصحية، التي بلغت في عام ١٩٩٩ وحده، ١١٧ بليون دولار، إن ذلك يدعو إلى مراجعة اختيارنا وأساليبنا الغذائية؛ وقد تكون الخطوة الأولى هي هذه المراجعة في تأسيس معايير صحية للطعام، توفر لنا السلامة، فلا نكتفى بمعيار وحيد، مثل محتوى الطعام من السعرات الحرارية؛ فمن حقنا - بل من واجبنا - إزاء أنفسنا وإزاء بيئتنا - أن نتحقق من أن ما نأكله خال من المواد الحافظة المشبوهة، ومن المبيدات والهormones ومضادات الحيوية، وهي كلها كيماويات تصير بصحة البشر وسلامة البيئة. وبالإضافة إلى هذه المعايير الضرورية، فإن مقدور (الأكلين) أن يحدوا تغييرات عميقة ومؤثرة، من خلال ما يصنعونه على موائهم، إذا قللوا من اللحوم، وقاطعوا المنتجات الزراعية المعتمدة على الكيماويات، وتجنبوا استهلاك الطعام المستورد (القادم من بعيد)، لصالح المنتج المحلي، وعلى أي حال، فإذا لم يكن لنا حيلة في التغلب على ما يتوافر كان علينا أن نأكل ما يقدم لنا، فمن حقنا - كأدمين - بل من مسؤوليتنا، أن نعرف أساليب إنتاج هذا الطعام الذي أرقمنا على ازدهاره.



ويتعرض الفصل الخامس من التقرير للعلاقة بين النظام الاقتصادي وأساليب الاستهلاك؛ فيشير إلى أن

طرق الإنتاج وأساليب الاستهلاك؛ وعلى هذه القوة المستهلكة، وهي تنتمي أعمدها، أن تكون على وعى بالأنظمة الزراعية والتصنيعية المنتجة للطعام، وأن تنحاز إلى جانب تلك التي تراعى صحة الأكلين وسلامة البيئة. إن بعضنا يتناول أطعمة لا يعرف عنها إلا الدولة التي صنعت فيها، كما تقول البيانات الملتصقة على عبواتها. لقد تصحمت أنشطة تجارة المواد الغذائية، وباعتت بينا وبين مواقع إنتاج وتصنيع هذه الأغذية؛ ولم يقتصر هذا التباعد على الجانب الجغرافي، بل إن ثمة تباعداً نفسياً، فإنك حين تعرف أين وكيف يصنع الطعام الذي تضعه على مائدتك، ويكتف حوله أفراد اسرتك، ينشأ لديك حال من الاطمئنان، تقمده في حالة العكس، فلهنا، كمستهلكين، إدراك أن الأطعمة التي تصنع وتغلف، وتقطع آلاف الأميال، في عمليات نقل وتوزيع، قبل أن تصل إلى مائدتنا، يتعدى ثمنها ما ندفعه من جيوبنا؛ فثمة كلمة إضافية، متمثلة في التباعد البيئية والصحية المترتبة على إنتاجها وشيوعها بين الناس، وأهم هذه التبايدات، صور من التلوث المرتبط بعملية الإنتاج - ازدياد ظاهرة البذرة - كإنتاج عذبة الأحياء حول الوجبات، أمام الزرعة إلى (التقاط) الوجبات السريعة (تيك أواي)؛ ومن جهة أخرى، يجعلنا أسلوب استهلاك الطعام، واختيارنا لما نأكل، عرضة لأخطار صحية كثيرة؛ وعلى سبيل المثال، يعاني ٦٥٪ من الأمريكيين درجات متفاوتة من السمنة، تكلفها ٣٠٠ ألف

العربية في نصف القرن الماضي، مع تزايد تعداد سكان العالم، وتبذل أساليب استهلاكهم، خصوصاً الطلب على المياه ثلاث مرات، خلال هذه المدة. وقد استدعى هذا الطلب المتزايد إنشاء مزيد من السدود في العالم ففقر عددها من ٥ آلاف سد، في العام ١٩٥٠، إلى ٤٥ ألف سد، بالعام ٢٠٠٤، ويسجل التقرير ملاحظة مهمة، وهي أن المزارعين - في مجملهم - لا يهتمون إلا بتسجيل الجوانب الإيجابية لهذه القرعة الهائلة في عدد السدود ومشايخ الري وتنظيم المياه العذبة في العالم، متجاهلين أو مهينين في كلفتها الاجتماعية والبيئية، المثبتة في النازحين والمهجري، وتلجج التربة الزراعية، وتغير أنظمة المصايد، وفقدان أنواع من التلوثات المائية المهمة. وفي معظم الأحيان، تحسم القضية لصالح الشركات التي توفر المياه لحظتها للتنمية؛ والتحقى هذا، هو كيف يتحقق التوازن بين إيجابيات هذه المشروعات وسلباتها. ومن التحديات التي تطرحها قضية موارد المياه العذبة في العالم، أيضاً، الشاغل الشديد في الاحتياجات والمناطق استهلاك المياه العذبة في الصين، المقرر والعنى؛ فأول الأولويات في الأول، الذي يسمى دائماً بالنامي، هو إمداد الناس بحاجاتهم الضرورية من المياه النظيفة والمرافق الصحية، غير أن القدرات الطبيعية والتنمية، في كثير من الدول التي تنتمي لهذا العالم، تعاس قصوراً يحجزها عن توفير هذه الاحتياجات الأساسية، على العكس من ذلك، يتحد التحدي، في عالم الأغنياء، شكلاً آخر، حيث تصجر إدارات إنتاج وتوزيع المياه في العالم الصناعي المتقدم، عن كبح جهات استهلاك المياه في أغراض زهريه، مثل رى مروج رياضة الجولف، وبالرغم من هذا التباين في الاحتياجات واتماط حاجاتهم العذبة، يشترك العاملان الصانعي والنامي، في تلويث وإهدار كميات كبيرة من المياه؛ وإيضاً في الحاجة إلى تصغير وريادة كفاءة الإدارات القائمة على استهلاك المياه. ويندعو التقرير الرابع من التقرير إلى أن نطرح، كأول قائم عاملاً، إن سكان (أفراد) أكثر من بلايين إنسان، هم كلمة السبيلة - تلك أن تخليج حجم تأثير قرارات يجمع عليها هذا العدد الهائل من البشر - أو، حتى، نصفه - فيما يخص الطعام فقط، فمحمل احتياجاتنا كمستهلكين هو الذي يحدد

الجدول (رقم ١)

توزيع الأنصبة من الاستهلاك على المستوى الخاص، مقابل تعداد السكان، في مناطق مختلفة من العالم (نسبة مئوية)

المناطق	فيها من الاستهلاك الخاص، عالياً	تعداد السكان (بائتمية لتعداد العالم)
الولايات المتحدة وكندا	٣١.٥	٥.٢
أوروبا الغربية	٢٨.٧	٦.٤
شرق آسيا	٢٤.٤	٣٣.٩
أمريكا اللاتينية ودول الكاريبي	٢٣.٧	٨.٥
أوروبا الشرقية وأواسط آسيا	٦.٧	٧.٩
جنوب آسيا	٢.٠	٢٢.٤
أستراليا ونيوزيلندا	١.٥	٠.٤
الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	١.٥	٤.١
جنوب الصحراء الأفريقية	١.٢	١٠.٩



استهلاكية هيئاتها وبرامجها المختلفة، في العام ٢٠٠٠، أربعة عشر بليون دولار. وتتميز الجامعات بين المؤسسات والهيئات التي تفرط في الإنفاق على استهلاك السلع والخدمات؛ وهذا أمر مخير للدهشة؛ فالجامعات، كما هو متوقع، مؤسسات خدمية بالدرجة الأولى، تنتج وتقدم خدمات التعليم والبحث العلمي للطلاب، ولغيرها من مؤسسات المجتمع، فالأولى بها والأولى لها أن تسبق صحتها كمؤسسات منتجة صحتها كمؤسسات مستهلكة، غير أن هذا التقرير يشير إلى أن إنفاق الجامعات في العالم على شراء السلع والخدمات يقدر بـ ١٥ بليون دولار، سنوياً، وتشتمل قائمة الإنفاق الاستهلاكي لها على بنود متنوعة، من مبان ومبشآت ومخيمات، إلى الوجبات السريعة. وقد انضمت الجامعات الأمريكية على سبيل المثال، في العام ١٩٩٩، أكثر من ٢٥ بليون دولار، على السلع والخدمات، وهو ما يوازي ٢٪ من الناتج الإجمالي المحلي الأمريكي.

إثر نشاط هؤلاء المستهلكين الكبار، يؤثر على استهلاك الأفراد؛ فقدرتهم الإنفاقية الضخمة تلحق هزات كبيرة بالأسواق، وتسحب السلع من أمام الألف المستهلكين الأفراد.

وتعتمد الفصل السابع عشر من الاستهلاك والعلوّة والحاجة للاقتصاد، ويصالح - كما هو واضح - الأرقام التي شهده عهد التسعينيات من القرن المنقضي، بين ثبات العلوّة الجارفة وتنامي الاقتصاديات الاستهلاكية. لقد كان ذلك مصحوباً بانتعاش اقتصادي وفير المزيد من السلع والخدمات. جعلها يمتثلون القوى الشرائية الاستهلاكية، كما واكبه تدفق لروسي الأموال عبر الحدود الدولية. وقد اعتمد ذلك كله على تصخم واضح وسريع في حركة تجارة مواء أولية، جاءت من موارد طبيعية واقعة أصلاً - ومنذ زمن طويل - تحت ضغوط استغلال جائر وإدارة بيئية جانبها السد، مثل مساهمات العالم، والغابات الاستوائية، وبعض المناجم، ويتساءل القارئ ألا يمكن للعلوّة أن تعادي توجهها نحو أنماط وأنماط إنتاجية واستهلاكية يتحقق فيها عنصر الاستدامة، بمعنى أن نهدد السيل لتخلق الاقتصاد على أن يأسس على صون وحماية موارد العالم، لا على إهلاكها أكثر بالاستغلال غير الرشيد. يقول التقرير إن ذلك ممكن، شريطة أن تتم بعض الإجراءات، مثل تقوية الانضباطات والمعادن البيئية

مع استقصائي، أجرتها مؤسسة أمريكية العالم (ورلد ونش إنستيتيوت)، هي مختصم القرن الماضي (١٩٩٩/٢٠٠٠)، لدراسة أحوال المعيشة في ٦٥ دولة، تبين أن الرضا عن الحياة والدخل، يسيران في تساق، حتى يصل الدخل السنوي للفرد إلى ١٢ ألف دولار (بالقيمة الشرائية للدولار في العام ١٩٩٥). بعدها، لا تصيب الزيادة في الدخل إلا ارتفاعاً طفيفاً في الإحساس الشخصي بمعنى السعادة. وينتهي الفصل الأخير من التقرير بالدعوة إلى ضرورة مراجعة ما استقر لدينا من معنى للرخاء، فلا يكفي الشراء، جمع وتكدس للملح؛ فلا يكفي الشراء، وحده، لتحقيق مستوى معيشة طيب، لا يسهفه عوامل أخرى مثل الحرية والصحة والأمن والعلاقات الاجتماعية الحريضة. وكان من الطبيعي أن تشير هذه التوجهات الاستهلاكية بالسمعة كدر وسخط بعض النصار البيئية وصانعي السياسات الاقتصادية، وقد تبخض ذلك عن بعض الأفكار والإجراءات المقترحة، التي يرونها كمية بوقف هذه النوعية الاستهلاكية المنهضة، منها:

- ١ - فرض ضرائب على المنتجات المتسببة في إيداء البيئة، بتلويثها أو الضحك على مواردها الطبيعية؛ وبالتوفيق ذاته، وضع معايير وآليات لمراقبة الإنتاج، من شأنها التقليل من الأثر السلبية على حيوية الموارد الطبيعية.
- ٢ - تشجيع سياسات استعادة المنتجات بعد انتهاء استخدامها واستثمار، لعرض منها، والزام الشركات المنتجة بأن تسترد هذه المنتجات بعد انتهاء فترة صلاحيتها، فلا تلقى في مستودعات الخلفاء، ولا تحرق، كما يخفف الضغط على طبيعة الأنظمة البيئية.
- ٣ - إطالة عمر المنتجات، وتصنيعها بحيث يسهل إصلاحها إذا هبطت، وتحديثها عند الضرورة، وتقليل كمية وعدد الخلفاء المستخدمة في تصنيعها؛ وهذا إجراء إضافي، كفيل بصون الموارد الطبيعية، وتقليل الخلفاء.
- ٤ - كما أن السلوكيات الاستهلاكية بحاجة إلى قرارات أخرى، تصب في بالذات، يتخلها المستهلكون أنفسهم، على المستوى الفردي، وتتعلق بما يستهلكونه في حياتهم اليومية من طعام وماء وطاقة... إن هذه القرارات - في مجموعها - تشكل قوة هائلة، توجه سياسات الإنتاج والاستهلاك. ■

الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يفرق المستهلكون عن طرفان من السلع الاستهلاكية والخدمية، وحيث يتسم السلوك الاستهلاكي بالغاالة - وعلى سبيل المثال، إزاد عدد المنازل في ربع قرن (١٩٧٥ - ٢٠٠٠) بنسبة ٢٢٨، مع انخفاض متوسط عدد سكان المنزل الواحد؛ كما أن عدد السيارات الخاصة التي تجرى على الطرق الأمريكية يفوق العدد المأذون له بالعمل من قبل الجهات الإدارية؛ ومن مؤشرات زيادة الاستهلاك الأمريكي، أيضاً، زيادة متوسط حجم الميراثات المنزلية بنسبة ٢١٠٪ في الفترة من ١٩٧٢ إلى ٢٠٠١، ومن زيادة متوسط عدد وحدات التبريد في المنزل الواحد. فهل ارتبطت هذه الزيادة في الاستهلاك بزيادة المواطن الأمريكي؟ لقد أجرى استقصاء للراي، في العام ٢٠٠١، لقياس ارتباطات درجة العنى والقدرة الاستهلاكية بالسمعة الشخصية، وتبين منه أن ثلث الأمريكيين، فقط، يمكن أن يوصفوا بأنهم (مصداء جيداً) وهي نتيجة متشابهة لأخرى، تم التحصل عليها بالعام ١٩٥٧، حين كان الأمريكيون أقل شراً، ويقدر النصف ومن جهة أخرى، في نصف الأمريكيين مستوى ذرائعهم، في نصف القرن الماضي، كان عليهم أن يعملوا أكثر، فازداد متوسط عدد أسابيع العمل، بالنسبة الواحدة، يقدر تسعة أسابيع، مقارنة بأحوال العمل عند الأوروبيين؛ فكانت النتيجة أن أربح العمل الزائد المأوى الأمريكي، ووافقاته، لم يجعل الدخل الإضافي، المقابل لهذا العمل، حياة الأمريكيين أكثر سعادة. وفي عملية

الدولية، والمؤسسات المهتمة بشؤون البيئة؛ وإصلاح أسس التجارة العالمية، ودعم أنشطة القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني.



ونتهى التقرير بفصل ثامن، يدعو إلى إعادة النظر في معنى (الحياة الطيبة)؛ ويرى أن طيب العيش لا يرتبط بالضرورة - بالفاشي - و يلفت التقرير نظرنا إلى أن معظم الجدل الدائر حالياً حول مبدأ الاستدامة يتركز في الاعتبارات البيئية والاقتصادية المطلوب مراعاتها لضمان عالم صحي؛ ولا يكد المتجادلون يلتفتون إلى المسائل الاجتماعية والدخل والنفسي، في هذا الخصوص، على صورتها وأهميتها في تكوين الثقافات، ومن ثم تحقيق عنصر الاستدامة. الدخول تحقيق معنى هذه التصور، تحرص الحكومات على أن يستمر النمو في الناتج الإجمالي المحلي، مفترضة أن الزيادة في الدخل تحقق معنى معيشة طيبة، يتبع فرضاً أكبر للاستهلاك، والحقيقة، هي أن ذلك قد تكون له مردودات محيطية؛ والدليل على ذلك أن نوعية الحياة في بعض دول العالم الغني تعاني ضغوطاً متزايدة، وتترافق معرق، ويعتريها اضطرابات في العلاقات الاجتماعية. والمزيج في قضية الاستهلاك والمستهلكين أن ليس ثمة ما يشير إلى احتمال كبج جماع هذه الموجة الاستهلاكية الشرس، وبصفة خاصة في

الجدول رقم (٢)

تلكلة إنفاق الأغنياء على سلع الرفاهية

مقارنة تلكلة الوفاء باحتياجات أساسية للفقراء

(القيمة بالبيون دولار، في السنة)

أوجه إنفاق الأغنياء	قيمتها	احتياجات الفقراء	قيمتها
مستنزفات (المكياج)	١٨.٠	رعاية الجوع	١٢.٠
طعام الحيوانات الأليفة	١٧.٠	مكافحة الجوع وسوء التغذية	١٩.٠
الطبيب	١٥.٠	مكافحة الأمية	٥.٠
رحلات بحرية ترفيهية	١٤.٠	توفير مياه صالحة للشرب	١٠.٠
استهلاك المراتب (في أوروبا فقط)	١١.٠	تعليم الأطفال ضد الأوبئة	١.٣
مجم إنفاق اغنياء العالم على السلع والخدمات غير الأساسية	٧٥.٠	المطوب تحسين حياة الفقراء	١٧.٣

٩٩ تهتم وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرثونه من إصدارات. ٦٦

الحلم بل تقلع في أن تكون ريادية، بل في عامل يقضي حياً للثلاثيات القديمة وثرزات الشاعر الإقليمي أو المناطقي، والمضلة بين البدو والحضر مع ما للاستقطابات الخطيرة التي صاهاها النقد، كالسلوك الاستلاكي، والندخ الفخري وعلاقات المسرة والحسوبة من أثر حاسم.

غير أن العقد الأخير، بما تضمنه من ضغط حرب الخليج وبعثاتها الاقتصادية والمالية، وما أحدث في دول الجوار من تحولات قد ينعكس هذه النخب إلى مراجعة متولائها وسلوكها.

■ التراث والنهضة، قراءات في أعمال محمد عابد الجابري

عدة من المؤلفين
إعداد: د. عماد عبد اللطيف
بيروت: مركز دراسات العربية،
٢٠٠٤، ٢٨٧ صفحة، ٨ دولارات أو ما
يأداها



يحتل مشروع نقد العقل العربي مكانة متميزة في مجال التفكير في أسئلة التراث في الفكر العربي المعاصر. ويعود السبب في ذلك إلى نوعية التأليف خلال ما يزيد على ثلاثة عقود في مجال الدراسات التراثية.

لقد اعتنى الجابري منذ منتصف الستينيات بآبن خلدون والخلدونية، ثم اهتم بأسئلة الفلسفة الإسلامية وأصاهاها، واتجه بحكم كونه الفيلسوف الوطني والقومي وقضايا التحرر العالمي إلى ما يشبه نظريتي برونز بناء تصور شمولي لأسئلة التراث وقضايا في ثقافتنا المعاصرة.

يحتوي هذا الكتاب على أبحاث مهددة لعماد عابد الجابري بنسبانية مرور هشرين عاماً على بداية صدور مشروعه الفلسفي العقل العربي، إضافة نخبية من الباحثين بعقول السامعية في تحليل أعمال الجابري، ومنافستها بأسلوب نقدي حواري يساهم في تعزيز مساحة الفكر النقدي النقائلي التجديدي في فضاء الفكر العربي.

بيت الله والأصنام معاً، فإن قرش استمر خطر في الدعوة الحبيدة التي ترمي إلى فصل الدين عن التجارة، والبدون عن القبيلة، وفصل شائبة بيت الله والأصنام، وانكسر الإسلام وأصبح الدين كله لله، لكن سرعان ما عادت العقلية العربية التقليدية إلى قواعد ثنائياتها وتوقيفها.

وفيما غامر الحلاج بتحذير الثنائيات وتصدك بواجبه الحقيقة الإلهية وإرتافها عن الشريعة، كان قد قرر من طيب خاطر أن يتناول عن عمقه في سبيل الطمر بحوزة جمال الحقيقة، وهو ما اعتبره بعض وزراء دولة المقتدر العباسية تحريضاً للعامة وتحريضاً بالخلافة وتحريضاً بالويرة، فطهوه على الخشية. أما الغراني فقد تولى من ذلك رغبة في وصال العولة وموطنها، وإن كان قد توصل بعد مكابدة وتزقق وفي وقت متأخر إلى أن يتخلل عن خدمة دولة آل سلجوق بعد أن حاول عبيدًا أن يوفق بينهما وبين الحقيقة الإلهية.

■ النخب السعودية، دراسة في التحولات والإخفاقات

د. محمد صبيحان
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٤، ٢٢٠ صفحة، ٦ دولارات أو ما
يأداها



صغر حجمًا عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب النخب السعودية، دراسة في التحولات والإخفاقات، للتدكتور محمد صبيحان ضمن سلسلة أطروحات الدكتوراه.

يصيب اهتمام هذا الكتاب على دراسة مكونات النخب السعودية ميدانيًا، ومحاولة تشخيص جملة الأسباب التي حدثت من فاعليتها وأعاقها أداها لجملة وظيفتها الريادية، وهي جعلتها المساهمة من موقع مقدم في التحديث الاجتماعي والسياس الحقيقي مع تقدم العولمة والمشاركة السياسية الواسعة والعدالة الاجتماعية.

لقد استطاع المجتمع السعودي أن يبرز نخبًا لها وزنها بالأساس متغير، المتعلم، ومقتدر النقد والإرادة السياسية، وتبرز أهم تلكه بعد الدراسة إلى أن هذه

الحقيقة والشريعة في الفكر الصوفي... قراءة في نصوص الحلاج والفرازي

عبد السلام نور الدين
معلق: دار كتمان، ٢٠٠٤، ١٩٩ صفحة



اتسم الفكر الذي تبلور في ياطن الحضارة الإسلامية، بالتوفيق بين الثنائيات المتباينة، رغم أن الإسلام نفسه دين التوحيد... هذه الملاحظة المنهجية في جوهر هذا العقل الذي يؤكد أن نزعة التوفيق بين هذه الثنائيات: التسيير والتحرير، العقل والنقل، الحكمة والشريعة، أدت بأصحابها إلى النجاة من الهلكة، في حين سقطت معه الزنفة على أولئك الذين ساروا بوحادية العقل إلى نهايته المنطقية مثل ابن الرواندي والرازي والحلاج... إلا أن هذه الثنائيات وتوقيفية العقل العربي... كما يقول الكتاب... ظلت عائقًا أمام تطور هذا العقل، وظلت أيضًا حائلًا دون أن يرى الأشياء في تجسدها العيني الكامل في تحدها المطلق.

يقول المؤلف إن الكندي والرازي وابن سينا قد عبدا الطريق لأن رشد ليسقط مقال الاتصال بين الحكمة والشريعة. ولكن لتلاميذ ابن رشد الأوروبيين حينما فصلوا بين الحكمة والشريعة على الرغم من معارضة توماس الأكويني قبل عصر النهضة، المتحتم مساواة الفصل بين الكنيسة والدولة، ولم تكن العلمانية الأوروبية في عصر النهضة الأوروبية (في نفس ملامحها الفكرية) سوى ثمرة غصني العقل والنقل، الحكمة والشريعة الإسلامية، بعد أن هوى لتلاميذ ابن رشد السحيون الالتصاق بينهما، وتذلل كل فرع بشاره حيث شاء.

ولذا كانت الأفكار التي رشد قد عبرت مصب جيل طارق لتتحول بحيرة القرون الوسطى الفكرية، إلا أن جغري الثنائية والتوفيق قد أزيد عمقًا في العالم الإسلامي، وانتقلت من علم الكلام والعلمية إلى العرفان الصوفي في صورة الثنائية والتوفيق بين الحقيقة والحكمة، الحقيقة الإلهية في تنزيها وتجريدها المطلق، والشريعة في تجسيدها المطلق في صورة الدولة.

يؤكد المؤلف -إذ إنه كان سيد المرسلين محمد ﷺ قد نقل العرب من الظلمات إلى النور بفضل لا إله إلا الله وعدم الأوثان وحرر إلكة من حيث اعتبار المرشحين لها

هزيمة أمريكا في فيتنام مقارنة بين التجربة الفيتنامية والتجربة الفلسطينية

د. أمل حليفة
القاهرة: مكتبة مبدولس، ٢٠٠٥، ١٢٧ صفحة



تأتي أهمية هذا الكتاب من حيث كونه يلقي الضوء على تجربة أمريكا في فيتنام كنموذج لحروبها الحديثة التي كان آخرها احتلال العراق.

من بين سطور الكتاب تكشف الكثير من جوانب العقل العسكري/ السياسي الأمريكي لكل أهدافه الساعية إلى تغيير خارطة المنطقة العربية، وإعادة ترتيب أوضاعها الثقافية والسياسية بما يتناسب مع مصالحها في المقام الأول وريما الأخير.

تقول مؤلفة الكتاب: إن أيدي الأمريكيين ممتدة نحو رؤسنا يتهددها تشبهاً بالشاردة، وهي نيهوم أن يصفوا من تلافيف عقولنا ما لا يدور لهم، بل يوسوس موضع لجش الأسلاك لتصل بما في أيدهم من أزرار لتتحكم فيها من بعد فيصا يسمونه نظام والريصوت كوشول...

يقدم الكتاب الهزيمة العسكرية والسياسية التي منيت بها أمريكا في فيتنام لحل العقل العربي يستفيد من دروسها وخبراتها وهو في مواجهة الطوفان الأمريكي الذي بدأ في العراق ولا أحد يعلم إلى أين ستفوقه خطواته القادمة في منطقتنا... خاصة أن الحملات العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة في النصف الثاني من القرن العشرين إلى خلال ٥٠ عاماً، أكثر من خمسين حملة، وفي السنوات الأربع الماضية من القرن الحادي والعشرين احتلت أمريكا دولتين، أفغانستان والعراق.

وسطور الكتاب تقدم أهم وقائع الحرب الأمريكية في فيتنام، وتبين كيف استطاعت هذه الدولة الصغيرة أن تهزم عسكرياً أكبر قوى في العالم في ستمينات وسبعينات القرن الماضي.

كسب تقدم أيضاً مقارنة بين التجربة الفيتنامية والتجربة الفلسطينية.

حياة مستقرة

عادل عصمت

القاهرة: دار شرقيات، ٢٠٠٤، ١٢٥ صفحة



هذه هي الرواية الثالثة للروائي عادل عصمت بعد «هاجس موت» ١٩٩٥، والرجل الحارثي، ١٩٩٨، كما أن له روايتين تحت الطبع هما «بقية مسمية» و«حالة سرود». وفي هذه الرواية التي يبدو عنوانها مروافاً من عهد، يعيش بطلها صراعات ساخنة داخل أسرته وخاصة مع شقيقه الأصغر، وتتصاعد هذه الصراعات مع موت أمهما، ودخول البطل في تجارب مع السفر والخبرة في العراق وعلاقاته المستوحدة هناك، ثم عودته لصر لمعيد ترتيب أوراها أو في واقع الأمر محاولاته الدنيوية لتربيته.

المعتزلة، نشأتهم... هرقهم... أراهم

صلاح أبو السعود

القاهرة: مكتبة الشاذلي، ٢٠٠٤، ١٢٨ صفحة، ١٥ حينياً



يتفق المعتزلة بكافة هرقهم على أن الإنسان عليه أن يعرف الله عز وجل، وأن يفعل الحسن ويتجنب السيئ، والسبيل إلى معرفته الله سبحانه وتعالى، والتفهم بين الحسن والسيئ هو، النظر العقلي. ويؤمن المعتزلة بقولون بأن تفهم الإنسان في الوصول إلى هذه المعرفة يستوجب العقوبة، فالعقل عند المعتزلة هو مبدآن مركزهم الكبري مع المذاهب الإسلامية الأخرى، ويقوم الاعتزال على خمسة أصول، من قام بها فهو معتزل وهي: التوحيد، والعمل والوعود، والتعبد، والمثلية بين المثليتين، والأمس بالمحروف والتي هي الفكر.

وبالتفاهم بوحدة الذات والصفات أي أصل وصفاته شيء واحد، دخل المعتزلة محارك فكرية وفقهية ضارية مع خصومهم، إلى الحد الذي دفع هؤلاء الخصوم إلى تكفير المعتزلة، إضافة أيضاً إلى إيمان المعتزلة بخلق القرآن، فإنه إذا لم يكن مخلوقاً فهو قديم، وإن كان قديماً فقد شارك الله سبحانه وتعالى في قدمه

وأوليت، وهذا يعد ضلوع شركاً، كما أنهم أيضاً يتكبرون رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة

يستعرض الكتاب بشيء من التفصيل أسباب تسمية المعتزلة بهذا الاسم، وكل أرائهم الفكرية والفقهية عند مختلف فرقه الكبري، كما يلقي الضوء على معاركهم السياسية في عصر الخليفة المأمون فيما حمل المعتزلة الناس على القول بحلق القرآن، وكان التعذيب والقتل نصيب الخالفين لهم في الرأي، كما يستعرض الكتاب أيضاً انتثار هذه السلطة السياسية للمعتزلة في عصر المتوكل الذي أظهر عداوه للاعتزال وأهله

وتبدي أهمية الكتاب في أنه يقدم بموضوعية أفكار الاعتزال ماثلة وما عليها، ودور الاعتزال في إلهاء شأن العقل في مسيرة الفكر الإسلامي عبر التاريخ.

القصة القصيرة الإسبانية في القرن العشرين

تأليف: مجموعة من الأدباء المتحدثين بالإسبانية
ترجمة وتقديم: صالح علماني
مراجعة: د. محمد حسن موسى الكوت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة إبداعات عالية، ٢٠٠٤



يحاول هذا الكتاب أن يرصد نماذج وتيارات مختلفة في مرحلة فسيحة عرفت إنتاجاً غزيراً من القصة الأمريكية الإسبانية ابتداءً من العهد النابليجي المذمومة، لهوراسيو كيروغا، المشهورة عام ١٩١٧، وحتى قصة «نهاية الأسبوع» لماريو بينيديكتي المشهورة عام ١٩٩٩، ضمن مجموعة «مفتوح بريد الزمن».

والقراءة التي يمكن لهذا الكتاب أن يقدمها هي الاطلاع على تجربة الحداثة الإسبانية أو أمريكية كما تجلت في القصة القصيرة، وحركة التجديد فيها.

لقد كانت أمريكا الإسبانية، على امتداد حوالي أربعة قرون - مثل كل المستعمرات الأخرى - مزجة من اللغوات الأولى، ومستوردة ومستهلكة للمنتجات المصنعة، ومن ضمن تلك المنتجات المستوردة، كانت تستهلك أدباً يكنى على بعد آلاف الأميال عن واقعها، بعيداً كل البعد عن مشاكلها ومعهمها اليومية، ولجأ أدب الروائيين والاقتصاديين بهذه اللغة في التصف

الثاني من القرن العشرين هم من أمريكا اللاتينية أيضاً، ومع ذلك، فإن أصالة القصة الأمريكية اللاتينية كانت قد استقرت ونضجت إبداعياً منذ النصف الأول من القرن العشرين.

ومسيرة التجديد الحقيقية في القصة القصيرة تبدأ مع قصص هوراسيو كيروغا، أحد أبرز ملهمي الروح الجديدة في الإنتاج الأدبي الإسباني، الأمريكي، فقد كان قصصه أول من حاول وضع نظرية للقصة القصيرة الأمريكية الإسبانية، لحدد بدقة أطر هذا الجنس الأدبي وعناصره الأسلوبية.

وكان يرى أن الإلهام، هذا البعد الغامض في الإبداع، هو عنصر ضروري لا غنى عنه فعلاً، ولكنه كان يدرك في الوقت نفسه أن القصة لا يمكن أن تقتصر على الإلهام، بل يمكن أن ينفصل أرقى إبداعية.

وقد أهتم كيروغا، بصورة خاصة، في رسم الحدود الجغرافية الفاصلة بين القصة القصيرة والرواية، على الرغم مما بينهما من تدخل في الظاهر. ومع أن المشتقات الأدبية في هذا الكتاب كانت محاولة انتقالية لا تدمج الإحاطة الكاملة بالتاريخ الأدبي لأمريكا الإسبانية، إلا أنها نجحت بالفعل في تقديم إبداعات رموز الأدب والعديد من التيارات والتشامخ الأدبية المعاصرة لهذه المنطقة التي لا يعرف عنها القارئ العربي الكثير.

عندليب

أميرة الشاذلي

القاهرة: دار شرقيات، ٢٠٠٤، ١٤٠ صفحة



تعمل سطور هذه القصة. بكل براءة وعفوية، الآلام الشعب الفلسطيني في المخيمات والقصير يترصد الموت عبر بنادق الصوانية للأطفال الصغار؟ وكيف يرحلون عن الدنيا وهم بعد أعواد خضراء لا يعرفون للحياة معنى سوى القهقري واللعب مع أقرانهم طيلة هذه القصة واسمها عندليب فقدت أباهما وهي طفلة صغيرة، شعرت بأنها لن تفكر إلى الأمان وتأكد هذا الشعور الذي لم يبرح روحها التي ترى ظالمات إسرائيل تقصف أبناء شعبها، وإيضاً عندما اعتقلت إسرائيل أخاهما بدر لعة ثلاثة وثلاثين شهراً ليخرج من المعتقل مصاباً بقدار الناكدة وبربعة في جميع أطرافه.

ورغم كل هذا التحوش الإسرائيلي الذي أصاب أفراد عائلته، إلا أن عندليب دائماً تبدو كعصفور يحب الحياة، يتحرق من خوفه من أجل مواصلة الطيران والتعريد.

الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية

د. عاطف العراقي

القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤، ٦٥٥ صفحة

كان الفيلسوف العربي ابن رشد يدعو إلى دراسة مشكلات الثقافة على أساس العقل، وكان يؤمن بأن التمييز بين الخير والشر إنما يقوم على العقل وحده، كما درس مشكلة حرية الإرادة على أساس برهاني عقلاني.

كما خاض ابن رشد العديد من المعارك الفكرية مع الفلاسفة، وفي الأثناء صمموا وخالفهم في الكثير من القضايا، كما نقد أفكار لحرورية. ويتناول مؤلف الكتاب أن هذا الفيلسوف المتحالف، ابن رشد قدم سبقاً فلسفياً محكماً كان تعبيراً عن ثورة العقل واتساعه، ويدل في التوصل إلى الآراء التي يتكون منها نسخة الفلسفة بهذا كبراً.

كما استمد من فلاسفة اليونان وفلاسفة العرب الذين سبقوه وسهّدوا له الطريق، طريق العقل والاستنارة. كما كان اشتغاله بالمطالعة وكتابته فيه أكثر من كتاب ورسالة فديلاً على اعتزاله ما لمعلم

ويتقسم هذا الكتاب إلى قسمين، الأول، عن الفلسفة الرشدية من خلال إبعاد متنوعة يجمعها هدف واحد، هو المطر إلى مستقبل الثقافة العربية من منظور فلسفي نظري، وبكيفية الاستفادة من تجربة ابن رشد ومبادئ العقلية النقدية، والثاني، عن تاريخ المؤلف نفسه من ابن رشد وأفكاره طوال أكثر من أربعين عاماً.

عبد الحسين شعبان - صورة قلمية

القاهرة: مركز الحرس، ٢٠٠٤، ٢٩٨ صفحة



يضم هذا الكتاب بين مفتحيه وإقناع حل تكريم عبد الحسين شعبان، وهو

DOI:10.1002/eqe.2310

■

تبدأ أولى صفحات الكتاب الرحلة بعنوان «الأفراح الأولى» ويستعرضها د. السبيري بقصيدة من أربعة سطور يوجهها للزكوة الأرضية ويقول فيها: «وكان لي ألف شكر» و«كان لي ألف شكر» فضمنت الأرض إلى صدى» وأغمضت عيني في شفق، وتقسّم هذه المرحلة الشعرية التي تبدأ من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٦ العديد من القصائد التي تنسجها باللهجة التي هي قصيدة الزمارة التي يشقها الشاعر على حبيبته

مفاتيح الخبرة والحكمة والبراءة
سيرة شعيرية شبه ذاتية شبه
موضوعية

[illegible]

في طباعة فاخرة صدر العدد الأول من مجلة دوى الثقافية، دراسة تحرير سفي محمد الرمي، وبيدر تحريرها ناصر عراق، وهي تتناول على العباد من الموضوعات المهمة في ألبان، وقضايا وتحقيقات، المجلة طبعها مع الصحافة العربية، وتطرح التساؤلات حول أسباب فشلها، متواها المني، وغيا قيم العمل الميداني الصحفي في الصحافة الصحفية العربية، ولماذا يفتأ بعض الصحفيين إلى الظفر في تحرير موادهم، ويعملون الواقع الثرى بمشاكله ومشكلاته؟ في تحقيق ارتفع سعر المجلة لثلاثة أضعاف منذ انشائها، فلسطين،

وفي باب «الوان وطلال» كان هناك اهتمام كبير بالمتون الشكسية والمتاحف. يلقى الضوء على «دار بلعازي» أول متحف خاص في المغرب، بالإضافة إلى عدد من الموضوعات المتميزة منها عن الفن الحديث الذي مات جوعاً رغم أن إحدى جانه بيع بخمسين مليون دولار، وهي

وهي باب الحوارات، يفجر الشاعر
لفلسطينيين الجرح محمود درويش في
أفهامهم على المجلة قضايا ساحلة موكلة أن
تقصيدة العربية الآن لا تتحمل ركائفة
الواقعية، وأنه لا يوجد لدينا تيار نقدي
جزء من الحركة الثقافية العامة،
يعترف بأنه يكتب الشعر ثم يتقدم نفسه،
أنه يحب الشعر ويجمده أكثر من الشعر.
ثم تنشر المجلة قصيدة «مطابق» إلى
أوزاع سعيد، محمود درويش كاملة لأول
مرة.
وتحاول المجلة أيضاً د. عبد العزيز
نخاعل من خلال كتاباته الشعرية
المتعمدة والعنيفة.

	1990-1991	1991-1992	1992-1993	1993-1994	1994-1995	1995-1996
1990-1991	1.00	0.95	0.90	0.85	0.80	0.75
1991-1992	0.95	1.00	0.95	0.90	0.85	0.80
1992-1993	0.90	0.95	1.00	0.95	0.90	0.85
1993-1994	0.85	0.90	0.95	1.00	0.95	0.90
1994-1995	0.80	0.85	0.90	0.95	1.00	0.95
1995-1996	0.75	0.80	0.85	0.90	0.95	1.00

كتب دينية

خطابنا الإسلامي في عصر العولمة

يوسف الترساوي
دار الشروق، ٢٠٠٤



يقدم القرصاوي لكتاباه:

كتاب كثرهون يطالبون بوجود المراجعة لخطابنا الديني الإسلامي، وخصوصاً بالنسبة للأخ، وفقرتنا إليه، وموقفنا منه.

وهذا الكلام يصمد حق، ويصمد باطل، ويعضد حق أريد به باطل، إننا نرحب بتحديد الخطاب الديني، والارتقاء به، وتطويره إلى ما هو أحسن وأمثل، فكرة وإسلوباً، ولأننا نعتبر من خطوات التماهي المستمر بتغيير الخطاب الديني الإسلامي في هذا الوقت خاصة، ولأسباب من أقلام مشبهة، لا يهملها الدين ولا أهله، وليس لله ولا لأخيراً مكان في مجالها الصكورية أو السلوكية.

هنا واقع إننا نحض من تيارات كالأهواء أحد حبلوا من الآخر، ١- تيار الغلو والتشدد والتنطع، الذي يريد أن يضيئ على الأمة ما وسع الله، ٢- وتيار الانحلال والتسيب، الذي اتخذ إليه هواء، فلا يتقيد، بنص، ولا يستند إلى إمام معشر.

لهذا كان على أهل العلم والدعوة أن يقولوا كلمتهم، ويبينوا وجهتهم، وعليهم أن يعضوا بالتواضع على الحق الذي أنتمهم الله عليه، معتمدين بحبل الله المتين، يحدوا رسالات الله ويحشونه ولا يخشون أيلاً إلا الله.

لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟

تأليف: شكيب أرسلان
ترجمة وتحقيق: حسن السامحي سويدي
الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤



إن تخلف المسلمين هو معضلة العصر، التي وقد أسماها العلماء

والمعزرون، يتقبلون فيها وجوه النظر، عنهم من نظر إلى جانب وأغل جانباً، فجاء حلها الفطري، ومنهم من نظر نظرة ضوئية للأخير شكيب، رحمه الله، هي كتابة هذا فجاء الجواب أدنى إلى الحقيقة، ورصد مظاهر التخلف الداخلية والخارجية وعدم إقبال أي منها هو الخطوة الأولى لمعرفة الأسباب التي أدت إلى هذا الواقع المزري الذي تعيشه الأمة من المحيط إلى المحيط.

والأمير شكيب بما عرف عنه من العلم الواسع، والتجربة العميقة المتميزة، والاهتمام الصادق بشئون الأمة المسلمة، والمتابعة الحثيثة لشكائاتها وأحوالها هو أخرى من يتصدى لبنيان سبب تخلف المسلمين وتقديم غيرهم. لقد تحدث الأمير عن مظاهر التخلف وأسبابه، فذكر منها الجهل والتقليد والتبذل والافتقار من الفاعلة، وبين أن ذلك يعود إلى الأمة الوهن، الذي هو حب الدنيا والتكسب والتواني والتسخر والتجارية. كما تحدث الأمير عن الفساد الذي هو السبب الأكبر للتخلف، وخاصة فساد الأمراء والعلماء، وما يجره على الأمة من بلاء.

وعرض الأمير دماء الضرونية بالحديث الطويل، فحدث شبيهات التي يرددون من خلالها عزل الإسلام - الذي هو عصب الأمة الإسلامية - بحركتها - من الحيثية، ورد على دعا التشييط، الذين يشكون الأمة في فدايتها، ويسلوونها فثقتا بنفسها، ويزبون العسل والشك في قلب ابتذالها، وأهم أعجز من أن يصعدوا شيئاً ذا بال.

والكتاب بما تضمنه من نظرات ثاقبة وآراء حكيمة لا يزال يصل ورقة عمل يمكن الانطلاق منها إلى درس ملتبس التخلف الذي يزداد كل يوم تشعباً، ويحتاج لجهود قد لا يعطيها فرد مهما أوتي من علم وخبرة، ولا بد أن تنهض به مؤسسات إسلامية متخصصة.

فجر الإسلام

أحمد أمين
دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤



كتاب مهم يتناول فيه المؤلف الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية وقد جلى الأستاذ أحمد أمين

مظاهر الحياة آنذاك فكرية أو أدبية أو دينية وأظهر العرب على حقيقتهم وطبيعتهم في تلك الحقبة وقد نال الكتاب استحسان العديد من العلماء العرب والمستشرقين.

حجابي هوיתי، هتاتان تداقن عن حجابهما

لما وأيلي ليلي
دار الفارابي - لبنان (٢٠٠٤)



لما الثالثة من المعمرت ست عشرة سنة وليلى ذات الحظوظ عشرة منذ كانتا تلميذتين في ثانوية فخري-والون في أوبرفيليه، اختاراً منذ بضعة أشهر أن ترتديا الحجاب الذي يغطي الشعر والأذن والعنق، في ١١ تشرين الأول/أكتوبر سنة ٢٠٠٣ قرأ المجلس التأديبي في الثانوية طردهما بصورة نهائية لأنهما رفضتا الحجاب التخلي عن الحجاب، بعد فصلهما عن الخط من المدرسة الرسمية، ها هما تعرضان هنا تجربتهما كعائتين فرسيتين وسلمتين.

أجرت هيروليك جبرو وكذلك إيم سائوسير، على مدى أسابيع طويلة، أحاديث بلا حمايلة، تحدثنا خلالها عن معنى فتاوعنا وأسباب حيارهما. كيف اكتشفتا الإسلام؟ ما هي رؤيتهما ومشاورتهما للدين الإسلامي؟ كيف تصورات العلاقات بين الرجل والنساء؟ ماذا تشل المسلمانية في نظرهما؟ في المدرسة وفي الحياة العامة؟ ما هي نظرتهما إلى المجتمع المعاصر وفيه؟ إلى الأجيال المعاصرة من هذه الأسرة-هتما كانت معضلة ومحبرة- تساعد على الجاذبة والتبسيط والأفكار المسبقة السائدة في الفئات العام. وهي تسمح بعدم تسليان أن الفتيات اللواتي اخترن ارتداء الحجاب كما فعلت لما وليلى، هن أولاً فتيات كسافرات الفتيات.

إن فهم هذه الأحاديث هو أولاً مساعدة القراء على فهم قبل الحكم. فهاذا نعرف، في الحقيقة، عن دوافع وممارسات هاتين الفتاتين اللتين تتراوح سنهما بين السادسة عشرة والثامنة عشرة؟

لقد أسس لدينا تحقيقات مسيولوجية غنية وقوية الإسناد...

تجاهلها بصورة منهجية المسؤولين السياسيين وعظم المشتغلين الذين تحدثوا إلى وسائل الإعلام. ويمنى هذا الكتاب أن يفتح في سياق مواصلة تلك الأعمال. أما أطره العلمية فهي في كونه يقدم صورة كاملة للشخصين، تكمل النموذجيات الأوسع التي يعرضها باحثون من أمثال فرانسوا غاسبار وفرد هوسر-خافار وجيل كيبيل وأوليميه روي، بصيرة غنيبة ونالسي فينيل، إنه لتأجج خمسة عشرة ساعة من الأحاديث المسجلة، التي أضيق لها أحاديث كثيرة أخرى دارت أسام ألة النسيول.

مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب (في علم التصوف)

تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الفزاري
ترجمة، تحقيق: معمر زرزور - محمد إبراهيم
المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٤



مكاشفة القلوب درب لهدى الغيوب والانتماء في الذنوب. كتاب أرادته الإمام أبو حامد الفزاري تيسيراً للمؤمنين في الرض الصب حيث الدين ومفاتها وأمال ومفسده، في زمن أصبح فيه التدين خافاً على الطامعين في سباحة الحياة والمغالين من الآخر، ويوم البعث والنشور، هذا الكتاب في أبوابه المتنوعة هو خير دواء إن أراد نفسه الطمأنينة، ولن أراد قلبه التور والسعادة ورضا الله ..

كتاب مزين بالأدبية الفرائدة، معطر بأحاديث سيد البصيرة محمد صلى الله عليه وسلم، التي تخبر بيقين عن نعيم علي الله والخلود في جوار الرحمن ويحذر قادة القلوب من عذاب الجحيم وغضب الله، إنه تذكير لبني البشر في زمن النسيان...

ويلاحظ للأهمية التي يحتلها هذا الكتاب فقد أهتم بتحققيه وتصحيحه من الأخطاء اللغوية، والتحويلة، وأصعب علامات الوقف في مكانها المناسب، مخرجين آياته محققين لأحاديثه وذلك من أجل أن يهدو تقديمه وإخراجها بمستوى يابق بمضمونه.

أحمد السميون، نوفمبر ٢٠٠٤

كتب دينية بالغة الإنجليزية للمصارع

يعارها المسلمون في جميع أنحاء العالم.

إن الكتاب مقسم إلى ٢٧ جزءاً، يركز كل واحد منها على رواية متصلة من التاريخ والثقافة الإسلامية وأهم الموضوعات الواردة فيه تشمل تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وحيات الرسول (ص)، والخلافة الإسلامية، وحضارة الأندلس والأثر والصلابة، والحملات الصليبية، إضافة إلى أشكال العبادات الإسلامية، والاجتماعات الدينية والفنون والعمارة الإسلامية، وتفاصيل شاملة عن الدول الإسلامية في عالم اليوم، على الرغم من عنوانه، فإن ذلك الكتاب ليس، بطبيعت، ما يهتم المفهوم، هو أقرب إلى مسح شامل جذاب لحياة المسلمين اليومية في العالم كله، ويتناقل كذلك عادات الحياة اليومية للعديد من المجتمعات الإسلامية في العصور المعاصرة، مثل الميسانيين والأويين والأتراك، إلى جوار جماعات الصوفية ومسلمي وسط آسيا، كل ذلك كما يقدمه المؤلف. حياة العالم الإسلامي إلى شباب القراء الذين لم يروا هذه المشاهد رأى

Celebrating Ramadan
(احتفال بالرمضان)
diane hoyt goldsmith
Hardcover, 32 pp, 14 \$



كتاب يمزج الصورة بالكلمة، والرمز بالعلمة، يقدم في نهاية صورة عن الحياة في رمضان وحياة مسلم أمريكي صغير يدعى إبراهيم، يضم مقدمة عامة عن بدايات الإسلام وعقائده الأساسية والوحى الذي نزل على محمد (ص)، إضافة إلى عدد من مبادئ القرآن وحركات الصلاة.

يقدم الكتاب صورة للمسلم الأمريكي الصغير إبراهيم وهو يحتفل مع عائلته بحلول الشهر الكريم، سواء في مدرسته الإسلامية أو في مسجده، ويظهر مدى الطهارة التي يسعى في عرق الكمال مع حلول شهر رمضان، ويضم الكتاب وصفاً دقيقاً لذلك القطاع من العالم الذي يعد الإسلام فيه من أكثر الديانات انتشاراً، ويتركز على تنوع الثقافات التي تقود في الثقافة الإسلامية الواسعة، من خلال عرض عائلة إبراهيم التي تعود جذورها إلى مصر والبوسنة

young muslim guide to the A modern world
دليل المسلم الصغير إلى العالم الحديث
seyyed Hussein nasr,
paperback 270 pp, 17 \$

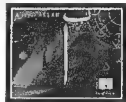


يرى مؤلف الكتاب سعيد حسين نصر أن الغرب قد أفرز العديد من المستشرقين الذين يدرسون الإسلام من زاوية واحدة، بينما أفرزت الحضارة الإسلامية عدداً كبيراً من العلماء الذين تخصصوا في دراسة الحضارة الغربية من كل أوجه الحياة فيها، من الفنون والآداب والحياة الاجتماعية والدين فيها من وجهة نظر إسلامية. لقد رسم المسلمون ما يمكن تسميته بالفرانكوفونية الفكرية للعالم الحديث، وهي خرائط يمسحها الكتاب إلى عرضها على شباب المسلمين كي يصبحوا أكثر دراية بالجزئ الدينية للإسلام عند وضعه في مقارنة مع المبادئ الأخرى، وكى يمكنهم تكوين رؤية شاملة للعالم من وجهة نظر إسلامية.

إن ذلك الكتاب يمثل أول محاولة من نوعها لوضع خرائط الإسلام الأزلي في مواجهة القيم الغربية الحديثة والعصرية، بشكل محايد جذاب في ظل المواجهة الصعبة التي تحدث بينهما في عالم اليوم. أما سعيد حسين نصر مؤلف الكتاب، فيعتبر من ألمع الأكاديميين في جيله، وقد في طهران في عائلته من الأطباء وإساقدة الجامعة الدين تخصصوا في دراسة الشريعة الإسلامية. تلقى تعليمه الأول في طهران ثم سافر إلى أمريكا لدراسة الفيزياء وتاريخ العلم والعلوم في جامعات مثل هارفارد وماساتشوستس، وعمل استاذاً في جامعة طهران وهو مؤسس الأكاديمية الإيرانية للفكر، ويعمل اليوم استاذاً في الدراسات الإسلامية في جامعة جورج تاون.

يقدم الكتاب عرضاً شاملاً لتعاليم الإسلام كما ترد في القرآن والحديث والسنة، كما أنه يضم عدداً من التعليقات والتفسيرات التي قدمها أئمة المسلمين على اختلاف توجهاتهم، إلى جوار عدد من آراء الشخصيات من الحضارة الإسلامية من الغربيين.

is for a Ilah A
(ألف تشير إلى الله)
yusuf islam
mountain of light, \$ 9 00



ولد يوسف إسلام في لندن عام ١٩٤٨، كان يحمل اسم دكات ستيفنز، وكان مطرباً عالمياً قبل أن يشهر إسلامه، هو ابن أم سودانية وأب يوناني، بلغت شهرته كمطرب في الستينيات والسبعينيات حدا جعل مسيحات أسطواناته تصل إلى أكثر من ٤٥ مليون نسخة في كل سنة.

اعتنق كاثوليكياً، في عام ١٩٧٧ وعمره ٢٩ سنة، تحول إلى الإسلام وتزوج منذ ذلك الحين وأنجب خمسة أطفال، كما أنه عضو نشط في المجتمع الروباني المسلم، ويركز جهوده كلها على مجالات التعليم والأزقة الروبانية للأنسان.

ألف يوسف إسلام هذا الكتاب ليبحث مائدة لخدمة على عالم الفكر الإسلامي البسيط، عنوان الكتاب نفسه مأخوذ من أغنية شهيرة ليوسف إسلام، كتبها ليحل محل طفلته الأولى إن حرف الألف يشير دائماً وأبداً إلى الله عز وجل وليس لتكميلات أخرى تعلمها للأطفال عند يده كلامهم مثل أم وأسرته وألف وهكذا.

إن فلسفة الحياة التي تحكم في العالم الغربي تبدأ، كما يرى يوسف إسلام، بأول درس يتلقاه الطفل في المدرسة.

فالتركيز الذي يلقى به الأستاذ على شيء ما يترك الأثر إلى أقصى في عقول الأطفال الصغار، وخاصة لا يركز هؤلاء المدرسون على أول وأهم الأشياء الإنسانية، وهي الشوق إلى معرفة الخالق عز وجل.

وهكذا، وبإستخدام الحروف الهجائية، يتقدم يوسف إسلام القارئ ليقدّم له أو يتكره بالجواب الأساسية في الإسلام، كلمات مثل الله، والجنة، والأقران، ويوم القيامة، موضوعاً أفكاراً مرسومة وصورة جذابة. لقد تم إعداد ذلك الكتاب من أجل أولئك الذين يريدون أن يفهموا الإسلام بصورة عن عالم، يقف فيه الله تعالى وراء أوهام الأشياء فيه، مهما بلغت ضآلتها.

Better than athousand month
(خير من ألف شهر، احتفال عائلية أمريكية بالشيخ الكريم)

Hassan ah al jones by
Ibn Musa Publishing, 168 pp \$ 13



عنوان هذا الكتب مأخوذ من آية قرآنية تصف ليلة القدر، وهي الفصل الثاني من شهر رمضان. يحاول الكتاب وضع يد على التقاط العلاقة بين الإسلام والمسيحية، من خلال المقارنات بينهما، يرويها ب مسلم ينحدر من أسرة أمريكية ذات أصول أفريقية، أسرة تحاول أن تزد دالماً على أسئلة أبائهما بشأن الدين الإسلامي سفة واستماعاً.

يروي الكتاب حياة أسرة أمريكية خلال شهرين، شهر رمضان والشهر الذي يليه، ويشير العنوان الضمني للكتاب إلى العدد التقاربي للأيام الأمريكية التي تحتفل الإسلام، خاصة في مجتمع الأمريكيين الأفارقة هناك.

The Atlas of islam: people, daily life and traditions
(أطلس الإسلام، الناس والحياة اليومية والتقاليد)

Neil Morris
Barnes Juvniles 64 pp, 15 \$



كتاب من القطع الكبير، كتب من أجل القراء الصغار كي يقدم لهم صورة واضحة عن أحد أكثر ديانات العالم انتشاراً، تقسم كل صفحة خمس أو ست صور مصحبة لقصص إلى عدد من البلاد الإسلامية المختلفة التي يشاهد فيها طقوس أهلها كأنه يفتحهم. إضافة إلى شرح ولك لكل الفنون والعمارة والتاريخ والأنشطة اليومية التي

كتاب، وهو كتاب يصمم أسطواناتين مدعيتين تحملان كل رسوم التيوبوكر مند ثمانين عاماً مالا لوان، ومزودة بمحرك بحثي يبحث في الكاريكاتير بواسطة اسم الفنان أو اسم الموضوع الذي يعبر عنه.

The red sea mountains of Egypt and Egyptian years
(جبال البحر الأحمر في مصر والسنوات المصرية)

L. A. Ireganza
AUC Press
2004, LE 100



إن ليو ارثر تريجانزا، مؤلف الكتاب، هو مكتشف وأكاديمي إنجليزي، وصل إلى مصر عام 1927 ليكمل مدرسا في إحدى المدارس وطل يحيا في مصر حتى قيام الثورة عام 1952. ويصف تريجانزا في كتابه «جبال البحر الأحمر في مصر والسنوات المصرية» جانباً من مصر ظل مجهولاً بالنسبة إلى أغلب قلوب طويل. في ذلك العالم ما رأته مياه النيل تفيض، وما زال بنو الصحراء يرحطون على نمل حياتهم الذي لم يتغير إلا في الستين. ويضم الكتاب أكثر من 33 صورة قدم الوصف الذي يرد فيه.

Daily reflections from the Quran and Islamic traditions
(تأملات يومية في القرآن والتقاليد الإسلامية)

Aneela khaled arshad
Crossroad 8th Avenue
384 pp, \$ 11



يوافق ذلك الكتاب صورة شاملة من الإسلام وتوصوه المقدسة، من خلال اختيارات واضحة لإيات قرآنية وادكار صوفية، والأحداث النبوية. تم اختيارها وترجمتها بدقة على يد المؤلفة «أنيل»

الدكا، يكتشف بوضوح أسرار أحد أكثر مدن العالم عموماً، لأن مؤلفته تتمتع بوضوح رؤية من يشاهد الأشياء من أعلى، هي الوقت الذي تعوض فيه إلى قلب القاهرة وأهلها كي تقرأ متابعهم، وهنا هو ما جعل تلك السيدة، مازينا جوليا، مؤلفة كتابا مختلفا عن القاهرة، وضمت فيه كل مشاعرها وروايتها وأطباعاتها، عن تلك المدينة المثيرة التي تحيا فيها منذ زمن ملوول.

The Complete Cartoons of The New Yorker
(الرسوم الكاريكاتورية الكاملة لـ نيويورك)

David Remnick
Black Dog & Leventhal
Publishers
655 pp, 2004, \$ 40.80



موسوعة ضخمة، تصمم أفضل رسوم كاريكاتير نشرت في مجلة «نيويورك» الأمريكية الشهيرة، على اختلاف مواضيعها، سياسية واجتماعية واقتصادية، والتي نشرت في الثمانين عاماً الأخيرة، يحاول محررو النيويورك إن يكتبوا ملخصاً قصيراً قبل كل فصل يشرحون فيه الحقيقة التي رسم فيها هذا الكاريكاتير، والضغط السياسي أو الاقتصادي التي كانت سائدة في هذه الفترة.

منذ أن تأسست في عام 1920، ومجلة نيويورك، تمتاز بتأثير واضح على الرأي العام الأمريكي والعالمي أحياناً، يساعدها على ذلك فنيها على مناقشة كل تطورات الموضوعات التي عرضت على الساحة السياسية بجراحة لا تتميز بها العديد من الصحف الأخرى التي تحكمها المصالح، والاهم انها تمتلك نفوذ التحليل والعرض باستخدام كل الفنون الصحفية، وعلى رأسها في الكاريكاتير. حولت النيويورك الكاريكاتير إلى فن له مذاق خاص، لا يتحول تطورات خطوطه مع تطور الزمن، وتتحول ملامحها إلى طبقات أقرب إلى طبقات الرصاص، لا تعترف بحدود، ولا تحسب حساباً لعشائر المصالح التي تقيد عيورها من المصمم.

كان الكاريكاتير ورسول الكارتون منذ مستقلاً بذاته في مجلة النيويورك، ولذلك قام الرسامون فيها بجمعهم في

The illustrated guide to the valley of the kings

(الدليل المصور لتوادي الملوك)
alberto silotti
AUC Press, 2004, LE 75



يقدم ذلك الكتاب لأول مرة الصورة المعمارية الكاملة لمنطقة طيبة. يصف كل مقبرة بشكل تفصيلي، ويكتف في الوقت نفسه مع خريطة موضوع عليها أهم الرسومات ومقتنيات المقابر، ويوصف المؤلف البناء المعماري والتصميمات الخرافية للمصمم الموجودة هناك باستخدام العديد من الخرائط الطوبوغرافية.

Cairo, City of sand
(القاهرة، مدينة الرمل)
Maria golia
AUC Press, 2004, LE 80



تحتبر ضغوط الحياة طلاقة المصريين على الاحتمال حتى أقصى حدودها. ترسم ملاحيها بوضوح على وجوه 16 مليون نسمة، هم أولئك الذين يعيشون في القاهرة، يتركز حول النيل وشريط بهم الصحراء إن ذلك الكتاب يروي العديد من المواقف والأحداث، يصمم طرقات القاهرة وأصابع العيشة فيها، وردود فعل الناس إزاءها. كتاب لا يركز على تاريخ القاهرة القديمة بل يلقى الضوء على حاضرها وطبقاتها الحالية. لتعمل القاهرة إلى داخل مصام أهلها. لتأمل الكتب الروايات التي تربط بين الأسر والعادات والتقاليد، ويروى رقابية الحياة اليومية، كما يلقى نظرة على علاقة القاهرة بالآخر، سواء كان ذلك الآخر هو الاحتلال البريطاني أو الفرنسي، أو كان ممثلاً في التيارات الحديثة القادمة من الخارج مثل السياحة، ويتناقص الكتاب كمذنب أسلوب حوار القاهرة وتكتلهم ومفرداتهم اللغوية الخاصة، لأن كل هذا هو ما سجع القاهرة قالوا عن الكتاب أنه تحليل رائع شديد

He is just not that into you
(إنه ببساطة غير متعجب بك)
Creg Behndred
Simon Spotlight Entertainment
176 pp, 2004, \$11.97



كتاب تحليل نفسي وعاطفي ساذج حقق أعلى المبيعات بمجرد صدوره في أمريكا، مؤلفه هو كاتب حلقات البسمل لتفسيرات المشهور بالجنس والدين، وهو يركز على حلقة ثالث أصاب النساء منذ عرضها الكتاب ينشر تحت قائمة الكتب التي تناقش علاقة النساء بالرجال، مثله مثل كتاب «أدم من المريخ حواء» الوري، الذي ألفه الدكتور جون جروا، ويوفهم شمس المهمة، محاولة توضيح تكبير الرجال الغامض ما لتسمية للنساء، مؤلف الكتاب يتعامل بوضوح شديد، يستخدم لغة قاسية لإبلاغ المرأة التي تلتبس العذر دائماً للرجل، بأنه قد لا يكون محباً منها في نهاية المطاف، يستمر في الاعتار التاريخية التي ترددها النساء كلما وجدن أن الرجل الذي بهتمن به لا يبذل اهتماماً مماثلاً تقول المرأة لتفهم أن الرجل لا يحاول بدء علاقة معها شيئاً لأنه مشغول، أو لأنه خائف، أو لأنه مصاب بحرج غائر من سدمة عاطفية قاسية و لأنه لا يريد إن يلتزم، أو لأنه خائف من إفساد علاقة المصادقة بينهما، أو لأنه خائف من أن يصعب.

كلها إصداً وأهمية، من وجهة نظر مؤلف الكتاب، لا تشاري كمن المجهود الذي تبذله المرأة في مجرد التعلق بها، ولا حجم المأثلة التي يمر بها عشيقا، وهي تحاول تفسير مواقف الرجل المتصارعة من وجهة نظرها والتي لا تشير إلا إلى رغبته في عدم الارتباط بها، غزواً الكتاب، أنه فقط ليس محباً بك إلى هذا الحد، يتكرر في عواين كل فصوله، مع إضافة تفصيلات أخرى.

الفرح في العمل الأول من الكتب إلى بحث المرأة إذا كان لا يتصل بها، أو إذا كان لا يدعوها إلى العشاء، أو إذا كان لا يريد أن يراها أو وهو في حالة إجماع، أو إذا كان لا يريد أن العيش معها، أو إذا كان لا يريد أن يعجب بك إلى الأبد رغم أنه يحبها، أو لأنه لا يريد أن يزوجها.

كتاب يثير الجدل، والسخرية أحياناً، لكن ذلك يمكنه حلقة من ما من العواين، وألا ما موق كل هذه المجمعات في أمريكا

ويصمم الكتاب كذلك كل اللغات والنص والصور والرسوم الأيقونية والجنس التي أرسلت إلى مخرج ومؤلف أكثر فلم إشارة لتجديد في العام الحالي. فيلم هزنهايت ٩/١١.

The employment crisis of female graduates in Egypt
(أزمة توظيف الخريجات في مصر)
galada f boursoun
Aucpress, LE 15



تري هذه الدراسة أن سوق العمل في مصر يميل إلى تفضيل المبرمجين اللواتي يتعدى لغات أجنبية، وميكات مطهر وحضور المعية. الأمر الذي يضع الخريجات اللواتي لا يتبعن نهج الموصفات في مرتبة أدنى.

وتهدف الدراسة إلى توفير الكمية التي تتم بها عملية الاستعداد، والتجربة التي تقوم بها خريجات يمكن قدرنا أدنى من المواقف بتحديد إمكانيةهن كي تتلاءم مع أبنية سوق العمل.

History of the middle east
(تاريخ الشرق الأوسط)
Arthur goldsmith
AUC Press 2004, LE 100
Sevtn edition



تمت مراجعة الطبعة السابعة من الكتاب بشكل موسع، كي تعكس الأحداث الأخيرة والمتغيرة في الشرق الأوسط، بما فيها تواضع حرب الخليج والمسألة الفلسطينية، ويركز الكتاب على تطور المؤسسات والثقافة الإسلامية، وعلى تأثير العرب والصراع من أجل الاستقلال السياسي، إضافة إلى الصراع العربي الإسرائيلي، وعملي إعادة إحياء القيم والقوى الإسلامية.

محاولة الاحتمال بالحياة من طريق الطعام، بمساعدة تصع ناجيلا في كتابها عدة وصفات لعيد الشكر، والكريماس، وعيد الحاموكا اليهودي، وعيد العطر والأصحب الأسلاميين، إضافة إلى وصفات أخرى لاعياد رأس السنة، واعياد الميلاد من جميع أنحاء العالم. تقول ناجيلا في كتابها إن العالم كله على اختلاف عاداته ودياناته يعتبر الطعام إحدى وسائل الاحتفال في الأعياد، مما يجعل الطعام بالتالي هو إحدى الوسائل المعروفة للاستمتاع بالحياة، تستخدم ناجيلا وصفات الطعام على اختلافها وتنوعها فائدة أنها تريد أن تشغل لكل الناس الطريقة التي يستمتع بها مع الطعام. آخر، وأن تساعد الكل على الاحتمال بالحياة بطرق جديدة غير تلك التي اعتادوا عليها، وأفقدتهم الاحساس بمدى السعادة في بعض الأحيان.

THE OFFICIAL GUIDE TO FAHRENHEIT 9/11
(الدليل الرسمي لتقييم هزنهايت ٩/١١)

Michael moore
Simon & Schusie
256 pp 2004, \$ 11.20



قررت لجنة التحكيم في مهرجان كان منح فيلم المخرج الأمريكي مايكل مور جائزة السعفة الذهبية لأحسن فيلم في المهرجان، وكان ذلك ايداعاً بأن يحق الفيلم على الأيرادات في العالم كله، بوصفه أهم فيلم وثائقي طار الجدل حول إدارة بوش، والأسلوب الذي تديره سياستها الخارجية وجوهرها ضد الإرهاب.

ولأن الفيلم مثير للجدل، تعرض أحياناً للحنف وللرقابة في بعض المناطق والدول، ربما تم منع الفيلم تماماً في بعض البلاد التي تسعى لمحاكاة على مصالحها مع الولايات المتحدة أو الدول التي يسميها الفيلم، لذلك قرر مايكل مور، المشاع، أن يصدر كتابه الجديد، ليضع فيه الشكل الكامل لفيلمه دون حذف، كي يترك لكل من اقتنعه من الفيلم عند عرضه، ووضع في كتابه أيضاً كل المصادر والوثائق التي تؤكد كلامه. وجهة النظر التي أوردتها في الفيلم، إضافة إلى العديد من الروايات والمواقف التي تؤكد صدق معلوماته.

على الاستقلال. ويذكر المؤلفان بالعديد من المواقف التي اختنتها فرنسا قبيل الحرب العالمية واعتبرها العالم كله دليلاً على خرق لا شك فيه، ومنها مثلاً قيام الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول بالانسحاب من الناتو، إضافة إلى تحميل فرنسا مسؤولية إنتاج وقذف الديكتاتور الكمبودي الأسبق بول بوت. هو بمساعدة كتاب ينفذ موجة الكراهية الأمريكية المتزايدة لكل ما هو فرنسي، معتمدة على المبالغات أو المغالطات التاريخية أحياناً، كي يصل بمن يقرأ الكتاب إلى أن يؤمن بما يروج له في نهاية الأمر.

Historical dictionary of Egypt
(القاموس التاريخي لمصر)
Arthur goldsmith junior and
Robert Johnston
AUC Press 2004

1501 e



لمطى هذه النسخة الجديدة والمعدلة من القاموس تاريخ مصر في آخر قرنين ونصف. وتم تطويره بحيث يضم العديد من الأحداث الصالحة في السنوات العشر الأخيرة ويطل ذلك الكتاب مرجعاً هاماً لكل من يحتاج إلى معلومات دقيقة وحديثة عن مصر، كما أنه يضم عدداً من الداخل المهمة حول الأشخاص والأماكن والمؤسسات المؤثرة في سير الأحداث.

Feast: Food to Celebrate Life
(العيد، طعام للاحتفال بالحياة)
nigella lawson
Hyperion 480 pp, 2004, \$ 23.80



ناجيلا لاوسون مؤلفة الكتاب هي واحدة من أشهر نائفات الطعام في أمريكا، تكتب في أشهر المجلات والصحف، وعلى رأسها نيويورك تايمز وجوميه، قررت أن تقوم بمشروع كتاب مطبخ، هو

خالد ارشد، وهي عضو في المركز الإسلامي في لونغ بيلد، ولدت في باكستان ولها اهتمام خاص بممارسات الصوفية ولماثلهم الروحية، وتحمل درجة الماجستير في الفنون والدكتوراه في الأدب الإنجليزي، مما يجعلها أكثر تمكناً من اللغة التي تنقل إليها ترجمتها.

تحاول أليلا في مقدمة كتابها أن تقدم صورة شاملة عن السلام والمبادئ الأساسية فيه، إضافة إلى شرح واقع عالمي اسماء الله الحسنى التي تلعب دوراً هاماً في الذكر الصوفي، وفي العقيدة الإسلامية عموماً. ثم تركز على معاني كلمات الصوفى الإسلامية التي اختارها في كتابها، ويبلغ عددها ٦٦٥ نصاً بعد أيام السنة، ووضعها بحيث يصبح كل نص منها صالحاً للتأمل يومياً.

Our Oldest Enemy : A History of America's Disastrous Relationship with France
(أقدم عدو لنا، تاريخ علاقة أمريكا الكارثية مع فرنسا)

john j. miller and mar molesky
Doubleday 304 pp, 2004, \$ 16.97



شعر الأمريكيون بنوع من الصدمة (وربما الأذلة) عندما قرر الرئيس الفرنسي صدام العراقي أن يقف في وجه الحرب على العراق. رويد بعض الأمريكيين في الصداقة التاريخية التي تربط بين الولايات المتحدة وفرنسا، وعلى الأقل، لصالح المشتركة التي تربط بينهما، إلا أن مؤلفي ذلك الكتاب يصرون على اثبات أن فرنسا لم تكن قط صليماً للولايات المتحدة. بل أنها كانت دائماً بالنسبة للولايات المتحدة مجرد عدو، أو شريك في الحلق والى الموقف الذي اختلته الحكومة الفرنسية من الحرب على العراق ليس سوى حلقة جديدة في مسلسل العداء الماريني الذي يربط بين البلدين.

يعود المؤلفان بكتيهم إلى السنوات الأولى لتاريخ الأمريكي المكتوب، حيث يروون قصة فرنسية معروفة لكثيرين، تصور أحداثها حول مدينة أركيها الفرنسية، والهندو الحمر ضد الصياد الأمريكيين الأوائل، ويؤكد المؤلفان أن فرنسا لم تهبط لمساعدة الأمريكيين على الاستقلال إلا بعد نهاية الثورة الأمريكية على أمل إبقاء البويعانيين وليس مساعدة الأمريكيين

ترحب وجهات نظر، بما يرد لها من رسائل تملقاً على ما ينشر بها من موضوعات ومقالات، وتحرس على نشرها. مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلاً مثل المقالات ذاتها، لا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة أو هيئة تحريرها

القبول

اكتشمت مجلتيك اليوم، على موقع الجزيرة، نت، وكم سعدت بها بدرجة وأطلب منكم ألا تتوقعوا فيمضلكم تطل صلتى بالعالم العربى قريبا، وبصراحة احترم كل ما تقومون به من عمل، ولأنكم من المجالات التى لها صدى فى الوطن العربى كله، لذا سأفتح عليكم أن تحثوا المكتبات المصرية أن تشجع الشباب المصرى على القيام بأعمال تلويفية فى المكتبات، مساهمة فى توسيع دائرة الثقافة وشغل الشباب الصغير معا هو مفيد، كما أرى هنا.

نسرين رضا
الولايات المتحدة



الف سلامة

الأستاذ الكبير الفاضل سلامة أحمد سلامة
هل علينا عدد اكثير من وجهات نظر، خاليا من مقالكم المميز الرئيسى الذى اعتدناه وادناه منذ صدور المجلة قبل سنوات عديدة، ولعل المانع يكون خيرا، لأن المقال الأسبق فى عدد سبتمبر من المجلة كان يصدر منه أدات وجهات الأزمة الصحية الداهية التى المتكم مؤخرا، ولهذا فنحن منزعجون جدا لذلك الغياب، لأن ضريطين فى الرأس يوجهان فعلا بأستلا سلامة.. فلفد استاذن استاذنا هيكى فى الانصاف ورك صفحات المجلة العام فى نفس الموعد ونفس الشهر من العام الماضى، ويعدده أت فى نفس الشهر.. لماذا؟؟

لكن استاذنا هيكى ترك الأرض وعلق فى المعصليات لتسمعه أذاضا بعد أن حرمت العين من فراته.. أرجو أن تكون أذنت بصميتى الساذجة واشتريت السناة التى تنفذ بها ما تسعى لك من أيام وعشرت على الدماء.. وهم كشر.. لتتحدث.. وتحدث.. وكفى.. بلا لوم.. أو أدنى عتاب.. أو إحباط.. أو سراب أمل..

استاذنا سلامة.. الف سلامة.. مليون سلامة.

ومن يجعل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضمًا،

المحكم، د. سمير هنتر
استشارى حيات. الهرم



عندما تتحكم
الأيديولوجية فى صنع
القرار السياسى

فى مقالته الأخيرة بجملة وجهات نظر، يكاد يكون الحاضر الغالب فى مقال عميد معهد دراسات الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا/ نيويورك البروفيسور رشيد الحالى - والذى تناول فيه الخادى جمل الأفكار الأساسية فى كتابه الأخير آثار أقدام الغرب: الطريق الأمريكى المحضوف بالمخاطر فى الشرق الأوسط، والتى تصور العكرة الأساسية والريسية فى هذا الكتاب حول سيطرة أيديولوجية فكرية معينة على صنع القرار الأمريكى.

هذه الأيديولوجية الفكرية تكون بمثابة نقطة الارتكاز فى اتخاذ جميع القرارات السياسية الأمريكية تجاه دول العالم الخارجى، بالطبع منها الدول العربية والإسلامية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن الأيديولوجية التى تتحكم فى صنع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق العربى، الأوسط الكبير هى الأيديولوجية الإسرائيلية بمعنى سيطرة إسرائيل على مراكز صنع القرار الأمريكى تجاه الشرق الأوسط، فمن مراكز صنع/ اتخاذ القرار الأمريكى الرسمية من وزارة الخارجية إلى الدفاع ومن وكالة الأمن القومى إلى السلك الدبلوماسى الأمريكى حتى الكونجرس؟

وكذلك الوسائل والأليات غير الرسمية فى التأثير على صنع/ اتخاذ القرار السياسى الخارجى الأمريكى مثل: جماعات الضغط والمؤسسات

الجماهيرية ومراكز العصف الفكرى. وقد باتت السياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط ذات صبغة إسرائيلية - أو بتعبير بول هندلى: إسرائيلية، السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وللأسف الشديد سادت هذه النظرة حتى لدى علماء السياسة والعلاقات الدولية والسياسة الخارجية وإدارة الأزمات الذين يفترض فيهم الحيادية العلمية والفكرية. فباتت هذه المؤسسات والمراكز تبع تصبى فى مصب واحد هو كيفية تحقيق المصالح الأمريكية فى المقام الأول ثم المصالح الإسرائيلية فى المقام الثانى دون أدنى اهتمام بالأخريين، حتى بات ما هو فى صالح الولايات المتحدة هو بالتالى فى صالح إسرائيل والعكس كذلك.

ما يميز الإمبراطورية الأمريكية عى غيرها من الإمبراطوريات التى سبقتها فى التاريخ الحضارى البشرى أنها إمبراطورية مفتوحة. أى يمكن التأثير على الاستراتيجية الخارجية لهذه الإمبراطورية من الداخل وليس من الخارج كما كان الحال مع الإمبراطوريات التى سبقتها. فالولايات المتحدة الأمريكية تسمح لكافة الدوا الطريف السياسى بالاختلاط والذوبان فى العملية السياسية الأمريكية فمن أقصى الليبراليين إلى أقصى المتطرفين، ومن عتاة الأصوليين الدينيين إلى عتاة المصلحين والعلمانيين.. إلخ. وذلك دون أدنى اختلاف أو تمييز على أساس الحريات السياسية المكفولة للجميع على شرط واحد هو عدم المساس بالنظام السياسى الأمريكى، هذه الحرية السياسية الكاملة استفادت منها إسرائيل بصورة غير مسبوقة إسرائيليًا ما يزيد على ٥٠ ألف منظمة ومؤسسة داخل الأرض الأمريكية) وهو الأمر الذى يفسر دة الاهتمام الأمريكى الرسمى والتعصب بالوضع الإسرائيلى حتى بات الوضع فى إسرائيل أمراً سياسياً أمريكياً داخلياً يتألف فيه المواطن الأمريكى قبل الإسرائيلى.

لقد استفادت إسرائيل من صدور

قانون اللوبيات والذى صدر عام ١٩٦٢ بغرض تقنين مسألة إنشاء المنظمات والمؤسسات الشعبية والمدنية.. سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.. إلخ، فأصبح لها بموجب هذا القانون آلاف من المنظمات والمؤسسات والمراكز الضاغطة التى تعمل ليلاً ونهاراً من أجل خدمة إسرائيل ولتلبية احتياجاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية فى الخزانة الأمريكية ومن أموال الضراب التى يدفعها المواطن الأمريكى، بل ويربضها المواطن الأمريكى فى أغلب الأحيان وأحياناً أخرى متبرعا.

إن هذه الطغمة الأيديولوجية ومنذ صعودها من إدارة الرئيس جورج بوش الابن، أصبحت لا تنظر إلى الشرق الأوسط (لا من المنظور الإسرائيلى الذى لا يرى فى الشرق الأوسط إلا إسرائيل فقط؟ فتمت صياغة الاستراتيجية الأمريكية لهذه إسرائيل على أيدى عتاة الصهاينة والمسيحين الأصوليين المعادين لما هو عربى أو شرق أوسطى غير إسرائيلى؟ فهطلت علينا المشروعات الإسرائيلية فى شوب أمريكى.

هذه المشروعات لا هدف لها سوى تحويل الشرق الأوسط إلى منطقة نفوذ إسرائيلى. أمريكى مشترك خلال العقود الأولى من القرن الحادى والعشرين، هذا ما تريد إسرائيل والولايات المتحدة بالضبط من المشروعات والمبادرات التى قدموها للإصلاح.

إن محاولة الوصول إلى إثبات عمل مع الإمبراطورية الأمريكية تحتاج إلى جمع العلماء العرب المتخصصين فى مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وصنع القرار والسياسة الخارجية والاقتصاد.. إلخ، من أجل الوصول لتشخيص صحيح لأهم أزمة سياسية تواجه العرب بصورة خاصة؟ ودول العالم الثالث بصورة عامة؟ وهى كيفية التعامل مع الإمبراطورية الأمريكية.

أحمد أبو زيد
تعميدى ماجستير العلوم السياسية
جامعة أسبوت

الترجمة، أهي أيضاً عربياً مكبلة...؟

في سبتمبر الماضي، ناقشت «وجهات نظر»، من خلال مقال للأستاذ محمد يحيى جمال، قضية الترجمة والمترجم في العالم العربي وكيفيه تفعيل صناعة الترجمة من خلال حركة مهنية نشطة ودور أكبر للدولة وإعادة الاعتبار للمترجم العربي... هنا إضافة لثروة الحوار.

لا شك أن مشاعر الغم والألم قد انتابت كل عربي أتبع له الأطلاع على تقرير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية والذي اعتمد «مشرع الشرق الأوسط الكبير» على الكثير مما جاء فيه في صياغة ديباجته، التي جاء فيها فيما يتعلق بالترجمة، (إن ما يترجم في اليونان التي لا يزيد عدد سكانها على ١١ مليون نسمة يفوق بحسبه أضعاف ما يترجم لجميع سكان الدول العربية مجتمعة).

ما يضاعف إلزام تلك الحقيقة المرة، أن آباء وأجداد من يقرأها لم يكونوا فرسان حملة عادية من محلات الترجمة التي عرفت أمتهم وتفتخر بها العديد من أعم البشرية، بل كانوا حملة الفداد أكبر حملة ترجمة انتهت البشرية على الإطلاق في حينها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يذكر أستاذ اللغة العربية وأدائها في جامعة «بيل» الأمريكية الدكتور «ديستري غوتاس»، في مؤلفه المترجم للعربية (العصر اليوناني والثقافة العربية) أنه اعتمد على تأليفه على (١٥) مرجعاً عربياً معظمه تراثي، وما يزيد على (٦٦٤) مصدراً غريباً معاصراً، كما ذكرها في ملحق المراجع والمصادر، ولعل في المقارنة ما بين أعداد المراجع التراثية العربية والمصادر المعاصرة الغربية، خير دليل على ما يفصل الثقافة والترجمة العربية من سبق هو، لا فيما يخص المعارف والعلوم الإنسانية الحاضرة فحسب، بل وحتى فيما يتعلق بالتراث والمعارف

العربية الغائبة مقارنة بحالتها الرائحة.

لا يكتفى ذلك الأكاديمي الموضوعي المتصف في كتابه الصادر عام (١٩٩٨م) بتأكيد تلك الحقيقة الناصعة نصاً وحرفياً، بل ويضفي ليضئد العديد من ادعاءات مستشرقى القرن التاسع عشر من مسلمات زائفة، ربما كان من أبرزها، أولاً، إن حركة الترجمة إلى العربية ما كانت لتتم بذلك الزخم والكمية لولا رعاية الخلفاء، والعباسيين منهم على وجه الخصوص... ومع الاعتراف بتلك الرعاية وأهميتها إلا أن رعاية ودعم الترجمة اشتركت بها شرائح أخرى لا تقل أثرًا كالتنماء والوزراء من أمثال بني النخع في عهد المنصور والبرامكة في عصر الرشيد. ثانياً، الاعتقاد بأن الترجمة انحصرت في عصرى الرشيد والمأمون دون غيرها ما اشتهر عن مكتبة «دار الحكمة» في عهديهما وهو اعتقاد مضلل، فقد كان خالد بن يزيد بن معاوية أول من أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان وأمر بنقل الكتب من اللسان اليوناني والفيلسوف إلى العربي كما جاء في (الفهرست)، وتم نقل وترجمة الدواوين الرسمية، من الرومية إلى العربية أيام عبد الملك أو ابنه هشام، ومن الفارسية للعربية في العراق على يد الحجاج. ثالثاً، تفنيد أسطورة الرطب أو المقاومة الإسلامية لترجمة العلوم والفلسفة، لغة العربية وخاصة من أتباع المذهب الحنبلية، اعتماداً على قاعدتين كثيراً ما أمهلها مستشرقون ومن تأسروا بطروحاتهم، أولاً ما بين الدين الإسلامي لا يفرض أي نوع من الكهنوتية، وثانياً لا يسمح الاعتقاد المضلل بوجود صراع في العالم الإسلامي بين ما اصطلح عليه مدرستى «القتل» و«النقل» أو العقل والإيمان، فذلك المصطلح هو في أصله مصطلح غربي وليس عربياً، فلماذا تطرأت والجدالات كانت مباحة بل ويتشجع ورعاية من

أعلى السلطات في مختلف العلوم والآداب من مختلف المشارب والأديان.



ولابد من القول إن ما قد يدعوا للتفاؤل، أن مسيرة الترجمة العربية المعاصرة، قد انبثقت وسارت على ذات خطى مثيلتها السابقة، التي مهدت لمسوق الحضارة الإسلامية الباهرة، فيما شاملاً أقرب ما يكون إلى التطبيق؛ فمثلاً بدأت الترجمة بعد عصور من ظلام الجاهلية قبل بزوغ شمس الإسلام، فقد بدأت الرحلة الحاضرة بعد قرون من ظلام الجهل وخلف بعد انهيار الإمبراطورية العربية الإسلامية.. ومثلما بدأت المرحلة الأولى بقطرات الترجمة متناثرة لا تنهمر إلا في القرن الثاني للهجرة عند بداية عصر التنوير، فقد مضى قرن من الزمان قبل أن ينهمر من جديد عصر الترجمة الحديثة التي بدأت في أوائل القرن التاسع عشر، بعدما تم إنشاء مدرسة «الألسن» لتعليم اللغات، وعودة أوائل البعثات التي من أشهرها تلك التي ترأسها الفقيه الأزهري «فاطحة الطهطاوي»، وما قام به من ترجمة كانت بمثابة قطرات إلى جانب ترجمة متناثرة أخرى في ذلك القرن والتي قد يكون من أبرزها ما قام به «فارس الشياطين» الذي أضاف إلى اسمه «أحمد»، بعدما أعلن إسلامه، تماماً كإسلام المترجم العالم ثابت بن قرة في العهد الساساني.

ذلك التماثل في البدايات، يزيد من حرارة التساؤل حول ما آلت إليه النهايات من فارق شاسع ما بين حركة ترجمة، فالتقاليد كان سبقها وعاصرها من حركات إبان عصرها الذهبي الزاهر، وأخرى في عصرها الحاضر تدت إلى ما يزيد على خمس ما يترجم لإحدى أقل دول أوروبا سكاناً؟ تساؤل لا يمكن الإجابة عليه بالتذرع بانتشار ما لم يكن متاحاً في العصور الغادرة من مساح وأرقام وفضائيات،

تلهى الشيب والشباب عن القراءة والمطالعة، فجميع تلك البدائل متوافرة في الدول الأوروبية بما يزيد أضعافاً مضاعفة عما هو موجود في الدول العربية، كما ونوعاً وإثارة، ومع ذلك فإن الترجمة، ليست في تراجع بل هي في تزايد، كما أن ما يفند بشدة مقولة عزوف العرب عن القراءة، هو ذلك الإقبال المتعاظم سنة بعد أخرى على معارض الكتب وافتتاح المزيد من المكتبات عاماً بعد عام وربما كان من أهم الأسباب العديدة لتراجع حركة الترجمة الحالية اثنا:

أولهما: يكمن في الحافز المادي، فمقارنة بما كان يحصل عليه المترجم آنذاك، فعلى سبيل المثال، ذكر ابن النديم في «الفهرست»، أن أبناء موسى ابن شاكر في عصر المأمون كانوا يدفعون خمسمائة دينار شهرياً للعمل وفقاً كاملاً في الترجمة وكان ديناراً آنذاك يساوي ٤,٢٥ درهم ذهباً، فعليه يكون راتب المترجم الشهري ما يساوي ٦١٢٥ جم من الذهب وهو ما يعادل ٧٥ أونس، فإذا ما حسبنا بسمير ٣٦٠ دولاراً للأونس حسب القيمة الحاضرة، فإن راتب المترجم يصل إلى ٢٧٠٠٠ دولار شهرياً، أو ما يزيد على مائة ألف ريال شهرياً وهو ما يفوق راتب باضعاف مضاعفة ما قد يحصل عليه امهر مترجم عربي حالي، عن ترجمة كتاب قد تستغرق ترجمته شهوراً طويلة، بل وحتى سنوات! وثانيهما، ما يعترض الترجمة من مناع، بل ويقع عائقاً أماماً من سلطات سياسية بحجة محاربة أفكار دامة، أو من عصبية دينية متطرفة تكفر وتبجح بالإلحاد والهزقة تماماً مثلما كانت الكنائس المسيحية في إقطاع أوروبا تعمل، أو من خليط منهم من المحافظين يدعوى الخصوصية الخروج على الأعراف والتقاليد مثلما كان يجري في اليابان والصين إبان عصر الانغلاق. فيما لم تحظر مصطلحات أية قيود على الترجمة في عصورنا.

يوسف النكير
yathekair@hotmail.com

قصة

ما يقرب من ٤٢ ألفاً من الجرحى، وتدمير ٦٠٠٠ منزل (لا عداء للسامية هنا يستوجب مراقبة بدع واشتقاق العادل لما يجري).
الفيتو الأمريكي، وقانون الكونجرس الذي وقعه بوش صدر في الشهر ذاته الذي أصدر فيه الإسرائيليون «الحقولون قراراً (غير معاد للسامية!)» بعدم السماح للمزارعين الفلسطينيين «أصحاب الأرض» بطفقت ثمار زيتونهم، «معسر معيشتهم الوحيد»، لثلاثة أيام فقط، الأمر الذي يتركب عليه عملياً أن تلبيل ٨٠٪ من الثمار على الأشجارها، فضلاً عن أن معطلهم من منعهم الوصول أصلاً إلى كرومهم بسبب الجدار.



نعرف أن ظاهرة العداء للسامية ظاهرة اجتماعية تاريخية مثلت تاريخياً أحد أبشع أشكال العنصرية داخل أوروبا، وكذلك نعرف أن السياسة الإسرائيلية، وهي وحشية من دون أي مجال أن تؤدي إلا إلى زيادة العنف وتعطيم المضار السامية، وتعرف أن إسرائيل تخشى خلف أسوارها العادلة العدالة المضاعفة حقيقة أن أفعالها تدفع بها نحو التفرقة العنصرية والتحول لدولة متبوعة في نظر العالم، (والأرض لها ثيرون بنفسيتي في هارنيس ٢٠٠٨/١١/٢٠) وفي حين نعلم أن اللامسامية (التي ترفضها وتدونها) تعني معاداة اليهود، لجرد كونهم يهوداً، إلا أننا نخشى يوماً يصبح فيه انتقاد السياسات الإسرائيلية، أو وصفها بالوحشية، معاداة للسامية، ويومها تصبح جميعاً معادلات، ولغير البسط. بحكم تراثنا الديني والفكري والتاريخي، وبدليل مافعله جدار الفول مع جدار اليهودي، إن الناس سواسية، ولنا حاجة لأن يعلمنا أحد أن معاداة السامية (بوصفها تمييزاً للناس على أساس يهوديتهم) عنصرية بغيضة، وكنا بالتأكد مشرغب بقاءن، السيد الأمريكي، إذ كان ضد العنصرية بجميع أشكالها، وما كان مقصوداً بها اليهود أو العرب أو المسلمون أو المسيحيون أو الأكراد أو الزنوج... الخ، ولكننا نستشعر قلقاً مشروعاً من «زبينية» نعرف، بحكم السوابق وموازن القوى، وبمحاولة التماهي بين اليهودية والدولة، أنها ستطوّل التعريف والتفسير.

ثم إننا نستغرب إذاً ليس الأمريكيون أن الحركة العنصرية المضايقة في أوروبا السبعينيات، لمجرد كمها اليهود، ولذا يتجاهلون أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في عالمنا المعاصر التي تمارس الاستعمار (الذي أطلق بمقتضى حدود ما قبل ٧٧، وترفض تطبيق قرارات الشرعية الدولية، وتقيم جداراً عازلاً على أسس عنصرية، وتعارض التعريفات الجماعية فعلها للنازيين، ولذا يتناسى السادة في واشنطن أن هناك يهوداً ضد سياسات إسرائيل ومن بينهم يهود أيضاً أمريكيون، وليس ناعوم شومسكي، عالم اللسانيات اليهودي الأمريكي بمجال فريد.

نستغرب، ونشعر بكثير من القلق والغضب بل نستشعر من أشكال أخرى للتمييز. نراه مثلاً في عدم معاملة ما يسفك من دماء الفلسطينيين والعراقيين على المستوى نفسه من الشجب والاستنكار والاهتمام الذي تحظى به الدماء الإسرائيلية، أو حتى دماء البغريين في العراق. ورغم أننا نستنكر ما يجري هناك (على يد أفراد من إطاحة المرويس بالسيف، لا أننا «نمقتل أن الدماء في الدماء» لا نرى ذلك الطارق الهائل في هذا الأسلوب «البائس»، وسين أوبس القتل بالضراب على صدر مرقع الجسم أشلاء، أو القتيعة المماررة التي تفتت أضلع طفلة حتى تكسد تشطرها شطرون، مثلما حدث (يعد أيام من الفيتو الأمريكي) لطفلة الفلسطينية حسناء شوان، ابنة الثلاثة أعوام في خان يونس جنوب قطاع غزة. وهل ثمة ما هو أسوأ وأكثر عنصرية من المعاملة بين دماء الجنود أو التمييز بين أساليب قتلهم؟

تتمكن المقارنة في أن الفيتو الأمريكي (السابع) أجهض الإنارة الدولية التي استهدفت المدنيين في غزة في الأسبوع نفسه الذي وقع فيه الرئيس الأمريكي قانونه دفاعاً عن اليهود ومنعاً لا لتأديدهم.

أبين في هذا تمييزاً وعنصرية تشبهان ما في اللاسامية، من تمييزاً وعنصرية؟



هل الخطأ الجذري (العربي حين حمل عصاه قبل ثمانية وستين عاماً ليدهاقع عن جدرانها اليهود) أو عند غسان (الحميفي) هو الخطأ حين استبدل بالعضا صواريخ القسام؟ في بلادنا العربية، من أوجد مشاعر اللاسامية؟ ومن روجها؟ أسألو من «جرح الفتى» في ملأ... وأعيدوا قراءة القصة.

أيمن الصياد

في الحادي والعشرين من أكتوبر، وبعد عشرين عاماً كاملة من المطاردة، ويصارعون انقلبهم مطاردة بدون طيار، تمكن الإسرائيليون من اقتيال عبدالقادر الفول (٤٨ عاماً) المسؤول العسكري لحركة حماس في غزة، وكانوا قد اغتالوا من قبل وتديم، يلاز/البيكر (١٨ عاماً) ومحمد (١٥ عاماً) وابن عمه عمران ونفسوا بيته مرة... ثم أخرى بعد أن أعاد بناءه. وكانوا قد فشلوا في اغتياله؛ مرتين بالصواريخ ومرة بفنجان مسمم من الفول. ثم كان أن نجحت المحاولة. وليتأهب شرب الإسرائيليون الانخاب، وخرج شاربون إلى شاشات التلفزيون ليتبين قادة جيشه. وليتأهبوا أيضاً حكى، أحدهم، هذه القصة:

حتى عام ١٩٨٤، كان جدار عبدالقادر الفول هو مختار (عمدة) القرية العربية، عقير (اسمها العربي الحقيقي، هرييا)، التي ارتبطت بعلاقات جورة حسنة مع البلدة اليهودية، عقرون، المسماة حالياً، كريات عقرون. وكانت تربط بين البلدتين، العربية واليهودية، علاقات جوار وصداقة ورسمتها العلاقة بين، شكولنيك، مختار البلدة اليهودية التي كانت تضم قرابة ١٠٠ نسمة، وجد عبدالقادر الفول، مختار البلدة العربية، التي كان يعيش فيها قرابة ٢٥٠٠ نسمة (لاحظ الأعداد).

وكان أنه في بداية الثلاثينيات، وكديليل على الصداقة التي ربطت بينهما، أن تبادل الرجال (شكولنيك / اليهودي ومختار القرية العربية) العصي التي كانتا يتكئان عليها، يستعمل كل منهما عصا الآخر في حياته.

وفي عام ١٩٦٣ عندما اندلعت الثورة العربية، حمل جدار عبدالقادر الفول، العصا التي حصل عليها من شكولنيك، وجلس على الطريق المؤدي إلى كريات عقرون، اليهودية. وضع العصا إلى جانبه، وألنقذ على مكتبته، وأبلغ أهالي القرية أنه سيستمع على من يسعى إلى المس بغير كريات عقرون، المؤرخ على جسده هو، أولاً. وكان أن اجتارت القرية اليهودية السنوات الثلاث للثورة، أن نرستقل ولو شعرة واحدة من رؤس سكانها. واستمرت العلاقات بين اليهود والعرب في الفريتين الجاريتين طيبة... ثم جاء العام الثامن والأربعون. وفي الرابع من أيار/مايو وصلت الوحدة ٥٧ «اليهودية» التابعة للواء الخامس (جدارتي)، إلى القرية العربية وأبلغت سكانها أن عليهم الرحيل ولأنه وجوه جنوباً، نحو غزة. فحمل جدار الفول عصاه وتوجه نحو كريات عقرون، فلبسته شكولنيك، وقال: «لأن جدار دورك هي تدافع عنا».

حمل شكولنيك عصاه، التي ادهاها له الفول، وتوجه إلى إحيام ضباط جيشاتي التي أقيمت على مسافة قريبة. وروى كيف دافع سكان القرية العربية عقير / هرييا عن إحدى مبانيه، التي ادهاها له الفول، إلا أن حديث شكولنيك لم يشر إلى اضطرار لدى مبانيه جيشاتي الذين افروا على عدم وجود أي اعتبار لكون القرية مسيحية، وأنه لا بد من طرده سكانها... ففورا.

عاد شكولنيك إلى جواره العرب في عقير / هرييا ليخبر أهلها بأنه لا يستطيع فعل أي شيء، لأن الأوامر جاءت من الجهات العليا. فحمل العرب، الذين ظنوا أنهم عادلون لاحقاً، ما خلف من متاعهم، واتجهوا شرقاً نحو أسدود، ومنها جنوباً، نحو المجدل، ثم إلى وادي غزة... حيث مارأوا هناك، يحتفظ بشيوخهم بمعاملات بيوتهم القديمة، يحملون بالعداء، ويحتفظون بالبنائات والمتحريات. والجارحة، يدهاقعون بها عن «الشرب الأخير» في ازدهم، بعد الديابات والحجزات، والجرافات الإسرائيلية اليومية.

وكانت القصة نشرت في صحيفة عربية لكثافت جد وجدت طريقها السريع إلى صفحات «ميمري» ووسائلها المتخلفة، «الضائعة» إلى ذوي الشوف في الولايات المتحدة، مفروقة باتهام زاعق، لا يقبل المراجعة، تصاحب القصة وانشرها بـ اللاسامية... لولا أنه قد تصادف أن الراوي إسرائيلي هو البروفيسور عموام شكولنيك، فحيد المختار اليهودي نفسه (توفي الجدار قبل شهرين فقط). وأن نأشر القصة أيضاً إسرائيلي، «يهدوت أحرونوت»، (١٠/٢٣).



لا جديد في القصة. فالكمل، وإن سى أو تجاهل. يعرف ما جرى عامي ١٩٤٧، ١٩٤٨. والشهادت الموقفة تزدحم بها كتب المارخين الإسرائيليين الجند أنفسهم. المقارنة أن قصة الجدار، الفلسطيني، التي حدى بعصاه أولئك الذين اغتالوا بعد سنوات أربعة من وادي غزة... حيث مارأوا هناك، يحتفظ بشيوخهم بمعاملات بيوتهم القديمة، يحملون بالعداء، نشرت في الأسبوع ذاته الذي وقع فيه جورج دبليو بوش قانوناً إخراجياً، معاداة السامية، وبعد أيام فقط من استخدام واشتقاق حق الفيتو (للمرة السابعة حماية إسرائيل) لإجهاض قرار المجلس الأم بدعو إسرائيل (المختلة) لزيافت فعاليتها في الأراضي الفلسطينية (المختلة). والتي أسفرت (بعاملاً، وحتى تاريخ الفيتو الأمريكي عن استشهاده ٣٥١ بينهم ٦٥٤ طفل وصبياً ٢٢٤ امرأة آخرين عجزوا في السنين كانت تجلس، داخل منزله، إلى عائلة الإفطار في اليوم الأول من شهر رمضان، فضلاً عن

أحدث الإصدارات من دار الشروق



تطلب من

دار الشروق، ٨ شارع سيدي بوعبد الحميد - رابطة العدوية - مدينة نصر، تليفون ٤٠٣٣٩٩ ومكتبة الشروق، ١ ميدان طلعت حرب، تليفون ٣٨١٤٨٠ ومكتبة الشروق، مبنى هيرست أمام حديقة الحيوان ٣٦ ش. الجزيرة، محل رقم ١٩، تليفون ٥٧٣٥٠٣٥

كما يمكنكم شرائها إلكترونياً www.e-kotob.com

BROADBAND ADSL

الإنترنت فائق السرعة

خدمة
٢٤ ساعة

ADSL أسرع من الكل

سرعة فائقة تصل إلى 10 أضعاف السرعة العادية

◀ اتصال دائم 24 ساعة × 7 أيام في الأسبوع ▶

إمكانية توصيل أكثر من جهاز

إشتراك شهري ثابت يبدأ من 150 جنيه

لا يشغل خط التليفون



19357

لمزيد من المعلومات
الإتصال برقم



مبادرة بصرية ووزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات
بالتعاون مع الشركة المصرية للاتصالات
وشركات القطاع الخاص للإنترنت

